متعة القراءة

رحلة في عالم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الدار العالمية للنشر والتوزيع

متعة القراءة

رحلة في عالم الكتب

الطبعة الثالثة

1446 هـ - 2025م

رقم الإيداع

2019/28685م

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-744-297-8

الدار العالمية للنشر والتوزيع

ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٠٥٤٠٦٤٠٣ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٢٠٣+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+

E-mail: alamia_misr@hotmail.com

يقول أبو الطيب المتنبي:

وَخَيْرُ جَلِيسٍ في الزَّمَانِ كِتَابُ

متعة القراءة

رحلة في عالم الكتب

تأليف

عبد الوهاب زيدان أبو شهبة

الخبير التربوي

تقديم

فضيلة الشيخ الدكتور

سيد بن حسين العفاني

الدار العالمية للنشر والتوزيع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾

[العلق: ١-٣]

إِذَا ضَمَّ الثَّرى جَسَدِي وَرَاحُوا
وَخَلُّونِي... رَهِينًا فِي التُّرابِ
وَحِيدًا... مِن أحبَّائِي وأهْلِي
وَمِمّن قَدْ عَرِفْتُ مِنَ الصِّحَابِ
فإِنِّي سَوْفَ أَلْقَى اللهَ رَبّي
بِقَلْبِي ثُمّ حُبّي لِلْكِتَابِ

ديوان (محمود أبو الوفا)

[ص ٢٦٢]

مقدمة فضيلة الشيخ الدكتور/ سَيِّدبْن حُسَيْن العَفَّاني

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أمَّا بعد:

فقد أهداني **الأخ/ عبد الوهاب زيدان** كتابه الموسوم بـ «**إلى أمة أقرأ ..الكتاب حياة**» فألفيته كتابًا قيمًا نافعًا يتناول الكتاب، وأهميته. وما أجمله من اسم ومعنى حتى أن الله سمى القرآن بالكتاب، فهو أشرف وأجمل وأقيم كتاب، ولله ما أحلى العيش مع الكتب، فخير أنيسٍ للجليس كتابُ، وما أجمل أن تمر عليك الأيام وأنت وسط الكتب وبينها، ولو قيل لي ما تتمنى في قبرك لتَمنيتُ أن أصلي وأقرأ الكتب.

فاحرصوا شباب الإسلام على القراءة والاستزادة من الكتب الطيبة النافعة، وأحسب أن هذا الكتاب من ضمنها، فهو نفيسٌ في موضوعه وبابه، والله أسال أن يجزي المؤلف خير الجزاء، وأن يجعله في ميزان حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أملاه

الشيخ الدكتور

سَيِّد بن حُسَيْن العَفَّاني

١٩ ربيع الأول ١٤٤٢هـ

الموافق ٥ نوفمبر ٢٠٢٠ م

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد

فهذا كتابٌ يتحدث عن الكتاب وقيمته في حياة الأفراد والجماعات، ويتكلم عن أهمية القراءة والولع بها وعشقها.

ولقد وقفت على بعض الكتب القليلة التي تتحدث عن هذا الموضوع، ولكن قد آثرتُ عن أشارك ولو بجهد بسيط في هذا الموضوع لأهميته الشديدة، وإيماني وحبي وشغفي به.

وأتمنى أن يكون هذا الكتاب لبنة بسيطة في تنمية الإحساس لحب القراءة والهوس بها، لأن القراءة قنٌ وحب وولع وعِشق، ومتعة للنفس، وغذاء للروح وحماية من الأزمات النفسية، وهي تجعلنا نعيش أكثر من حياة كما قال الأديب العقاد، فهي تزيد من أعمارنا، وتعطينا خبرات غيرنا إلى جانب المتعة – التي لا تساويها أموال الدنيا – وأنت تمسِكُ بالكتاب وتشعر بأحاسيس كاتبه وبأنامل مؤلفه.

فالقراءة تنقلنا من العالم الضيّق، العالم المحدود إلى العالم الواسع إلى الثقافات المختلفة، إلى عالمٍ أكثر عمقًا واتساعًا وخبرة وتجربة.

لا أُخفيك سرًا – عزيزي القارئ – بأن فكرة هذا الكتاب الذي يتحدث عن أهمية القراءة والكتب لدى المسلمين الأوائل ولدى العلماء العرب، وعشقهم للقراءة وللكتاب، وتفضيلهما عن أي شيء آخر، كان حُلْمًا يُراودني منذ فترة ليست بقصيرة، وكلما هممتُ أن أكتب في هذا الموضوع الذي يعتبره البعض هواية، وَمَضْيعة للوقت

وتَزْجية فراغ، كانت تَصْرِفُني عنه شواغل وأعباء الحياة، وحقيقة ليس هذا هو السبب الوحيد، ولكن كنت مُتردِّدًا كيف أكتب في هذا الموضوع الذي يحتاجُ إلى وقت وجهد عظيم؛ لأن أخبار القراءة وحبّ الكتب مبثوثة ومتفرقة في بطون أمَّهات الكتب والسِّير والتراجم والتاريخ والطبقات، فكانت تحتاج إلى أن تُضمّ إلى بعضها البعض، وتُجمع حتى يسهل للقارئ الوقوف على عظمة هؤلاء العلماء الذين لم يبخلوا بالغالي والنفيس، بل بذلوه رخيصًا من أجل شراء كتاب كانت أنفسهم تشتاق إليه.

وهذا الكتاب الذي بين يديك ما هو إلا إطْلالة حول القراءة وعالمها ونوادرها وعشاقها وعشاق الكتب، ودعوة حثيثة إلى تبني القراءة كمشروع حضاري تلتزم به شعوبنا؛ لتعدل عن تراجعها.

وهذا الكتابُ أهديه إلى عُشاق الكُتب، وإلى محبي القراءة ورُوّاد المعرفة، وإلى ناشدي الثقافة والاطلاع، وإلى كل مَنْ أراد أن يلحق بهم أو يتقفّى آثارهم أو يتعلق بأسبابهم.

ولقد حرصْتُ فيه أن أضمّ الخبر إلى أخيه، والقصة إلى أختها، والنظير إلى نظيره، لكي يكون هذا الكتاب حاديًا لمحبي القراءة والكتب، وحافزًا لتبني القراءة كمشروع هام، لما له من أثر في تنمية العقول والأفهام والألباب، وهاديًا إلى الشباب الصاعد الذي انشغل بمقتنيات الحياة الحديثة، ولا يجدُ مَن يأخذ بيده إلى الطريق الصحيح، ولكي يعرف مدى حب أجداده وأسلافه للقراءة وللكتب، ومنارة يستهدون بها في ظُلمات الحياة الحالكة، الشباب الذين تتخبطهم عواصف الحياة الهَوْجاء، تَذْكرةً يتأدبون بها، وجامعًا لأخبار محبي العلم والقراءة، وأنيسًا لهم في حياتهم وخلواتهم.

والذي دفعني إلى إصدار هذا الكتاب هو تحفيز واستثارة الهِمَم، وشحْذ الخواطر، وتبصير طلاب العلم والمعرفة بما كان عليه السَّلف الصالح وأجدادهم من حبهم

وعشقهم للقراءة وللكتاب، وفي صبرهم وبذلهم في تحصيل العلم والمعرفة والقراءة، وليس ذكر هذه الأمثلة والنماذج العجيبة من أجل التغني بالأمجاد التليدة الماضية والوقوف والركون إليها؛ ولكن لتكشف صفحات مضيئة من تاريخنا الجميل، وكشف صفحات منسية ومطوية من تاريخنا الملئ بالنماذج الرائعة، لعلها تُسْهِم في إيقاظ وشحذ الهمم، ودفع الكسل، وقد قال بعضهم:

«الحكايات جند من جنود الله يُثبت بها مَن شاء من عباده»[1].

ولله درّ القائل:

وحدِّثني عنهم يا سعدُ فزدْتني ❖❖ بهم غرامًا، فزدْني من حديثك يا سعدُ!

فلا ريب أنّ مُطالعة أحوال الصالحين من علماء السلف تشحذ الهمم وتُربي النفوس تربية صحيحة مستقيمة، فَبِها يستلهمُ العبد السائر إلى ربّه نفحات تدفعه إلى الأمام، وتطوى عليه مشقة سيره بما يرى ويقرأ من عجائب قصصهم وسيرهم وصبرهم، فتكون له صُحبة من الأخيار، وإنْ كانوا من الأموات.

قال ابن الجوزي في كتابه «تلبيس إبليس»: «ومَن نظر في سِير السَّلف من العلماء العاملين استحقر نفسه».

وقال حمدون القصار في «صفة الصفوة»: «مَن نظر في سير السَّلف عرف تقصيره، وتخلُّفه عن درجات الكمال».

لا تُعْرضن لذكرْنا في ذِكْرهم ❖❖ ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

وهذا الكتاب يكشفُ لنا عن صورة مُشرقة من حياة العلماء، ضربوا فيها أروع الأمثلة، وأصدق البراهين، وأجْلى الدلالات على شغفهم وَوَلَعِهم بالعلم وبالكتب وبالقراءة، وتفانيهم وإخلاصهم من أجل العلم وتحصيله والتمسك به.

---

(١) أزهار الرياض.

كرِّر عليَّ حديثهم يا حادي ❖❖ فحديثهم يُجلي الفؤادَ الصادي

قال ابن القيم: «وأما عشاق العلم فأعظم شغفًا به، وعشقًا له من كل عاشق بمعشوقه، وكثير منهم لا يشغله عنه أجمل صورة من البشر»[١].

وقال أيضًا: «ولو صُوِّر العلم صورةً، لكانت أجمل من صورة الشمس والقمر»[٢].

ولن أتحدث في هذا الكتاب عن العلم فلقد أُفردتْ للعلم تصانيف منفردة وعظيمة لعلماء أجلَّاء عظماء[٣].

والحديث عن فضل العلم، وما يناله طالبه من مجد وكرامة حديث لا يكشفُ عن غامض، ولا يطرقُ السمعَ بجديد، ولكن مرادنا التحفيز على حب القراءة والولع بها والتعلق بالكتب، لأنها السبيل الوحيد إلى العلم والفهم والمعرفة، ولن أتحدث عن القراءة وأنواعها فليس لها سبيل في هذه الوريْقات، ولكن لها مكان في كتب أخرى تتحدث عن كل ما يخصُّ القراءة، وأنواعها، وأهدافها، ومهاراتها، وتقْنياتها فراجعها ثمَّ - إذا أردْت -.

إن قراءة الكتب هي التي تبني عند الإنسان لغة العلوم، وعنها يعرف طريقة

---

(١) روضة المحبين.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) من الكتب التي تحدثت عن العلم وشرفه وفضله:

١- مفتاح دار السعادة	لابن قيم الجوزية.
٢- جامع بيان العلم وفضله	لابن عبد البر.
٣- الحث على طلب العلم	وهو كتاب صغير، ولكنه ماتع جدًا لأبي هلال العسكري.
٤- فضل العلم والعلماء	لحميد بن زياد.
٥- أبجد العلوم	للقنوجي.
٦- فرض طلب العلم	للآجُري.
٧- الحث على حفظ العلم	لابن الجوزي.
٨- الجامع في الحث على حفظ العلم	لأبي هلال العسكري ، والخطيب البغدادي، وابن عساكر وابن الجوزي.
٩- معالم في طريق طلب العلم	لعبد العزيز السدحان.

وغيرها الكثير والكثير.....

الأسلوب وتأليف الكلام المتبع فيها.

لقد أصبح الوضْعُ مُخْزيًا فبعد أن كُنّا سادة الأمم أصبحنا ذيولاً للأمم، وأصبح جُلّ همنا مطالعة صحيفة يكْرعُ منها بُكرة وعشية، أو الانكباب على صفحات الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) قانعون بها، وهذا كله على حساب الكتاب القادر على البناء والتأسيس - ولا ريب في ذلك -.

ولا أجد أكثر تعبيرًا لما وصل إليه حالنا مع القراءة من قول العقاد: «إن القراءة لم تزل عندنا سُخرة يُساق إليها الأكثرون طلبًا لوظيفة أو مَنفْعة، ولم تزل عند أمم الحضارة حركة نفسية كحركة العضو الذي لا يطيق الجمود»[1].

والله الموفق للسَّداد، والهادي إلى الرشاد، وإياهُ أسأل إصلاح الأسرار، وترك المعاقبة على الأوْزار، إنّه جواد كريم، رءوف رحيم.

هذا والله عَزَّوَجَلَّ أسأل أن يجعل عملي كله صالحًا، ولوجهه خالصًا، ولعباده نافعًا.

وصل الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.

خطه بِبنانه

عبد الوهاب زيدان أبو شهبة

٠١٢٢٤١٥١٦٠٨

يوليو ٢٠١٩م

(١) مقتطفات في الكتب والقراءة د. كامل العسلي، ص ١٤٣.

قيل لابن المبارك:

تُكْثِر من القعود في البيت وَحْدك.

قال: «ليس أنا وحدي، أنا مع النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه» ؛

«يعني النظر في الكتب».

وقال: «مَن أراد أن يستفيد، فلينْظُر في كتبه».

«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»

للخطيب البغدادي

١ـ نحن والقراءة

القراءة تجعلنا نطلّ إطلالة سريعة على الماضي ونعيش في رياض الحاضر، فهي تنقلنا إلى حضارات قديمة في صفحات التاريخ الحافل بالحكمة والعبر والعظات إلى تجارب معيشية وقتية، وتنقلنا بسرعة البرق إلى معترك الحياة فترينا سير العظماء والعلماء والقادة والساسة.

الكتاب يجعلك تعيش في كل العصور والممالك والأقطار، بين السلم والحرب، والمجد والتدهور، والأفراح والأتراح، والتقدم والتخلف، يصلُ بنا الكتاب من سفوح الجبال، إلى أعاليها، ومن الصحراء الجدباء، إلى قلب المروج الخضراء، ومن العصر الحجري إلى قلب المدنية الحديثة.

القراءة فن وَهَوَسٌ وولع، والكتابة ترجمة حقيقية لما نقرأه، إن القراءة سياحة عقلية بين آثار الفكر، القراءة صداقة فكرية، وقرابة ذهنية مع أولئك السابقين الذين أمْتعُونا بكلامهم وتجاربهم وطقوسهم فجعلونا نغوصُ في أعماق كتبهم ومؤلفاتهم، لنلتقط الدرّر التي أبدعوها واللآلئ التي ألفوها، القراءة متعة للنفس وغذاء للروح.

فكتاب «هاري بوتر» كتاب قصصي مُعدّ للصغار، ويقرأه أيضًا الكبار، حظى بانتشار وذيوع لم ينله كتاب سبقه حين صدوره!

فلم يكد يصدر جزؤه السادس حتى تحفّز الناس لاقتنائه، وشهد سباقًا محمومًا بين الصغار والكبار للحصول عليه، بدءًا من هونج كونج ومرورًا بأستراليا إلى أمريكا، حتى بلغ ما بيع منه عشرة ملايين نسخة؛ ليصبح أكثر الكتب مبيعًا في العالم، ولتكن مؤلفته أغنى امرأة في بلدها (إنجلترا).

وشهدت المكتبات البريطانية هجمة لم تعرف لها مثيل منذ الصباح الباكر، سبقتها تجمعات قبل منتصف الليل للحصول على النسخة الأولى من الكتاب[١].

أما في عالمنا الإسلامي فهل يمكن أن نجد كتابًا أو كتبًا مجتمعة بقطع النظر عن موضوعها، بلغت شأن هذا الكتاب حين صدوره، أو قريبًا منه!!.

إن هذا الواقع يصور لنا بوضوح حالنا مع القراءة والكتب، ولا يحتاج إلى مزيد من المقال.

أما في بلداننا العربية: أضعف سوق سوق الكتب، سوق العلم، وأبخس تجارة تجارة الكتب، وأعجز الناس عن تسديد ما عليهم هم أصحاب المكتبات! ثم يزهّدونك في الكتاب وكثرة اقتنائه[٢]!

ليْتنا نسْمعُ بعض هذا التزهيد في المطاعم والمقاهي وأدوات الزينة والهواتف الذكية، وكماليات الحضارة كما نسْمعُها في الكتب واقتنائها والشغف بها.

كم عدد طلاب العلم والمثقفين في المجتمع؟ وكم عدد مَن يهتم باقتناء الكتب منهم؟ وكم عدد من يتابعون الجديد منهم؟ وكم عدد المشغوفين؟ وكم وكم؟ لا شيء كنسبة وتناسب بعدد المجتمع.

يُطبع من الكتاب الواحد مثلاً ١٥٠٠ نسخة، وتَبْقى هذه النُّسخ عشر سنوات يدور بها الناشر على المكتبات وفي معارض العالم ولا تنفد[٣].

القراءة عندي من أجمل مُهج الحياة، بل هي روح الحياة، وحياة الروح، ففيها أجد متعتي، وكثيرًا ما أجد نفسي أقف أمام مكتبتي وأقول لنفسي: هل سيتسع العمر لكي أقرأ كل هذه الكتب؟!، وكثيرًا ما أقول لنفسي سوف أقتني من الكتب ما هو هام

(١) جريدة الحياة عدد (١٥٤٤٧).
(٢) هموم ناشر عربي لعدنان سالم.
(٣) اقرأ، وارق د. علي بن محمد العمران ص ١٠٣.

وضروري فقط، ولكن إذا دخلتُ مكتبة ما أجد نفسي مُشتاقة ومتلهِّفة لشراء معظمها ولا أستطيع أن أُلزم نفسي بالوعد الذي قطعته على نفسي سابقًا!.

والمتأمل لحياة وواقع الشعوب الغربية يجد أنها شعوب قارئة متعلمة، بل ومُولعة وشغوفة بالقراءة، تحب الثقافة بمفهومها العام، وليس إعجابًا بهم، لا، فالطريق مختلف، لكنها حقيقة يعيشونها وسلوك يحيوْنه، فلا تجد شخصًا (بشكل عام) إلا ويقرأ صحيفة أو جريدة أو مجلة أو قصة أو كتابًا ما، تلمح وتشاهد ذلك في الشوارع والطرقات وفي وسائل المواصلات وفي الحدائق العامة وعند انتظار مصلحة ما، وفي المكاتب، وفي الأماكن الترفيهية، وفي القطارات، ولن نخوض في ماهية ما يقرءونه من روايات تافهة أو قصص ليس لها قيمة، فهذا ينعكس عمومًا على طبيعة شعوبهم ونمط حياتهم الاجتماعية والفكرية، وهذا ما يؤكد لي أنهم شعوب قارئة.

والعجيب أن أمة الإسلام التي بدأت رسالتها بأول آية نزلت من السماء: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (١)، قلّما تجدُ قارئًا ونادرًا ما تجد مُولعًا بالعلم أو شرِهًا للمطالعة، وحبّ المعرفة.

حتى إن بعض طلبة العلم انتقلتْ إليهم العدوى، وكأنهم مُرغمون أو مجبرون على القراءة والتعلم، وإنها لمفارقة أن تجد أعداء الإسلام والعلمانيين وأصحاب الفكر والمذاهب الهدّامة والتيارات المنحرفة لا يكلّون ولا يملّون من المطالعة والبحث والكتابة، فتجد مؤلفاتهم وكتبهم تملأ الأسواق ومقالاتهم تُغطي الصحف والمجلات والجرائد، ويتناولون مواضيع مهمة، ويتطرقون لأبحاث جديدة، فيبدو وكأنهم رواد الحضارة والثقافة العربية المعاصرة(٢).

شيء مؤلم أن يبلغ العالم ما بلغ من التقدم والتفوق في شتى ميادين العلم والمعرفة،

(١) سورة العلق: الآية ١.
(٢) الدعوة مهارات وفنون: شحاته صقر.

بينمَا نحن وإلى هذه اللحظة، مازلنا نفكر ونبحث كيف نُحْيي قيمة القراءة، وكيف نُدرِّبُ عليها ملايين أمتنا؟ وكيف نُوقف انحدارها المتفشي في شعوبنا؟!!

كلما طالعنا وقرأنا حال الغربيين وأخبارهم مع القراءة، وهيامهم بالكتاب الذي يعدّونه ضرورة حياتية لا يمكن الاستغناء عنها نشعر بالخزي والعار، لماذا لا نكون أمثالهم؟ بل لماذا لا نتفوق عليهم؟.

إن تاريخ الكتاب يعرفنا أكثر مما يعرفهم، ودُنيا القراءة تنتسبُ لنا أكثر مما تنتسبُ إليهم.

القراءة ليست مجرد هواية أو تسلية أو تَزْجية فراغ، وإنما كانت وما تزال الغرام والعشق، القراءة هي الحياة، بل هي مَنْهج حياة، أما الذين يقولون: هوايتنا القراءة فهي مقولة ليست بصحيحة تمامًا، لأن الدكتور راغب السرجاني رفض الاعتراف بمصطلح الهواية، وبيَّن أنها ضرورة هامة جدًا من ضروريات الحياة التي لابد للإنسان منها، مثل الماء والهواء.

يقول د. راغب السرجاني: «فكثيرًا ما نَسمعُ بعض الناس يسأل: ما هي هوايتك؟

ونلاحظ الاختلاف الواضح في الإجابة، فأحد الناس يقول: إن هوايتي السباحة، والآخر يجيب هوايتي صيد الأسماك، والثالث يقول هوايتي السفر والترحال، وبعض الناس يخبركُ عن هوايته قائلاً: وأنا هوايتي القراءة!!».

هل يَصحّ أن يقول أحد: هوايتي شرب الماء مثلاً؟!!

إن كل الناس يشربون الماء؛ فهذه ليست هواية، وإنما هي ضرورة وهكذا في في الهواء والتنفس...

وأنا أرى أيضًا أن أي إنسان لا بد له من القراءة.

يجب أن تقرأ ليس كتابًا أو اثنيْن فقط، وليس يومًا في الأسبوع أو شهرًا في السنة فحسب، ولكن يجبُ أن تكون القراءة هي «منهج حياتك».

لا يمر عليك يوم دون أن تقرأ، وليس المقصود أي قراءة، بل القراءة المفيدة النافعة، القراءة التي تبني ولا تهدم، وتُصلح ولا تفسد[١].

ويواصل حديثه قائلاً: أليس مما يدعو للتفكير هذه الكلمة العظيمة التي بدأ بها الوحي على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اقرأ»؟! [٢].

ويكمل: إن القرآن يزيد على سبعة وسبعين ألف كلمة، ومن بَيْن كل هذا السيل من الكلمات كانت كلمة «اقرأ» هي الأولى في النزول [٣].

نحن المسلمين لنا تاريخٌ حافلٌ مع القراءة والكتاب وكانت المكتبات الإسلامية في التاريخ الإسلامي من أعظم مكتبات العالم، بل أعظمها على الإطلاق ولقرون طويلة: مكتبات بغداد وقرطبة وإشبيلية وغرناطة والقاهرة ودمشق وطرابلس والمدينة والقدس، تاريخ طويل جدًا من الثقافة والحضارة والعلم، وهذه هي قيمة القراءة في الميزان الإسلامي، وهذه هي قيمة القراءة في تاريخ المسلمين.

ومع كل هذا التاريخ، وكل هذه القيمة إلا أن أمة الإسلام – وللأسف الشديد – تُعاني اليوم من أُميّة شديدة!!، انتكاسة حقيقية في أمة الإسلام، أمة القرآن، انتكاسة في الأمة التي كانت ومازالت أول كلمة في دستورها كلمة «اقرأ» !!.

إن نسبة الأمية التامة – عدم القراءة أو الكتابة أصلاً – في الشعوب المسلمة تصل إلى ٣٧% !!!.

لقد ذكرتُ سابقًا بأن دُنيا الكتب والقراءة تنتسبُ للعرب أكثر من انتسابها للغرب، فنحن أمة العرب نعرف الكتب وأهميتها ومدى تأثيرها في حياة الفرد منذ أن كانت أوربا تَرْتعُ في مراتع الجهل والظلام والتخلف، ولكن الحقيقة الآن موجعة

(١) القراءة منهج حياة: د. راغب السرجاني ص ٣، ٤.
(٢) نفسه ص ٥.
(٣) نفسه ص ٧.

وفظيعة، فقد قلّ مَنْ يهتم بالكتاب وأمره، فهل يا ترى للتربية والنشأة دخل في ذلك؟!، أم بسبب الأوضاع الاقتصادية؟!، أم بسبب غلاء سعر الكتاب؟!، ولماذا هذا العزوف الشديد عن القراءة في أمة «اقرأ»؟!

بل لا أكون مبالغًا إذا ذكرت بأن القراءة عند الغرب طبع متأصل أصيل عندهم.

ولقد حكى لي أحد أصدقائي، وكان مُوفَدًا لبعثة علمية إلى انجلترا، وقال لي بأنه شاهد هناك منظرًا عجيبًا مازال مطبوعًا في خياله حتى بعد مرور سنوات كثيرة على سفره، عندما كان في حديقة «الهايد بارك» وهي واحدة من أكبر الحدائق الموجودة في مدينة لندن عاصمة انجلترا، شاهد متسولاً يمسك الكتاب بإحدى يديْه، وباليد الأخرى يمسك بها كلبه المدلل، كل ذلك والمطر ينزل وينهمر بغزارة على رأسه، حتى المطر لم يثنه عن القراءة؛ وهذا إنّ دلّ فإنما يدلّ على مدى اهتمام هذه الشعوب بالقراءة بالرغم من اختلافنا معهم في مضمون وفائدة ما يقرءونه.

ماذا حدث؟ لقد أصبحنا في مؤخرة الركب؛ لأننا أهملنا دعائم الحياة الأساسية، والتي تأتي القراءة من أهمها وأعمقها وأشدها تأثيرًا وأثرًا!.

لا أريد أن تبدو الصورة سوداوية كئيبة ولكننا نريدُ أن نعرف أين الداء ومكمنه كي نجد الدواء المناسب لمشكلة العزوف عن القراءة، وعدم معرفة الجامعيين بأبسط قواعد دخول المكتبات العامة وطرق استخراج الكتب منها.

ويحكي أحدهم موقفين لشابين عربيين نستطيع من خلالهما أن نقيّم حجم الغيبوبة الموحشة التي يغطّ فيها شبابنا العربيّ، وندرك منها كذلك مدى المسافة بينه وبين القراءة والكتاب فيقول: «كنتُ جالسًا قبل أيام في إحدى مكتبات جامعاتنا الكبرى!.

فجاءني طالبان وقالا: نريد كتابًا عن موضوع مُعيَّن! فقد طلب الدكتور منا ذلك، قلتُ لهما: هذه أجهزة البحث فابحثا من خلالها عن الموضوع أو بالعنوان، ستظهر لكما جميع الكتب الموجودة في المكتبة عن الموضوع الذي تبحثان عنه!.

قالا: ولكننا لا نعرفُ طريقة البحث، فذهبتُ إلى الجهاز وبحثتُ لهما، فوجدتُ مجموعة من الكتب، وقلت: أيّ هذه الكتب يناسبكما؟!

قالا: أيّ كتاب، نحن نريدُ تصوير الغلاف والفهرس فقط كما طلب الدكتور!

اخترتُ أحد هذه الكتب وأخذتُ تصنيفه، وقلت لهما: اذهبا إلى هذا الرقم وحسب الأحرف ستجدان الكتاب الذي اخترته لكما، وحوله مجموعة من الكتب في نفس الموضوع، وقريبًا منه ومن خلال العناوين والمقدمات والفهارس اختارا ما يناسبكما!

ذهبا وهما يشكران، وبعد فترة ليست بالطويلة عادا وقالا: لم نجد أيّ كتاب! فذهبت معهما ووجدتُ مجموعة من الكتب، وتبيَّن لي أنهما لا يعرفان طريقة البحث من خلال التصنيف، بل كان سؤال أحدهما: هل أستطيع أخذ الكتاب معي إلى البيت!!! [١].

الطالبان يشعران أنهما دخلا مكانًا وعالمًا غريبًا عليهما، أو أنهما في بيت المتاهة اللذين لو كانا فيه لما كان يعجزان كل هذا العجز الكبير، والشعور بأنهما غارقان في عالم مجهول!.

ويبقى السؤال: من أهمل هؤلاء حتى صارا بهذا التيه، وبهذه الغُربة الشديدة عن المكتبة ونظامها، أم أنهما يا ترى أهملا أنفسهما؟!.

وفي تقرير إحدى الجامعات في عالمنا العربيّ الذي أكد أن ٧٢% من خريجي الجامعات، يتخرجون دون أن يقوموا باستعارة كتاب واحد من مكتبة الجامعة!.[٢] .

وحسنًا ما فعلت وزارة التربية والتعليم منذ فترة ليست بالطويلة، بأن جعلت حصة للمكتبة من ضمن حصص مادة اللغة العربية، وكم كانت مفيدة للطلاب

---

(١) من مقال الطريق إلى المكتبة: شلاش الضبعان.
(٢) اقرأ حاتم سلامة.

والطالبات من معرفة قواعد المكتبة وآدابها، وكيفية استعارة الكتب، ولكن كالعادة سرعان ما تم حذف هذه الحصة وجعلها حصة نشاط!

والحق يُقال بأن مشروع مكتبة الأسرة ومهرجان القراءة للجميع كانا من أجمل وأنجح المشاريع الثقافية في مصر خلال العشرين سنة الأخيرة.

فقد كان يتم إصدار وطباعة كتب تراث، وكتب دينية هامة بأسعار زهيدة مقارنة بأسعارها في المكتبات.

ولقد أعجبتني تجربة دولة «البرازيل» من أجل تشجيع شعبها على حب القراءة فكانت تقيمُ مسابقات للمسجونين في سجونها، فكل كتاب يقرأه السجين ويكتب عنه تقريرًا، يُقلِّص مدة العقوبة (٤) أيام.

فالكتب والقراءة هي الحياة، هي الروح، فهل يستطيع إنسانٌ ما أن يعيش بدون روح؟! سوف يصبح جثة هامدة.

يقول الدكتور. حسين مؤنس في مقدمة إحدى كتبه عن حالنا الذي وصلنا إليه: «لقد أصبحنا ذيولاً للأمم، وفي مؤخرة الركب، لأننا غفلنا عن أول أمر، أمرنا به الله عَزَّوَجَلَّ وهو «اقرأ»، القراءة التي هجرْناها وتركناها وأهْملْناها، بل قلنا إنها ترفًا وتَزْجية وقت ليس إلا، وهواية من الهوايات».

وهي ليس كذلك بل هي أمر من الله عَزَّوَجَلَّ والأمر من الله يستحق أن يُنفذ، وأهل اللغة يقولون: أنَّ الأمر للوجوب والإلزام.

فالقراءة حياة الشعوب، ومفتاح المعرفة للوصول إلى الرقي والتقدم في شتى المجالات، وتخلُّف كثير من مجتمعاتنا العربية أحد أبرز أسبابه انغلاقها وهجر القراءة، فالقراءة غذاء الروح، ومتعة النفس.

وأراد الدكتور عائض القرني أن يَدْلو بدلْوه عن أهمية القراءة فقال:

« أما من لم يقدر له الله أن ينال نعمة القراءة، فلا تراه يفرّق بين المكتوب والمرسوم، واللعب والجد، والحق والباطل، مما يسطر في صفحات الكتب والجرائد والمجلات، والألواح والصخور، إلا بأن هذا لون صوّرته له الرؤية، لا يعلم من محتواه شيئًا، ولا يدري من مضمونه عرفًا ولا نكرًا، يرى الحروف والكلمات والجمل والسطور، رؤية قد يعجبه جمالها، دون أن يعرف ما تحمله في أحشائها من جواهر وأصداف، أو ما أثقلتْ به صنوانها الدانية، وأغصانها من ثمار لذيذة يانعة، لا فرق بينه وبين صبي خرج لتوه من رحم أمه، أو مجنون فقد عقله، فكلهم حُرم من التمتع بنعمة القراءة، إلا أن الصبي والمجنون معذورون بسقوط التكليف عنهما، وهو من المؤهلين للتكليف العيني والواجب الكفائي في أمور دينه دنياه» [1].

وأراد د. حسين مؤنس أن يوضح أهمية الكتاب، والفارق بين الإنسان الذي يقرأ ليستفيد، والقارئ ليتسلى فقال:

«وقد انقضى علينا زمان ونحن نقول: إن الكتاب أنيس ورفيق، وإن القراءة تسلية، وإزجاء فراغ، وليس أضر على التكوين الذهني للأمم من مثل هذا الكلام، فإن الكتاب ليس مجرد أنيس أو رفيق، وإنما هو مُعلم ودليل، والقراءة ليست مجرد تسلية وإزجاء فراغ، إنما هي عمل وتكوين ذهن، والذي يقرأ ليتسلى إنما هو رجل مسترخ لا ينشط، والذي يقرأ ليتعلم رجل يقظ متحفز.

وهذا يتوقف بداهةً على موقفك من الحياة، ونظرتك لنفسك، فإن كنت ممن يجلسون على سور الحياة ليتفرجوا على الآخرين، فلا عليك قرأت أم لم تقرأ، فإنَّ حياتك كلها فراغ يزجيه لك الآخرون، وكل شيء بالنسبة لك تسلية ولعب وفرجة وتعاسة أيضًا!!.

---

(١) عاشق: د. عائض القرني.

إذ ليس في الدنيا أتعس من إنسان يعيش على هامشها، أمّا إذا كنت ممن لا يقنعون بالجلوس على السور، بل ممن يقفزون إلى الحلبة، ويدخلون المعترك، ويعرفون الفوز والفشل ويُعاودُون الكفاح مرة بعد مرة، فليس في حياتك لحظة فراغ، ولست في حاجة إلى ما يسليك، وإنما وقتك كله عمل وجهد حتى عندما تسكت لتستريح، فأنت تستجمع قواك وتجدّدها لتواصل العمل، وهنا تصبح القراءة بالنسبة لك عملاً إيجابيًا نافعًا، وهذه مذهب العقلاء جميعًا في الكتب والقراءة، فكل كتاب يقرءونه إنما هو سلاح جديد من أسلحة المعركة».

يقول أحد الحكماء: «إذا أردت أن ترى منزلة أمة من الأمم من الحضارة، وتقيس حظها من الثقافة، فانظر إلى منزلة القراءة فيها، وموضوعها من سُلّم اهتماماتها».

وشبيه به قول سقراط: «إذا أردتُ أن أحكم على أيّ إنسانٍ فإنِّي أسأله كم كتابًا قرأت»؟

وقال المفكر الروسي سولزر: «القراءة فن الحياة الرائع».

وقال مونتين: «أن تقرأ يعني أن تجد الصديق الذي لا يخونك» [١].

وفي أثناء رحلات السفر تحديدًا تشاهد بوضوح تلك الخيْبة العربية، فتجد الشباب الغربي منهمكًا في القراءة بعمق، بينما شبابنا العربي غارق في التفاهات، منشغلون باللهو والمرح والهرج، أو سماع الأغاني والأفلام في الحاسب والمحمول.

شبابنا العربي يعيش في غيبوبة، بينه وبين القراءة شِقاق بعيد.

هذا السَّفر الذي هو قطعة من العذاب، ونستعين فيه بكل ما يرفِّه عنا ويخفِّف من وعْثائه، وهم يستعينون بالقراءة؛ لأن فيها راحتهم وترفيههم! [٢].

---

(١) اقرأ: حاتم سلامة.
(٢) المصدر نفسه.

يقول الكاتب عبد الله الجميلي مقارنًا بين الصنفيْن:

«لو قادتك الصدْفة يومًا إلى رحلة دولية طويلة بالطائرة، فسوف تسجل ذاكرتك صورة ذلك المسافر الغربي أو الأوربي الذي يقضي وقت الرحلة في مطالعة كتاب وَرَقيّ أو كمبيوتري، بينما المسافر العربي غالبًا يقضي وقته في مُطاردة المضيفة بنظراته أو يُزعج جاره بشخيره وتنهداته، أو يعبث بلحيته أو بشنباته، أما القراءة فهي آخر اهتماماته على الطائرة أو حتى في كل تفاصيل حياته!» [١].

ولقد تعجب الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حال أمتنا التي هجرت الكتاب والقراءة حين قال: «والغريب أن الكتاب ليس له موضع عتيد في البيت الإسلامي، مع أننا الذين علّمنا الغربَ كيف يقرأ ويتثقف؟!، ينبغي أن تكثر الكتب العلمية والأدبية والتاريخية والدينية في بيوتنا، وأن يكون الكتاب سفيرًا مُتجولاً في عواصم العالم يعرف بنا، ويُحدّث عنا»[٢].

وما أصدقَ هذه المقولة التي تلخص حالنا مع الكتاب والقراءة تقول: «إذا أردت ألا يُسرق منك شيء ضَعْه في كتاب، فهذه الأمة لا تفتح كتابًا!».

إن مفتاح قيام هذه الأمة هي كلمة «اقرأ».

لا يمكن أن تقوم الأمة من غير قراءة.

ولهذا قال اليهودي« موشى ديان »عن أمة العرب:

«العرب لا يقرءون....

وإذا قرءوا لا يفهمون...

وإذا فهموا لا يُطبِّقون...!

---

(١) من مقال بين الشخير والقراءة: عبد الله الجميلي.

(٢) مستقبل الإسلام خارج أرضه: محمد الغزالي.

وأكمل قائلاً: نحن لا نخشى أُمة العرب، أُمة لا تقرأ، أُمة غير مَهيبة ولا مَرْهوبة.

وصدق اليهودي وهو كذوب.

وقيل: القراءة مثل الماء والهواء، لا يعيش الإنسان بدونهما، وبدون القراءة لا يجد الإنسان ذاته، بل يعيشُ في الدنيا مُنْقطعًا عن الحياة والأحياء.

وقال العقاد: «القراءة وحدها هي التي تعطي الإنسان الواحد أكثر من حياة واحدة؛ لأنها تزيد هذه الحياة عمقًا».

لقد كانت القراءة في حياة السلف هي المعنى الجميل الذي يجدونه فيها، ويعيشون في دوْحته، لا يستطيعون أن يمر يومٌ من أيامهم دون القراءة والمطالعة، فأزمانهم أغلبها بين الكتب، ينهلون من فيْض معارفها.

وحاجة الإنسان إلى القراءة حاجة ماسة، وعُنصرٌ هام من عناصر الحياة السعيدة، فكيف نُهملها ونتغافل عنها؟! أوْلى بنا أن نُغيّر من بلادنا فنهبّ إلى المطالعة، ونُصادق الكتب، ونُنحي عنها غبار الإهمال، ونعاهدها ألا تغيب عن أيدينا أبدًا.

ويقول د. طه حسين عن القراءة في حياة الأمم والشعوب: «زاد الشعب هو القراءة، يُقبل عليها ويشبع بها جوعه إلى العلم والمعرفة وألوان الحضارة، إنَّ الحث على القراءة خيْر ما يوجّه إلى الأفراد والجماعات في جميع الأمم والشعوب، وفي الشعوب العربية بوجه خاص، بل هو خير ما وجّه إلى الإنسان منذ أن تحضَّر إلى الآن».

فالقراءة سياحة العقل بين آثار الفكر البشري، القراءة قرابة ذِهْنية، وصداقة فكرية، القراءة تزيل الفواصل الزمنية، والفوارق الاجتماعية، والحدود الجغرافية، القراءة طريق السلام والتفاهم الدولي، القراءة تنظيم للبحث العلمي، وتوجيه للإنتاج.

إنَّ أهم ما يجب أن نغرسه في الطفل والشاب: أن يتعوَّدا على القراءة، أن يُدمنا القراءة، أن نتركهما يقرآن أي شيء، لأنَّ أهم ما في القراءة سعة الأفق وقوة الإدراك،

والخيال الخصب والمتعة، والله خلق الإنسان قارئًا مُتحَدّثًا مُفكّرًا، وأول كلمة في القرآن «اقرأ».

وما تقدمتْ أمة من الأمم إلا كان العلم رائدها الذي يدفعها للقيادة وما تأخرتْ أمة إلا كان بينها وبين العلم حجاب وسدود، والقراءة هي طريق العلم، والباعث على التفوق والنهوض والكتاب في حياة المتقدمين له قدسيته ومقامه في طريقهم للريادة المنشودة التي لا تنالُ أبدًا بالجهل وضحالة الثقافة، وإذا أراد الإنسان أن يسمو بنفسه، ويَرْقى بعقله ويشعر بتميزه كإنسان فذلك لن يتأتى إلا بالقراءة والعلم والثقافة التي أصبح حظها ضعيفًا، ووازعها معدومًا في بلادنا، مما أدَّى لتأخرنا عن ركب الحضارة، ومسيرة القيادة التي كُنَّا فرسانها يوم كان العلم والكتاب رائدنا [1].

(١) اقرأ: حاتم سلامة ص ٣٩٠.

قال الأمير عبد الله المأمون:

«لا نُزهة ألذُّ من النظر في عقول الرجال».

«تاريخ الخلفاء، والأذكياء»

٢ـ الواقع المرير

الأرقام الناطقة خير شاهدٍ على وضع الكتاب في عالمنا العربي، والكتاب اليوم يعيش مرحلة احتضار إنْ لم نتدارك الأمر، إن الأمة التي لا تقرأ لا تعرف نفسها ولا تعرف غيرها، فالكتاب عند الشعوب البائسة خير تعيس، وعند الشعوب المتطورة خير جليس.

وإذا أردنا نهضة الكتاب وتطوره للمعرفة فلابد أن نعرف الأرقام والإحصائيات ونقارنها مع مجتمعاتنا، وكما قالوا الأرقام لا تكذب ولكنها تُنبئ عن واقع مرير حالك لأمة «اقرأ».

حركة دور النشر:

١- نسبة الأمية في اليابان اختفت منذ القرن التاسع عشر، ويلعب الكتاب دورًا بارزًا في حياة الفرد الياباني، فمؤسسات النشر اليابانية تُصدر ٣٥,٠٠٠ عنوانًا جديدًا في كل سنة تقريبًا، وتعدّ اليابان ثاني أعظم قوة صناعية في العالم.

٢- مُعدل طباعة الكتاب في البلدان العربية والإسلامية لا يتجاوز ٣,٠٠٠ نسخة في المعدل العام، وإذا وصَل الكتابُ إلى ٥٠٠٠ نسخة فيُعتبر من الكتب الرائجة، ولا تنس أن عدد سكان الأمة الإسلامية والعربية أكثر من مليار مسلم، وهذا عدد الكتب وليس الذين يقرءون.

٣- في عام ١٩٩١م تراجعتْ صناعة الكتاب الورقي، فالعناوين الجديدة لا تتجاوز ٢٩ عنوانًا لكل ١٠٠٠٠٠٠ مسلم، مقارنة مع ٧٢٦ عنوانًا في البلدان المتقدمة كما نشرتها منظمة اليونسكو، وأما في السنوات الأخيرة فيصدر كتاب لكل ٣٥٠٠٠٠

مُسلم، بينما يصدر كتاب لكل ١٥ ٠٠٠ مواطن في أوروبا، كما أن كل دور النشر العربية تسْتوعبُ من الورق ما تستهلكه دار نشر فرنسية واحدة هي «باليمار».

٤- تؤكد إحصائيات اليونسكو أن إنتاج الكتب في البلدان العربية لم يتجاوز ١٪ من الإنتاج العام، رغم أن العرب يُشكلون ٥٪ من سكان العالم.

٥- في السنوات الأخيرة يصدر ٣٠ كتابًا لكل ١٠٠٠ ٠٠٠ عربي، بينما يصدر ٥٨٤ كتابًا لكل ١٠٠٠ ٠٠٠ أمريكي، ومعدل نشر الكتاب في العالم العربي لم يتجاوز ٧٪ في مقابل ٥٤٪ بأوربا، و ٢٣٪ بآسيا.

٦- في التقرير العربي الأول للتنمية الثقافية لعام ٢٠٠٧م الذي نشرته مؤسسة الفكر العربي ٢٠٠٨م وهو التقرير الخاص الذي يرصد بدقة الأوضاع الثقافية في الوطن العربي وصلوا إلى أن إجمالي الكتب التي نُشرت في العالم العربي في عام ٢٠٠٧م بلغت ٢٧٨٠٩ كتاب، ولا تمثل الكتب المنشورة في العلوم والمعارف المختلفة من هذا الرقم سوى ١٥٪، بينما تصل نسبة الكتب المنشورة في الأدب والأديان والإنسانيات إلى ٦٥٪.

٧- هناك كتاب يَصْدر لكل ١٢ ٠٠٠ مواطن عربي، بينما هناك كتاب لكل ٥٠٠ إنجليزي، ولكل ٩٠٠ ألماني، أي أن $\frac{١}{٥}$ معدل القراءة في العالم العربي لا يتجاوز ٤٪ من معدل القراءة في انجلترا!! [١].

القراءة العامة:

١- منظمة اليونسكو في تقرير لها عن القراءة في الوطن العربي تقول: إن المواطن العربي يقرأ ٦ دقائق في اليوم!!!!، بينما المتوسط العالمي هو ٣٦ دقيقة في اليوم (مع ملاحظة أن هذه الإحصائية محذوف منها قراءة الصحف والمجلات، والكتب المدرسية، وملفات العمل وقراءة التقارير، وقراءة الكتب للتسلية).

(١) صحيفة المدينة (ملحق) ١٧/ ٨/ ٢٠٠٥م، ومن كتاب (كيف أقرأ؟).

٢- وفي تقرير لصحيفة «الشرق الأوسط» عن حالة القراءة في الوطن العربي أشرف عليه المئات من الخبراء والعلماء، توصلوا إلى نتيجة صادمة وهي: «إن ثلث الرجال ونصف النساء لا يقرءون».

٣- وأن كُلّ ٢٠ عربيًا يقرءون كتابًا واحدًا في السنة، بينما يقرأ كل ألماني ٧ كتب في السنة، أي يقرأ ٢٠ ألمانيًا ١٤٠ كتابًا في السنة، في حين يقرأ ٢٠ عربيًا كتابًا فقط لا غير!!! (١).

٤- أما الأمريكي فمعدل قراءته ١١ كتابًا، والانجليزي يصل إلى ٧ كتب سنويًا، وكل يهودي إسرائيلي ٧ كتب.

٥- مداولات سوق الكتب العربيّ بَيْعًا وشراءً لا تتجاوزُ ٤ مليون دولارًا أمريكيًا سنويًا في حين يصل هذا الرقم في دول الاتحاد الأوربي إلى ١٢ مليار دولار.

الترجمة:

- والعجيب في الأمر أن دولة فقيرة مثل ليتوانيا التي عدد سكانها ٧ مليون نسمة تترجم أكثر ما تُترجمه الدول العربية مُجتمعة.
- لا يترجم العرب جميعًا خمس ( ) ما يترجمه اليونانيون وحدهم من الكتب.
- الأمة العربية لم تترجم سوى (١١٠٠٠) كتاب منذ العصر العباسي وحتى وقتنا الحاضر!.
- في أسبانيا وحدها تُرجم أكثر من (١١٠٠٠) كتاب في العام الواحد!!
- إحصائيات عام ١٩٩٦م أشارت إلى أن كل ما تطبعه الدول العربية والبالغ عدد سكانها ٢٦٠ مليون نسمة، لا يصل إلى نصف ما تنشره إسرائيل التي لا يتجاوز عدد سكانها ٦ ملايين نسمة.

---

(١) كيف أقرأ: د. طارق سويدان.

- ينشر العالم العربي أقل من ٢٠٠٠ كتاب في السَّنة، كتب الطبخ تحتل الصدارة بنسبة ٢٣٪ على الانترنت!!.
- تمّ تحميل ١٥٠ كتابًا في عام ٢٠٠٩م، مقابل ٤٣ مليون فيلم وأغنية في نفس العام!!.
- يحتل البحث عن كتاب في «جوجل» المرتبة الـ ١٥٣ من بين اهتماماتنا العربية، وأهم ٣ مواضيع يبحث عنها العربي في جوجل هي على الترتيب: الجنس ثم الطبخ ثم الفضائح!!.

ومهما كانت حدة الأرقام وبشاعتها، فإننا نشهد في واقعنا تردّيًا ثقافيًا يُحتم علينا أن نُوجّه الدعوة لنلفت العقول إلى علة تأخرنا عن ركب الحضارة، والأرقام تؤكد بأن هناك خُصومة وهَجْر وشِقاق بيننا وبين القراءة، وأننا نعتبرها من الهوايات، ومعظم الناس تعرف هذه الحقيقة جيدًا، والواقع جدّ مرير حاليًا وخصوصًا بعد ارتفاع أسعار الكتب، والوضع الاقتصادي الصعب الذي يعيشه معظم شباب العرب، فلابد من التعامل مع هذه الأرقام بكل جدية فهل من مستمع؟!.

- وهناك علاقة بين الخلل الثقافي والتخلف الحضاري، فالتخلف يؤدي إلى مزيد من إرباك الثقافة وسحب الثقة منها، إننا لا نستطيع أن نقنع الأعداء بالكف عن آذانا، كما أن البشر جميعًا لا يستطيعون منع الثلج من السقوط، ولكننا نستطيع أن نُحصِّنَ أنفسنا من مطر السماء وثلوجها، وأرْقى أنواع التحصين هو «التحصين الثقافي» [1].

(١) كيف أقرأ: د. طارق سويدان ص ١٥.

لا بد أن نشعر أن القراءة هي التي تبني في الإنسان شخصيته وفكره وسلوكه، وأن البنية المعرفية والتي مفتاحها القراءة أهم بكثير من أيِّ بنية أخرى.

إن القراءة هي الطريق الوحيد للنهوض مرة ثانية من ثُباتنا العميق.

يقول محمد عدنان سالم:

«أعطني مجتمعًا قارئًا أُعْطِك كل مفاتيح التقدم والنهوض، والعيش الرغيد».

وهذا أيضًا ما يؤكده **د. خالص جلبي حيث يقول عن التخلف الحقيقي، وعن أهمية القراءة:** «لو أمطرت السماء ذهبًا وفضة، ما ارتفع التخلفُ، فالتخلف مكانه العقل وليس الجيب».

لابد من إرادة حازمة وعزيمة الأبطال لكي نحُوِّل عزوفنا عن القراءة إلى شغفٍ بها.

يقول الجاحظ:

«الكتاب نعم الذخر والعُقدة، ونعم الجليس والعُدة، ونعم النشرةُ والنُزهة، ونعم المشتغلُ والحرفة، ونعم الأنيسُ لساعة الوحدة، ونعم المعرفةُ ببلاد الغُربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل».

«الحيوان للجاحظ»

[٣١/١]

٣ـ نعتهم للكتاب

كان للكتاب مكانة كبيرة في الحضارة الإسلامية، وقد اتفق على وصفه ومدحه والثناء عليه، مجموعة من العلماء والأدباء والمتعلمين، وإليك بعض الأوْصاف التي وصفوا بها الكتاب:

■ **أحمد بن إسماعيل ويكنى: أبا علي المعروف بنطّاحة:**

«الكتاب هو المسافر الذي لا يبتدئك في حال شغلك، ولا يدعوك في وقت نشاطك، ولا يحوجك إلى التجمل له، والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يغريك، والرفيق الذي لا يملك، والناصح الذي لا يستزلّك»[١].

■ **وقد أهدى أحد الكُتاب إلى صديق له دفترًا (كتابًا) وكتب له:** «هديتي هذه – أعزك الله – تزكو [٢] على الإنفاق، وتربو على الكد، لا تُفسدها العواري، ولا تُخلقْها كثرة التقليب، وهي أنسٌ في الليل والنهار، والسَّفر والحضر، تصلح للدنيا والآخرة، تؤنس في الخلوة، وتُمتِّع في الوَحْدة، مسامرٌ مساعدٌ، ومحدّث مطواع، ونديمٌ صديق» [٣].

■ **وقال بعضهم:** الكتب بساتين العلماء [٤].

■ **وقال آخر:** الكتاب جليسٌ، لا مؤونة له.

■ **الفضل بن سهل:**

وقال الفضل بن سهل للمأمون وهو بدمشق بدير مُرّان مُشرف على غُوطتها: يا أمير المؤمنين، هل رأيت لحُسْنها شبيهًا في شيء من مُلك العرب؟ يعني الغُوطة.

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢٠.
(٢) تزكو : تنمو.
(٣) المحاسن والمساوئ (١/ ٨)، والمحاسن والأضداد.
(٤) المحاسن والمساوئ (١/ ٦)، والمحاسن والأضداد.

قال: بلى والله، كتاب فيه أدبٌ يجلو الأفهام، ويُزكي القلوب، ويؤنس الأنفس، أحسنُ منها [١].

■ **وقال شاعر العربية أبو الطيب المتنبي:**

أَعزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرْجُ سَابِحٍ
وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمانِ كِتَابُ

■ **عبد الله بن المعتز:**

وقال عبد الله بن المعتز: «الكتاب والج للأبواب، جرئٌ على الحُجَّاب، مُفهمٌ لا يَفهم، وناطقٌ لا يتكلم».

■ **المعافي بن زكريا:**

وقال المعافي بن زكريا: «الكتاب حاضرٌ نفعه، مأمونٌ ضرّه، ينشط بنشاطك، فينبسط إليك، ويملّ بملالك، فينقبض عنك إنْ أدْنيْتُه، وإنْ أنأيته نأى، لا يبغيك شرًا، ولا يفشيك عليك سرًا»[٢].

■ **المأمون:**

وقال المأمون:

«لا شيء آثر للنفس، ولا أشرح للصدر ولا أوفى للعرض، ولا أذكى للقلب، ولا أبسط للسان، ولا أشد للجنان ولا أكثر وفاقًا، ولا أقلّ خلافًا، ولا أكثر عبارة من كتاب تكثر فائدته، وتقل مؤونته، وتسقط غائلته، وتحمد عاقبته، وهو محدث لا يمل، وصامت لا يخل، وجليس لا يتحفظ، ومترجم عن العقول الماضية والحِكم الخالية والأمم السالفة، يحيي ما أماته الحفظ، ويُجدّد ما أخلقه الدهر، ويُبرز ما حجبته الغباوة، ويصل إذا قطع الثقة، ويدوم إذا خان الملوك».

---

(١) المحاسن والمساوئ (١/ ٨).
(٢) الجليس الصالح الكافي.

■ **أبو الحسن علي بن هارون النديم** [١]:

وقال أبو الحسن علي بن هارون النديم:

إذا مـا خلـوتُ مـن المؤنسين
جعلتُ المحـدّثَ لـي دفتـري
فلم أخلُ من شاعـرٍ مُحسـنٍ
ومن مضحـكٍ طيِّبٍ مُنـدرِ [٢]
وإن ضاقَ صـدري بأسـراره
وأوْدعتُه السـرَّ لـم يُظهـر
فناديتُ منه كريـمَ المغيـبَ
لندْمانـه طيّـب المحْضـر
فلستُ أرى مُؤثرًا ما حَنيـتُ
عليه نُديمًـا إلـى المحْشَـرِ

■ **أبو هلال العسكري:**

وقال أبو هلال العسكري:

وجليسٍ حسن المحـ ❖❖ ضر مأمـونُ المغيـبِ
ميـتٌ يُخبـرُ حيًّـا ❖❖ بخفيـاتِ الغيـوبِ
أبْلـهٌ غيـرُ لبيـبٍ ❖❖ وهو في حالِ اللبيـبِ
جاهـلٌ غيـرُ أديـبٍ ❖❖ وهـو عـوْنٌ للأديـب
أخرسٌ غيرُ خطيـبٍ ❖❖ ولـه لفظُ الخطيـب [٣]

---

(١) المحاسن والمساوئ (١/ ١٨).
(٢) المندر: من يأتي بالنادر من القول أو الفعل.
(٣) ديوان العسكري: ص ٦٥.

الجاحظ (١٤٨ هـ - ٢٥٠ هـ)[١]:

ويُعتبر كاتب العربية الأول، وهو أشهر مَن تَحدّث عن فوائد الكتب وفضائلها ومحاسنها، وذلك في معظم كتبه، وبخاصة في كتابه «الحيوان».

وصف الكتاب:

ونعم الذخر والعُقدة[٢] هو، ونعم الجليس والعُدّة، ونعم النشرة والنزهة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنيس لساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغُربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل.

والكتاب وعاءٌ مُلِئَ علمًا، وظرْفٌ حُشِيَ ظرْفًا، وإناءٌ شُحِن مُزاحًا وجدًّا، إنْ شئت كان أبْين من سحْبان وائل، وإن شئت كان أعيا من باقل، وإن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت عجبت من غرائب فرائده، وإن شئت ألْهتك طرائفُه، وإن شئت أشْجَتْك مواعظُه.

ومَنْ لَك بواعظٍ مُلْهٍ، وبزاجرٍ مُغْرٍ، وبناسكٍ فاتك، وبناطقٍ أخرسَ، وببارِدٍ حار[٣].

ويواصل إمْتاعنا في وصفه للكتاب ويقول:

ومَن لك بطبيب أعرابيّ، ومَنْ لك برومِيٍّ هنديّ، وبفارسي يوناني، وبقديمٍ مُولّد، وبميِّتٍ ممتَّع، ومَنَ لك بشيءٍ يجمعُ لك الأولَ والآخر، والناقص والوافر، والخفيّ والظاهر، والشاهدَ والغائبَ، والرفيع والوضيع، والغثَّ والسمين، والشكل وخلافه، والجنس وضده[٤].

---

(١) هو عمرو بن بحر الجاحظ أبو عثمان البصري كان من رؤوس المعتزلة، وإليه تُنسبُ الفرقة الجاحظية من المعتزلة، وكان بحرًا من بحور العلم، وعاش تسعين سنة، وسُمي جاحظًا لجحوظ عينيه! أي لنتوئها، وكان موته بسقوط مجلدات العلم عليه، وكان في أيام «المعتصم» و «المتوكل»، وكان يُسمى بـ «خطيب المعتزلة».

(٢) العُقدة: كل شيء يستوثق الرجل به لنفسه، ويعتمد عليه ومنه «في عقدته ضعف» أي في رأيه ونظره في مصالح نفسه (اللسان: عقد).

(٣) الحيوان (١/ ٣١-٣٢).

(٤) الحيوان (١/ ٣٢).

الكتاب وعاء الفكر:

وبعد: فمتى رأيت بستانًا يحمل في رُدْن [١]، وروْضةً تُقلُّ في حِجْرٍ، وناطقًا ينطق عن الموتى، ويُترجم عن الأحياء!! ومَنَ لك لمؤنس لا ينام إلا بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى؛ آمن من الأرض، وأكتمُ للسر من صاحب السر، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة، وأحفظ لما اسْتُحفِظَ من الآدميين، ومن الأعراب المعربين.

ولا أعلمُ جارًا أبرَّ ولا خليطًا أنصفَ، ولا رفيقًا أطوعَ، ولا مُعلِّما أخضعَ، ولا صاحبًا أظهر كفاية، ولا أقلَّ جناية، ولا أقلَّ إملالا وإبْرامًا، ولا أحفلَ أخلاقًا، ولا أقلَّ خلافًا وإجرامًا، ولا أقلَّ غيبةً، ولا أبعدَ من عضيهة [٢]، ولا أكثر أعجوبة وتصـرّفًا، ولا أقلَّ تصلُّفًا وتكلُّفًا، ولا أبعدَ من مراءٍ، ولا أترك لشغبٍ، ولا أزهدَ في جدالٍ، ولا أكفَّ عن قتالٍ من كتاب[٣].

الكتاب متعدد الصفات:

ولا أعلمُ قرينًا وأحسنَ موافاةً، ولا أعجل مكافأة، ولا أحضرَ معونةً، ولا أخفَّ مؤونة، ولا شجرةً أطولَ عمرًا، ولا أجمعَ أمرًا، ولا أطيب ثمرةً، ولا أقربَ مُجتنى، ولا أسرع إدراكًا، ولا أوجدَ في كل إبَّانٍ من كتاب، ولا أعلمُ نِتاجًا في حداثة سنه وقُرب ميلاده، ورُخص ثمنه، وإمكان وجوده، يجمع حسن التدابير العجيبة والعلوم الغريبة، ومن آثار العقول الصحيحة، ومحمود الأذهان اللطيفة، ومن الحِكم الرفيعة، والمذاهب القويمة، والتجارب الحكيمة، ومن الإخبار عن القرون الماضية، والبلاد المتنازحة، والأمثال السائرة، والأمم البائدة، ما يجمعُ لك الكتابُ[٤].

---

(١) الردن: أصل الكم، وقيل هو الكم كله. (اللسان: ردن).
(٢) العضيهة: السحر. (اللسان: عضه).
(٣) الحيوان (١/ ٣٣).
(٤) الحيوان (١/ ٣٣-٣٤).

فضل الكتاب:

والكتابُ هو الذي يؤدي إلى الناس كتبَ الدين، وحسابَ الدواوين مع خفة نقله، وصغر حجمه، صامت ما أسكتَّه، وبليغٌ ما استنطقْته.

ومَن لك بمسامرٍ لا يبتديك في حال شُغلك، ويدعوك في أوقات نشاطك، ولا يُحوجك إلى التجمُّل له والتذمُّم منه، ومَن لك بزائرٍ إنْ شئت جعل زياتَه غبًّا، وورُوده خِمْسًا، وإن شئتَ لزمك لزوم ظلِّك، وكان منك مكانَ بعضِك[١].

الكتاب خيرُ جليسٍ:

والكتابُ هو الجليسُ الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يفْريك، والرفيق الذي لا يملُّك، والمسْتميح[٢] الذي لا يستريُثك [٣]، والجارُ الذي لا يسْتبطيك، والصاحبُ الذي لا يريدُ استخراج ما عندك بالملق، ولا يُعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق، ولا يحتالُ لك بالكذب.

والكتاب هو الذي إن نظرتَ فيه أطالَ إمتاعَك، وشَحَذَ طباعَك، وبسَط لسانك، وجوَّد بنانك، وفخَّم ألفاظك، وبجَّح [٤]نفسك، وعمَّر صدرك، ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك، وعرفت به في شهر، ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر، مع السلامة من الغُرم، ومن كدّ الطلب، ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعليم، ومن الجلوس بين يديْ من أنت أفضلُ منه خُلُقًا، وأكرمُ منه عِرْقًا، ومع السلامة من مجالسة البغضاء ومقارنة الأغبياء[٥].

الكتاب خير مُعلّم:

والكتابُ هو الذي يُطيعك بالليل كطاعته بالنهار، ويطيعك في السفر كطاعته

---

(١) الحيوان (١/ ٣٨).
(٢) المستميح: طالب العطاءِ في رفق.
(٣) استراث: استبطأ. (اللسان: ريث).
(٤) بجَّح: فرّح. (اللسان: بجح).
(٥) الحيوان (١/ ٣٩).

في الحضر، ولا يعتلُّ بنوم، ولا يعتريه كلالُ[١] السهر، وهو المعلم الذي إن افتقرت إليه لم يُخفرك [٢]، وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة، وإنْ عُزلتَ لم يدعْ طاعتك، وإنْ هبّت ريح أعاديك لم ينقلب عليك، ومتى كنت منه مُتعلِّقًا بسبب أو معتصمًا بأدنى حبل، كان لك فيه غنىً من غيره، ولم تضْطرك معه وحشة الوَحدة إلى جليس السوء.

ولو لم يكن من فضله عليك، وإحسانه إليك، إلا منعُه لك من الجلوس على بابك، والنظر إلى المارة بك، مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم، ومن فضول النظر، ومن عادة الخوض فيما لا يعنيك، ومن ملابسة صغار الناس، وحضور ألفاظهم الساقطة، ومعانيهم الفاسدة، وأخلاقهم الرديَّة، وجهالاتهم المذمومة، لكان في ذلك السلامة ثم الغنيمة، وإحراز الأصل، مع استفادة الفرع. ولو لم يكن في ذلك إلا أنه يشغلك عن سُخف المُنى، وعن اعتياد الراحة، وعن اللعب، وكلِّ ما أشبه اللعب، لقد كان على صاحبه أسبغَ النعمةَ وأعظمَ المِنَّة[٣].

الكتاب قد يفضل الكاتب (أي صاحبه وكاتبه):

والكتابُ قد يفضلُ صاحبه، ويتقدَّمُ مؤلفه، ويرجِّح قلمه على لسانه بأمور:منها أن الكتاب يُقرأ بكل مكان، ويظهرُ ما فيه على كل لسان، ويوجد في كل زمانٍ، على تفاوت ما بين الأعصار، وتباعد ما بين الأمصار، وذلك أمرٌ يستحيل في واضع الكتاب، والمنازع في المسألة والجواب.

ومناقلة اللسان وهدايته لا تحوزان مجلسَ صاحبه، ومبلغَ صوته، وقد يذهب الحكيمُ وتبقى كتبُه، ويذهبُ العقلُ ويبقى أثره، ولولا ما أوْدعتْ لنا الأوائلُ في كتبها، وخلّدت من عجيب حكمتها، ودوّنت من أنواع سيرها، حتى شاهدنا بها ما غاب

(١) كلال: تعب (اللسان: كلل).
(٢) يخفرك: الخفر: شدة الحياء. (اللسان: خفر)
(٣) الحيوان (١/ ٣٩).

عنَّا، وفتحنا بها كلَّ مُستغلق كان علينا، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم، وأدركنا ما لم نكن ندركه إلا بهم، لما حَسُنَ حظنا من الحكمة، ولضعف سببنا إلى المعرفة.

ولو لجأنا إلى قدر قوَّتنا، ومبلغ خواطرنا، ومنتهى تجاربنا لما تدركه حواسُّنا، وتشاهده نفوسنا، لقلّت المعرفة، وسقطتْ الهمة، وارتفعت العزيمة، وعاد الرأيُ عقيمًا، والخاطر فاسدًا، ولكلَّ الحدُّ وتبلَّد العقلُ[١].

تعريفه للعشق:

قال العلَّامة الجاحظ مُعرِّفًا العشق فيقول:

قال المبرِّد [٢]: سمعت الجاحظ يقول: كل عشق يُسمَّى حُبًّا، وليس كل حب يُسمَّى عشقًا، لأن العشق اسمٌ لما فضل عن المحبة، كما أن السَّرف اسمٌ لما جاوز الجُود، والبخل اسمٌ لما قصر عن الاقتصاد، والجُبْن اسم لما فضل عن شدة الاحتراس، والهوج اسمٌ لما فضل عن الشجاعة.

يقول ثابت بن قرّه الصابي [٣]: مما فضَّل به أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على غيرها من الأمم: عمر بن الخطاب بسياسته، والحسن البصري بعلمه، والجاحظ ببيانه.

عشق الجاحظ للكتب:

وعن عشقه للكتب حدث أبو هَفّان [٤] قال: لم أر قطُّ ولا سمعتُ مَنْ أحبّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنه لم يقع بيده كتابٌ قطُّ، إلا استوفى قراءته، كائنًا ما كان، حتى إنه كان يكتري دكاكين الورَّاقين، ويبيتُ فيها للنَّظر.

أنتم جهال لا تعرفون النفيس من الخسيس:

وعن محمد بن سليمان الجوهري قال [٥]: كنا نصحب الجاحظ على سائر أحواله

---

(١) الحيوان (١/ ٥٩)، ورسائل الجاحظ (٤/ ٢٩٦-٢٩٧).
(٢) معجم الأدباء (١٦/ ٨٨).
(٣) معجم الأدباء (١٦/ ١٨)، وسرح العيون ص ٢٤٨.
(٤) الفهرست، وقيمة الزمن عند العلماء.
(٥) تقييد العلم.

من جد وهزل، قال: فخرجنا يومًا لنزهة، فبينما نحن على باب جامع البصرة، ننتظر شيئًا أردْناه، إذا عارضتنا امرأة معها أوراق مُقطَّعة، فعرضت ذلك علينا، فلم نجد فيها طائلًا، فتركناها وانصرفنا، وتخلّف معها الجاحظ، ونحن ننتظره، فأطال، ثم رأيناه قد وزن لها شيئًا ، وأخذ الأوراق، وقال: انتظروني، ومضى بها إلى منزله، فلما عاد أخذنا نهزأ به ونقول: فزت بقطعة من العلم وافرة، وضحكنا، فقال: أنتم حمقى، والله إن فيها ما لا يوجد إلا فيها، ولكنكم جُهال لا تعرفون النفيس من الخسيس!.

■ **ابن المقفع:**

قال عبد الله بن المقفع: «كل مصحوب ذو هفوات، والكتابُ مأمونُ العثرات»[١].

■ **عجاج نويهض:**

قال عجاج نويهض: «الكتاب صديق لا يخدع أبدًا» [٢].

■ **الأمير عبد الله المأمون:**

قال الأمير عبد الله المأمون: «لا نزهة ألذُّ من النظر في عقول الرجال».

■ **الرشيد والمأمون:**

دخل الرشيد على المأمون ابنه وهو ينظر في كتاب، فقال: ما هذا؟! فقال: هذا كتابٌ يشحذ الفكرة ويحسن العشرة، فقال: الحمد لله الذي رزقني مَن يرى بعين قلبه أكثر مما يرى بعين جسمه[٣].

■ **عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في المقبرة أو مع الكتاب:**

كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (العمري الزاهد) لا يجالسُ الناس، وينزلُ مقبرة من المقابر، وكان لا يكاد يُرى إلا وفي يده

(١) محاضرات الأدباء ١/ ١١٧.
(٢) كلمات من ذهب ٦٦٢.
(٣) زهر الآداب ١/ ١٤٢.

كتاب يقرؤه، فسُئل عن ذلك، وعن نزوله المقبرة فقال: «لم أرَ أوْعظ من قبر، ولا أمتع من كتاب، ولا أسلم من الوحدة، فقيل له: قد جاء في الوحدة ما جاء! فقال: ما أفسدها للجاهل وأصلحها للعاقل!» (١).

■ **أبو الفضل العجلي:**

قال عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن أبو الفضل العجلي: «إنَّ هذه الأوراق تَحلّ منا محل الأولاد» (٢).

■ **ابن الطقطقي:**

يقول ابن الطقطقي: «إن الكتاب هو الجليس الذي لا يُنافق ولا يَملُّ، ولا يُعاتب إذا جفوته، ولا يفشي سرك».

■ **ابن حمدون:**

قال ابن حمدون: «وجدت الكتاب خير صاحب وقرين، وأفضل رفيق وخدين، ولا يخون ولا يمين، ولا يُماكر ولا يُناكر، ولا يعصى ولا يُنافر».

■ **وصف الكتب لأحد الأدباء**

وقيل لبعض العلماء: ما مبلغ سرورك بكتبك؟

فقال: «هي إن خلوتُ لذّتي، وإن اهتممتُ سَلْوتي، وإن قلت: إن زهر البستان، ونور الجنان، يَجْلوان الأبصار ويُمتِّعان بحسنهما الألحاظ، فإن بستان الكتب يجلو العقل ويشحذ الذهن، ويُحيي القلب، ويُقوِّي القريحة، ويُعينُ الطبيعة، ويؤنس في الوَحشة، ويضحك بنوادره، ويسرُّ بغرائبه، يفيد ولا يستفيد، ويُعطي ولا يأخذ، وتصل لذته إلى القلب من غير سآمةٍ تُدْرِكُك، ولا مشقةٍ تعرض لك» (٣).

---

(١) الحيوان (١/ ٤٥-٦٢)، والمحاسن والمساوئ (١/ ١٧) وفي جامع بيان العلم وفضله (كان عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز لا يجالس الناس!! برقم (٢٤٢٥).

(٢) تاريخ دمشق (٣٤/ ١١٨).

(٣) زهر الآداب (١/ ١٤٢-١٤٣).

■ **عند الوداع:**

ويُروى أن رجلًا ودّع صديقًا له فقال له: «استعن على وحشة الغُربة بقراءة الكتب؛ فإنها ألسنٌ ناطقة، وعيونٌ رامقة» [١].

■ **أقوال أخرى عن الكتاب:**

- تأخر عن بعض الرؤساء نديم [٢]، فقال: «يا غلام عليّ بالنديم الذي لا يتغيّر ولا يتغيّب، قال له: مّن هو؟ قال: الكتاب» [٣].
- وقيل لرجل: «مَنْ يؤنسك؟ فضرب على كتبه، وقال: هذه، فقيل له: مِن الناس؟ فقال: الذين فيها».
- وقال آخر: «الكتب أصدق الحِكم، تنشق عن جواهر الكَلِم».
- وقال آخر: «الكتاب تؤدبك عجايبُه، وتسرك طرايفه، وتضحكك ملحه ونوادره، وهو نزهةُ الأديب عند لذته، ومتعته عند خِلْوته، وتحفته عند نشاطه، وأُنسه عند انبساطه، ومُستراحه من همه، ومسلاته عند غمّه، وعوضه من جليس السوء، وسُخف الأماني، ومُستقبح الشهوات، وهو روضةُ مجلسه، وبستانُ يده، وأنيسٌ يتقلبُ معه».

■ **مُصاحبة الكتب والشوق إليها:**

فقد قيل لبعضهم: «أما تسْتوحش؟ فقال: يستوحش مَن معه الأُنس كله؟! ، قيل: وما الأُنس كله؟ قال: الكتب» [٤].

■ **المصريون القدماء والكتب:**

اهتم المصريون القدماء بالكتب بل وعشقوها، فقد ورد بين نصائح الحكيم خيني بن دولوف لابنه بيتي وهو يدخل المدرسة: «ضع قلبك وراء الكتب، فما من شيءٍ يعلو

(١) تقييد العلم: ص ١٢٤.
(٢) النديم: الصاحب.
(٣) تقييد العلم: ص ١٢٥.
(٤) تقييد العلم: ص ١٢٥.

على الكتب، ليتني أستطيع أن أجعلك تحبّ الكتب أكثر من أمك، وليتني أستطيع أن أُريك جمالها، إنها أعظم من أي شيءٍ آخر».

■ **ابن طباطبا العلوي:**

وقال الحسن بن طباطبا العلوي: «الكتب حصون العقلاء إليها يلجئون، وبساتينهم بها يتنزهون».

■ **مأمون بن مأمون خوارزم شاه:**

قال الثعالبي: سمعتُ مأمون بن مأمون خوارزم شاه يقول: «همتي كتاب أنظر فيه، وحبيبٌ أنظرُ إليه، وكريمٌ أنظرُ له»[١].

■ **عالم العربية الأديب الأصمعيّ:**

روى الرّياشي وأبو حاتم عن الأصمعي أنه قال: «ألا أدُلك على بستانٍ يكون في كُمِّك، وروْضةٍ تكونُ في حِجْرك، وميِّتٍ ينطق، وأخرسٍ يتكلم، يحدّثك إذا شئت، ويذكّرك إذا نسيت، ويؤنسك إذا اسْتوْحشت، ويكفُّ عنك إذا سئمت؟، قال: نعم، قال: عليك بالكتاب» [٢].

■ **أبو محمد عبد الحميد بن عبد الرحيم التوزي:**

قال أبو محمد عبد الحميد بن عبد الرحيم التوزي:

- الكتابُ نديمٌ، عهد وفائه قديم.
- الكتاب منادمٌ، ليس من نادمه بنادم.
- الكتاب حميم، خيره عميم.
- الكتاب أخٌ غير خوّانٍ، فتفرّد به الإخوان.
- الكتاب سمير، سليم الظاهر والضمير [٣].

---

(١) الإيجاز والإعجاز للثعالبي.
(٢) بهجة المجالس لابن عبد البر.
(٣) تقييد العلم: ص ١٢٥.

■ عوْدة إلى أمير البيان الجاحظ:

يقول الجاحظ: «ولولا جيادُ الكتب وحسانها لما تحركتْ هممُ هؤلاء لطلب العلم، ونازعتْ إلى حب الأدب، وأَنِفتْ من حال الجهل، وأن تكون في غمار الحُشوَة [١]، ويدخل عليهم الضررُ والحقارة وسوءُ الحال بما عسى أن يكون لا يمكن الإخبار عن مقداره إلا بالكلام الكثير، ولذلك قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تفقَّهوا قبل أن تسُودوا»[٢].

وقال بعض الحكماء: «ذهبتْ المكارمُ إلا من الكتب»[٣].

■ الكتابُ يَبْقى على الأيام والدَّهر:

أراد أحد عشاق القراءة إهداء كتاب «سراج الملوك» إلى والي مصر، فصدَّر إهداءه بهذه الكلمات:

الناس يَهْدون على قدْرهم ❖❖ لكنني أُهْدى على قدري

يَهْدون ما يَفْنى، وأُهدي الذي ❖❖ يَبْقى على الأيام والدهر[٤]

■ أبو هَفّان:

قال أبو هفّان:

إذا آنسَ الناسَ ما يجمعون ❖❖ أنِستُ بما يجمعُ الدَّفترُ

له وَطَري وله لذّتي ❖❖ على الكأس؛ والكأس لا تُحْصَرُ

تدورُ على الشُّرْب محمودةً ❖❖ لها المِوردُ الخِرقُ[٥] والمُصْدِرُ

---

(١) الحُشْوَة: رذال الناس.
(٢) الحيوان ،والمحاسن والمساوئ (١/ ١٤).
(٣) ورد هذا القول في كتاب «البخلاء».
(٤) الولع بالكتب.
(٥) الخرق: الكريم.

يُغنِّيهـمُ ساحـرُ المُقْلَتيـْن ❖❖ كشمس الضُّحى طرْفه أحوَرُ

وَرَيحانهم طيبُ أخلاقِهـم ❖❖ وعندهُـم الـوَرْدُ والعَبْهَـرُ[1]

على أنّ همَّتنا في الحـروب ❖❖ فتـلك الصِّناعـةُ والمتجـرُ

قال: لمّا قلتها عرضتُها على ابن دِهقان، فقال: إذا سمع بها الخليفة استغنى بها عن النّدماء[2].

■ **وأنشد غيره:**

نِعمَ المحدّثُ والرفيق كتابُ ❖❖ تلهو به إنْ خانَكَ الأصحابُ

لا مُفْشيًا سرًّا إذا استوْدَعتهُ ❖❖ وتُنالُ منـه حِكمـةٌ وصـوابُ[3]

■ **وقال آخر:**

نِعمَ الجليسُ بعَقْب قعْدِة ضَجْرةٍ ❖❖ للمَـلْكِ والأدبـاءِ والكُتّـابِ

ورقٌ تضمّن مـن خطـوط أنامـلٍ ❖❖ مَرعـيً مـن الأخبـار والآدابِ

يَخلُو به مَنْ مَـلّ مـن أصحابـه ❖❖ فيقالُ خِلوٌ، وهو في الأصحابِ[4]

■ **ابن يسير يصف الكتب:**

قال ابن يسير في صفة الكتب، ويتحدث عنهم ويقول [5]:

لمـا رأيتُ بأنـي لسـتُ معجزهـم ❖❖ فوْتـا ولا هربًـا، قرّبـت أحتجـبُ

فصرْتُ في البيت مسرورًا بهم جَذِلًا ❖❖ جـار البراءة لا شكـوى ولا شَغَـبُ

---

(١) في مكان آخر «المبقر».

(٢) المحاسن والمساوئ (١/ ١٨).

(٣) المحاسن والمساوئ (١/ ١٩).

(٤) المحاسن والمساوئ (١/ ١٩).

(٥) الأبيات في ديوان محمد بن يسير: ص ٤٤-٤٦، وجامع بيان العلم وفضله (٢٤١٧)؛ وموجودة أيضًا في بهجة المجالس لابن عبد البر، وربيع الأبرار، ومروج الذهب، بزيادة ونقصان بعض الأبيات، وكاملة في الحيوان (١/ ٦٤-٦٥).

فردًا يُحدِّثني الموتى وتنطـقُ لـي ❖❖ عن علم ما غاب عنـيّ منهـمُ الكتـبُ
هم مُؤْنسـون وأُلَّاف غَنِيتُ بِهـمْ ❖❖ فليس لـي في أنيـسٍ غيرهـم أرَبُ
لِلّه مـن جُلَسـاءٍ لا جَليسهـمُ ❖❖ ولا عشيرهُـمُ للسُّـوءِ مُرتقـبُ
لا بادراتِ الأذى يخشـى رفيقُهـمُ ❖❖ ولا يُـلاقيـه منهـمْ مَنْطِـقٌ ذَربُ
أبقوا لنا حِكَمًا تبقـى منافِعُهَـا ❖❖ أُخْرى الليالي على الأيام وانشعبـوا
فأيّمـا آدبٍ منهـم مـددتُ يـدي ❖❖ إليه فهو قريبٌ مـن يَـدي كَثـبُ
إن شئتُ من مُحكم الآثار يرفعُها ❖❖ إلى النبـيِّ ثِقـاتٌ خِيـرةٌ نُجُـبُ
أو شئتُ من عربٍ علمًـا بأوَّلهـم ❖❖ في الجاهليـة أنبتْني بـه العـربُ
حتَّى كأنِّي قد شاهدتُ عصرهُمُ ❖❖ وقد مضتْ دونهم من دَهْرِهم حِقَـبُ

■ **وآخر:**

تعلَّمَـنْ أنَّ الـدواة والقلـمْ ❖❖ تبقى ويُفْنـى حادثُ الدهر الغَنَـمْ [1]

أي: كتابك الذي تكتبُه عليَّ يبقى فتأخذني به، وتذهب غنمي فيما يذهب.

■ **الكتب معاقل العقلاء:**

قرأ أبو الحسن بن طباطبا العلوي في بعض الكتب: الكتب معاقل العقلاء إليها يلجئون، وبساتينهم فيها يتنزهون، فقال:

اجْعَلْ جَليسَكَ دَفْترًا في نَشْره ❖❖ للمَيْتِ من حِكَمِ العُلُوم نُشُورُ
فكتابُ علـمٍ للأديـبِ مُؤانـسٌ ❖❖ ومُـؤدّبٌ ومُبشِّـرٌ ونذيـرُ
وَمُفيدَ آدابٍ وَمُؤنِسَ وَحْشـةٍ ❖❖ وإذا انْفَردتَ فصَاحبٌ وسَميرُ [2]

---

(١) البيت بلا نسبة في الجمهرة (٨٤٤)، والحيوان (١/ ٦٥)، ورواية البيت الثاني في الجمهرة:
(تبقى ويودي ما كتبت بالغنمْ)
(٢) اللطائف والظرائف: ص ٦٦، وكنوز الحكمة: ص ٤٦١.

■ **د. حيدر مصطفى البشعان والكتاب:**

كم في الكتاب من فكر ! ❖❖ ومـــن دروس وعبـــر !
يُسليـــك في إقامـــةٍ ❖❖ كما يُسلّـــى في السفـــر
فـي حكمـــةٍ بالغـــةٍ ❖❖ ولفتـــةٍ فيهـــا نظـــر
أو طُـرفـــة نـــادرةٍ ❖❖ تجلو عن القلـــب الكـــدر
أو صـــورةٍ جميلـــةٍ ❖❖ عن ذلك الماضـــي الأغـــرّ
أو اقتـــراحٍ نيِّـــرٍ ❖❖ ينهـــض فيـــه مَـنْ عَثـــر
إن شئتـــه مُعـلِّمًـــا ❖❖ يحبوك علمًـــا كالـــدّررَ
أو هاديـًا ومـرشـــدًا ❖❖ يهديك من شتـى الفكـــر
أو شـئـتـــه مُؤانسًـــا ❖❖ في جُنح ليـــل كالقمـــر
فخُـــذْ بحـــظٍ وافـــرٍ ❖❖ منه، ولا تخشـــى الضـــرر
إلا إذا كـــان بـــه ❖❖ سمـــوم أفكـــار أُخـــر
فحـــاذرًا منـه كمـــا ❖❖ تحذر مـــن وقـــع الخطـــر
وحكِّـــم العقـــلَ إذا ❖❖ خـــالـــف نصًـــا أو أثـــر
فكم كتابٍ فيـــه مـــن ❖❖ شـــرٍ كبيـــرٍ مُسْتطـــر !!
وكم كتابٍ فيـــه للـــ ❖❖ إنسانِ كنـــزٌ مُدَّخـــر !! [1]

■ **أمير الشعراء أحمد شوقي:**

أَنا مَن بَدَّلَ بِالكُتبِ الصِّحابا ❖❖ لَم أَجِد لـي وافِيًـا إِلا الكِتابـا [2]

---

(١) شعر د. حيدر مصطفى البشعان: من كتاب «كيف أقرأ؟» د. طارق سويدان.

(٢) يعاب على أمير الشعراء قوله: (أنا مَن بدل بالكتب الصحابا) ، والصواب: (أنا مَنْ بدل بالصحب الكتابا)، لأن حرف الباء يدخل على المتروك، والمتروك هنا (الصحب) ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾.

صاحِبٌ إِنْ عِبتَهُ أَو لَم تَعِبْ ❖❖ لَيسَ بِالواجِدِ لِلصاحِبِ عابا
كُلَّما أَخلَقتُهُ جَدَّدَني ❖❖ وَكَساني مِن حِلى الفَضلِ ثِيابا
صُحبَةٌ لَم أَشكُ مِنها ريبَةً ❖❖ وَوِدادٌ لَم يُكَلِّفني عِتابا
إِن يَجِدني يَتَحَدَّث أَو يَجِد ❖❖ مَلَلاً يَطوي الأَحاديثَ اقتِضابا
تَجِدُ الكُتبَ عَلى النَقدِ كَما ❖❖ تَجِدُ الإِخوانَ صِدقًا وَكِذابا
فَتَخَيَّرها كَما تَختارُهُ [1] ❖❖ وَادَّخِر في الصَحبِ وَالكُتبِ اللُّبابا
صالِحُ الإِخوانِ يَبغيكَ التُقى ❖❖ وَرَشيدُ الكُتبِ يَبغيكَ الصَوابا [2]

■ **ميخائيل نعيمة:**

وهذا ميخائيل نعيمة يصف الكتاب بقوله: الكتاب المستودع الأمين، والأوحد لجميع علوم الناس، وفنونهم، وتاريخهم، وفلسفاتهم، ودياناتهم، وكل ما يتصل بحياتهم المادية والروحية من قريب أو بعيد، لا الحروب ولا الأوبئة ولا الزلازل، تستطيع أن تهدم هذه المدينة كما يهدمها فقدان الكتاب في حياتنا[3].

■ **حامد الهوّال:**

يقول حامد الهوَّال واصفًا الكتب بأنها: «مدخل الإنسان الأعظم إلى خير ما في الحياة، كما أنها أرخص الطرق وأكثرها جدوى من الناحية العملية».

■ **سلمى صائغ:**

وتصف سلمى صائغ الكتاب فتقول: «الكتب هي الواحات المختلفة وسط صحراء الحياة المقفرة، نقف إليها ساعة فننهل نهلة تنسينا مشاق السفر، أو تساعدنا على إكمال الطريق».

---

(١) (فتخيرها كما تختارهم) أدق من (فتخيرها كما تختاره)؛ لأن الضمير «هم» في كلمة «تختارهم» يدل على الجمع، ويعود على لفظ «الإخوان» في الأبيات، أما الضمير «الهاء» في كلمة «تختاره» فيعود على المفرد.
(٢) ديوان الشوقيات لأحمد شوقي.
(٣) الولع بالكتب.

■ **الأديب السعودي محمد بن سعد بن حسين:**

قال الأديب السعودي محمد بن سعد بن حسين: «حياتك مع الكتب حياة تعايش فيها أقوامًا يعطون ولا يمنون، وتأخذ منهم ولا يملون، وتتحدث إليهم فينصتون، تستنطقهم فيتحدثون، وتُودِعُهُم السرَّ فلا يَفشون»(١).

■ **أ. بارتوليني:**

ويقول أ. بارتوليني: «بدون الكتب يصمت الضمير، وتنام العدالة، وتقف الطبيعة جامدة، وتعرج الفلسفة، وتصاب الآداب بالصمم، وتطوي الظُلمة سائر الأشياء».

■ **فيكتور هوجو:**

يقول فيكتور هوجو: «الكتب أصدقاء هادئون ومأمونون».

■ **جليردي بكسر يكور:**

ويقول جلير دي بكسر يكور: «الكتاب صديق لا يخيِّب الرجاء أبدًا».

■ **هنري دافيد ثورو:**

قال هنري دافيد ثورو: «الكتب هي ثروة الدنيا المخبوءة، وميراث الأجيال والشعوب».

■ **توماس كارلايل:**

قال توماس كارلايل: «كل ما فعلته البشرية، أو فكرت فيه، أو ربحته، يرقد بين صفحات الكتب محافظًا عليه كأنما بواسطة يد سحرية!».

■ **اللورد باكون:**

يقول اللورد باكون: «الكتب أنس في الوحدة، ولذّة في الخلوة، وزينة في المحفل، ومُشحذ للقريحة، تترك الرجل عليمًا بتصريف الأمور وشئون السياسة، وإذا أردت ربّ مشورة وصاحب فكر، وتدبير فاطلبه في الكتاب».

■ **سلمى الحفار الكزبري:**

كما تخاطب سلمى الحفار الكزبري الكتاب بقولها: «أنت المنهل الذي منه أرتوي،

---

(١) الولع بالكتب.

والناصح الذي به أرْعوى، فيك أجد القراءة والسلوى، ومعك أبثّ الألم والشكوى، أنت الذي تكْبُتُ أنّاتي، وتمسح عَبراتي، أنت دائي ودوائي، أنت مُعلِّمي ومُهذِّبي، أنت مُرشدي وصديقي وأنيسي يا كتابي».

■ **أوليفر غولد سميث:**

«عندما أقرأ كتابًا للمرة الأولى، فكأنِّي كسبْتُ صديقًا جديدًا، وعندما أقرأ كتابًا سبق لي أنْ قرأته، فذلك يشبه لقائي صديقًا حميمًا» (١).

■ **إدوارد بولْوير ليتون:**

- قد نعيش بدون شعر، وموسيقى، وفن.
- قد نعيش بدون ضمير، ونعيش بدون قلب.
- قد نعيش بدون أصدقاء، وقد نعيش بدون طُهاة.
- لكن الإنسان المتحضر لا يستطيع العيش بدون كتب (٢).

■ **حمد بن عبد الله القاضي:**

قال حمد بن عبد الله القاضي عضو مجلس الشورى السعودي: «لا أتخيل الدنيا بدون الكتاب، أو بالأحرى دون ثقافة مطبوعة، ولا أتصور العالم بدون حبر المطابع، وعطر الحبر، وليست هذه نظرية حالمة، أو لأن الحب للحبيب الأوّلِ بصفة الكتاب أول عشقي الثقافي، ولكن لأنني أُؤمن حتى اليقين أن ثقافة الكتاب أبقى وأمتع وأيسر»(٣).

ويواصل حديثه قائلًا:

«الدنيا عندي كتاب أولًا وكتاب أخيرًا، ولا أعرف من أمر نفسي أنها عنيتْ بما يزيد عن الكتاب من ملاعب الناس وملاهيهم إلا النذر اليسير، وإني لأجد نفسي في هذه الدنيا الفريدة وقد استتبّ لي آمن القلب والعقل معًا، أعيش فيها متأنسًا بها، مُطمئنًا إليها، لا يتفزعني فيها ما يخيف، ولا استوحش من العزلة، ولا ينالني من الضجر،

(١) كنوز الحكمة، وأقلام كتبت عن الصداقة والكتاب.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الولع بالكتب.

في هذه الدنيا أعيش ليس بين الأشباح ولكن بين الأحياء في أجمل صورهم وأبهى مظاهرهم وبين آرائهم ومذاهبهم، وتاريخهم وجهادهم، وتأملاتهم وفلسفتهم، وآمالهم وأحلامهم، أسعد معهم وأشقى، وأتحدث معهم وأسمع، أعيش مع كتبي»[١].

■ **كلام في فضائل الكتب:**

- قيل لسقراط: أما تخاف على عينيك من إدامة النظر في الكتب؟ فقال: إذا سلمتْ البصيرة، لم أحفلْ بسقام البصر.
- لولا ما عقدته الكتب من تجارب الأولين لانحلّ مع النسيان عقود الآخرين.
- وقال بزر جمهر: الكتب أصداف الحِكم، تنشق عن جواهر الشيم.
- وقال آخر: هذه العلوم فوارد، فاجعلوا الكتب لها نظامًا، وهذه الأبيات شوارد، فاجعلوا الكتب لها زمامًا [٢].

■ **خَيْرُ الكُنوز كتابٌ نفيس**

أنيسًا لرُوحي ونِعْم الأنيسُ ❖❖ إذا غابَ يوْمًا وعزّ الجليس
معي في حوارٍ يطولُ مداهُ ❖❖ كضيْف عزيز أطال الجلوس
فيحْوي المعارفَ من كلِّ لوْنٍ ❖❖ يبوحُ فتبدو خفايا النُّفوس
فيحْكي قرونًا طواها سِجَالًا ❖❖ تلاها عليْنا فكانتْ دروس
فكم من خزائِنَ أضحتْ فراغًا ❖❖ وكم من مدائن باتتْ دروس!
وكِنْزُ العارفِ يبْقى دوامًا ❖❖ فخيرُ الكنوزِ كتابٌ نفيس[٣]

■ **الشعبيّ يصفُ الكتاب لعبد الملك بن مروان:**

دخل الشعبيّ يومًا على عبد الملك بن مروان، وبيْن يديْه دفتر.

فقال: «يا أمير المؤمنين، إنّ الكتاب أفضل مُعاون، وخير مقارن، وأنبل جليس، وآنس أنيس، وأصديق صديق، وأحفظ رفيق، وأكرم مُصاحِب، وأفصح مخاطَب،

(١) الولع بالكتب.
(٢) الفهرست لابن النديم: ص ٢٠.
(٣) شعر: نوال مهنى (مجلة الفردوس).

وأبلغ ناطق، وأخْلص وامق (مُحِبّ) يوُرد إليك، ولا يصدر عنك، وَيْحكي لك ولا يحكي عنك، إنْ أوْدعته سرًّا كتمه، وإنْ اسْتحفظْتُه علمًا حفظه، وإنْ فاتحته فاتحك، وإنْ فاوضْته فاوضك، وإن جاريته جاراك، ينشط بنشاطك، ويَغتبط (يفرح) باغْتباطك، لا يرغب عنك عند رغبتك فيه، ولا يتخلَّف عنك عند حاجتك إليه، لا يخفى عنك ذِكْرًا، ولا يَفْشي لك سرًّا، وإنْ نشرته شهد، وإنْ طويْته رقد، وإنْ سألته نطق، وإن استشهدته صدق، صامتٌ مُتكلِّم، مُسْتعرب مُسْتعجم، خفيف المؤُونة، كثير المعونة، حاضر كمعدوم، وغائب كمعلوم، في الليل نِعم السّمير، وفي النهار نعم المشير، إنْ طويْته انْطوى، وإنْ نشرْته احْتبى (جلس)».

فقال عبد الملك له: «لقد حبَّبْتَ إليّ الكتاب، وعظَّمته في نفسي، وحسَّنْته في عيني، فأحَسنَ صلته» [١].

■ **د. أحمد سيد آل برجل وحبه للكتاب، ويقول وما للعمر فائدة بلا قراءة:**

يقول د. أحمد سيد آل برجل في فضل القراءة وأهمية الكتاب:

«إنك يوم تخلو بكتاب تُطوى لك الأزمان، وتطلّ عليك الدهور، وتناجيك العبر، وتشجيك العظات، وتصقلك التجارب، وتُدهشك العجائب.

احلب دور العلم من ثدي الأسفار (الكتب)؛ فإنَّ في الدفاتر (الكتب) مملكة الأفكار، وصاحب الكتب مع كتبه أغنى من قارون، وأعزّ من نعمان، وأحسن حالًا من البرامكة، ومُصاحب القرطاس (الكتاب) أطيب عيشًا من نديم الكأس، ومدارس الآثار أعظم من المُنْصت لنغمات الأوتار.

فما للعيش قيمة بلا مُطالعة، وما للعمر فائدة بلا قراءة، وكيف تحلو الحياة بلا كتاب، ذهبتْ الدول، ونُسيَ الملوك، وتعطّلتْ الأسواق، ودرستْ (تهدّمت) المنازل، وتُهدِّمتْ القصور، وبارتْ اَلحدائق، وفَنيَتْ الأموال، وهلك الرجال، ولكن خلّدتْ الحكمة في الكتب، وبَقيتْ المعرفة في الصحف، وقَرّ العلمُ في المؤلفات، ودامتْ تِرْكة المعرفة»[٢].

---

(١) مُلتقط الحكايات لابن الجوزي: ص ٥٤-٥٥.
(٢) تربية الأجيال: ص ٥٤-٥٥.

حبيب الكتب:

كان شافع بن علي العسقلاني كفيفًا، وكان مُغرمًا بجمع الكتب، حتى إنه من شدة حبها إذا لمس كتابًا منها، يقول هذا الكتاب قد ملكته في الوقت الفلاني، وإذا طُلب منه شيء منها قام إلى خزانة كتبه فتناوله كما وضعه فيها.

«الدرر الكامنة لابن حجر»

[١٨٤/٢]

٤ـ شدة محبتهم للكتب، وعشقهم وشغفهم للقراءة والاطلاع

تحلُّ الكُتب من حياة العالم محل الروح من الجسد، والعافية من البدن، وللعلماء والأدباء مع محبة الكتاب والقراءة قصص أشبه بالخيال، وقد تكرر ذكرها في أكثر من مصدر، ويصعبُ على الفرد أن يُحصيها كلها، ولكن سأكتفي باختيار أجمل الحكايات والعشق؛ أراها من أحسن ما قيل.

ولقد أشاد العلماء في أكثر من كتاب بمدى وَلَعهم للكتاب والعلم، وبمدى عظمة القراءة وجلالة موقعها، وعظيم أثرها.

وفي كل ما سيأتي من قصصٍ وأخبار لسانٌ ناطق، وبيانٌ مشرق، لقيمة الكتب ومكانتها في نفوس هؤلاء العلماء، وهي بذلك تُغني عن أي بيان أو تعليق، وهذا قسط من أخبار العاشقين القُدامى.

أ ـ نماذج مضيئة من الماضي الأزهر

■ عشق الجاحظ للكتاب سرّ وفاته

عشق الجاحظ الكتب إلى حد كبير، حتى أنه كان يضع المجلدات قائمة في صفوف حوله، تحيط به من كل ناحية، حتى أن وفاته كما يُروى، كانت لها صلة بهذا الولع الزائد بالكتب والبقاء بينها، إذْ سقطت عليه، فقتلته في الحال.

وكان موته سنة ٢٥٥ هـ، بسقوط مجلدات العلم عليه[1].

الإنفاق على الكتب:

ويقول في كتابه «الحيوان»: «فالإنسان لا يعلمُ حتى يكثرُ سماعُه، ولابد من أن تكون كتبه أكثر من سماعه، ولا يعلمُ، ولا يجمع العلم، ولا يُختلف إليه، حتى يكون الإنفاق عليه من ماله، ألذّ عنده من الإنفاق من مال عدوه.

(١) شذرات الذهب (٣/ ٢٣٢).

ومَن لم تكن نفقته التي تخرجُ في الكتب، ألذّ عنده من إنفاق عُشَّاق القيان، والمستهترين بالبنيان، لم يبلغ في العلم مبلغًا رضيًّا وليس ينتفع بإنفاقه، حتى يؤثر اتخاذ الكتب إيثار الأعرابي فرسه باللبن على عياله، وحتى يُؤمِّل في العلم ما يؤمِّل الأعرابيُّ في فرسه»[١].

وله في صدر الجزء الأول من كتابه «الحيوان» نعتٌ للكتب، يقع منه الدليلُ على ما ملأ الله به صدر هذا الرجل من إيمان بما للعلم والكتاب من شرفٍ وجاه، وما للتفهُّم والقراءة من مكانٍ عالٍ[٢] ومنزل كريم، ولقد أوردنا معظم ما كتبه عن الكتاب.

■ **محمد بن الحسن الشيباني الكوفي البغدادي:**

كان محمد بن الحسن الشيباني الكوفي البغدادي لا ينامُ من الليل إلا قليلًا، وهو تلميذ الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُمَاٱللَّهُ تعالى لا ينامُ الليل، وكان يضع عنده دفاتر - يعني كتبًا-، فإذا ملَّ من نوع نظر في الآخر، وكان يزيلُ نومه بالماء ويقول: «إن النوم من الحرارة»[٣].

أي أنه كان يُبدِّد الملل والفتور بتلوين القراءة والمطالعة عند ثقل العلم على الذهن بانتقاله إلى علم آخر، وهكذا ينبغي أن يفعل هذا طالب العلم الحريص على وقته وعلمه[٤].

■ **الإمام أبو عُبيد القاسم بن سلّام الهروي البغدادي:**

فقد ورد في «تاريخ بغداد» للخطيب في ترجمته رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى، ما نصه كان يقسمُ الليل أثلاثًا، فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويضع - أي يؤلف - الكتب ثلثه.

---

(١) الحيوان: (١/ ٤١).
(٢) لا تنس أنه كان من رؤوس المعتزلة، وكاتب له فرقة خاصة وقد سبق التنبيه على ذلك.
(٣) مفتاح السعادة ومصباح السيادة (١/ ٣٣).
(٤) قيمة الزمن عند العلماء: ص ٦٠.

■ **الحافظ الحَصيري جعفر بن أحمد النيسابوري:**

جاء في ترجمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الحاكم: «قال لي سبطه محمد بن أحمد السُّكَّري: كان جدّي قد جزَّأ الليل، ثلثا يصلي، وثلثا ينام، وثلْثا يُصِّنف»[١].

■ **يحيى بنُ معين:**

قال محمد بن نصر المَرْوَزي: سمعتُ يحيى بن معين يقول: «كتبتُ بيدي ألف ألف حديث».

وخلَّف كتبًا كثيرة.

قال صالح بن أحمد الحافظ: سمعتُ أبا عبد الله محمد بن عبد الله قال: سمعتُ أبي يقول: خلَّف يحيى بنُ معين من الكتب مِئَةَ قِمَطْر، وأربعة عشر قِمَطْرًا [٢]، وأربعة حِبَاب شَرَابيَّة مملوءة كتبًا [٣].

■ **الفتح بن خاقان:**

كان في نهاية الذكاء والفطنة وحسن الأدب من أولاد الملوك، اتخذه المتوكل أخًا، وكانت له خزانة كتب كبيرة جمعها له علي بن يحيى المنجم له، لم يُرَ أعظم منها كثرة وحُسْنًا.

وكان يحضر داره فصحاء الأعراب والعلماء، وتوفى الفتح في الليلة التي قتل فيها المتوكل قتلًا معه بالسيف [٤].

■ **حِرص الجاحظ والفتح بن خاقان وإسماعيل القاضي على العلم:**

عن أبي العباس المبرِّد قال: «ما رأيتُ أحرصَ على العلم من ثلاثة: الجاحظ - عمرو بن بحر - إمام أهل الأدب [١٦٣-٢٥٥هـ]، والفتح بن خاقان - الأديب

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي.
(٢) القمطر: سفطٌ يُسوَّي من قصب، تُصان فيه الكتب.
(٣) الحِباب: جرَّة كبيرة ضخمة.
(٤) الفهرست: ص ١٦٤.

الشاعر أحد الأذكياء، من أبناء الملوك، اتخذه الخليفة المتوكل العباسي وزيرًا له وأخًا، واجتمعتْ له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن، توفى ٢٤٧ هـ، وإسماعيل بن إسحاق القاضي - الإمام الفقيه المالكي البغدادي ٢٠٠-٢٨٢هـ.

أما الجاحظ فإنه كان إذا وقع بيده كتاب قرأه من أوله إلى آخره، أيّ كتاب، حتى إنه كان يكتري دكاكين الورَّاقين ويبيتُ فيها للنظر في الكتب.

وأما الفتحُ بن خاقان فإنه كان يحمل الكتاب في كُمِّه أو في خُفِّه، فإذا قام من بين يدي المتوكل للبوْل أو الصلاة، أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي، حتى يبلغ الموضوع الذي يريده، ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه، إلى أن يأخذ مجلسه، فإذا أراد المتوكل القيام لحاجة، أخرج الكتاب من كمِّه أو خُفِّه، وقرأه في مجلس المتوكل إلى حين عَوْدِه.

وأما إسماعيلُ بن إسحاق القاضي، فإني ما دخلتُ عليه قطّ إلا رأيته وفي يده كتابٌ ينظر فيه، أو يقلِّب الكتب لطلبِ كتابٍ ينظرُ فيه، أو ينفُضُ الكتب»[١].

■ **المهلَّب يُوصى أبناءه:**

وقال أبو عبيدة قال المهلَّب لبنيه في وصيَّته: يا بَنيَّ لا تقوموا في الأسواق إلا على زرَّادٍ[٢] أو ورَّاقٍ[٣].

■ **الحسن اللؤلؤي:**

قال الحسن اللؤلؤي: «غَبَرتُ[٤] أربعين عامًا، ما قِلْتُ[٥]، ولا بتُّ ولا اتكأتُ إلا والكتابُ موضوعٌ على صدري»[٦].

---

(١) الفهرست وتقييد العلم وبزيادة يسيرة في «معجم الأدباء».

(٢) الزَّراد: صانع الدروع، (اللسان: زرد)، والمهلب يوصى بنيه بذلك لاستكمال صناعة الجندية؛ إذ لا يليق بالجنود الوقوف في أسواق العطارين والصاغة.

(٣) الحيوان: ص ٤٠.

(٤) غبرتُ: مكثْتُ.

(٥) قلْتُ: من القيْلولة وهي النوم عند الظهر.

(٦) الحيوان (١/ ٤٠) وجامع بيان العلم وفضله.

■ **ابن الجهْم والكتاب:**

قال ابن الجهْم: «إذا غشيني النعاس في غير وقت نوم، وبئس الشيءُ النومُ الفاضلُ عن الحاجة - قال: فإذا اعتراني ذلك تناولتُ كتابًا من كتب الحِكم، فأجدُ اهتزازي للفوائد، والأريحيَّة التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة، والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة وعز التبيين أشدّ إيقاظًا من نهيق الحمير وهَدَّةَ الهدْم»[(١)].

قلتُ: فهذه قمة السعادة وقمة النشوة في الفرح والشغف بالكتاب، فإذا طارده النوم، أحضر كتابًا وأخذ يقرأ فيه ليطرد النوم والكسل، ويهتز ويسعد من جديد لما في الكتاب من إثارة وتشويق، وهذا يشبه حَالي تمامًا عند سعادتي بقراءة كتاب ما.

وبعض الناس يأخذ الكتاب ليستجلب النوم، فما أبعد البون بين الفريقين، وما أكثرهم في زماننا!!، لا أكثر الله من سوادهم[(٢)].

سعادة ابن الجهْم بكبر حجم الكتاب:

وقال ابن الجهم: «إذا اسْتحسنْتُ الكتابَ واسْتجدتُه، ورجوتُ منه الفائدة، ورأيتُ ذلك فيه - فلو تراني وأنا ساعة بعد ساعةٍ أنظرُ كم بقى من ورقة مخافة استنفاده، وانقطاع المادة من قلبه، وإن كان المصحف عظيم الحجم كثير الورق، كثير العدد، فقد تمَّ عيشي وكَمُل سروري»[(٣)].

■ **العُتْبيّ:**

وذكر العتبي كتابًا لبعض القدماء فقال: «لولا طولُه وكثرةُ ورقه لنسخته».

(١) الحيوان (١/ ٤٠)، والمحاسن والمساوئ.

(٢) وينطبق على هؤلاء الكسالى - لا كثَّرهم الله - ما ذكره الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين»، والحث على طلب العلم ص ٣٥ قال: «قال رجلٌ لخالد بن صفوان (وهو أحد بلغاء العرب): مالي إذا رأيتكم تتذاكرون الأخبار، وتتدارسون الآثار، وتتناشدون الأشعار، وقع عَليَّ النوم؟!قال: لأنك حمارٌ في مِسْلاخ (جلد) إنسان!».

(٣) الحيوان (١/ ٤٠)، والمحاسن والمساوئ: (١/ ١٧).

فقال ابن الجهم: «لكنِّي ما رغَّبني فيه إلا الذي زهَّدك فيه؛ وما قرأتُ كتابًا قطُّ كتابًا كبيرًا فأخْلاني من فائدة، وما أُحصِي كم قرأتُ من صغار الكتب فخرجتُ منها كما دخلتُ[١].

وقيل لابن داحة: وقد أُخرج إليه كتاب أبي الشَّمْقمق وهو في جلود كوفيَّة ودفّتين طائفيَّتَيْن بخط عجيب، فقال: لقد ضيَّع درهمه صاحب هذا الكتاب.

وقال: والله إنَّ العلم ليُعْطيكم مثلَ ما تعطونه، ولو استطعتُ أن أودِعَهُ سُوَيْداء قلبيَ، وأجعله مخطوطًا على ناظريَّ لفعلتُ[٢].

■ إسحاق بن سليمان هيْبته وعظمته كتبه وليس منصبه:

ولقد دخلتُ على إسحاق بن سليمان في إمْرته، فرأيت السَّماطين والرجال مثولًا كأن على رؤوسهم الطير، ورأيتُ فِرْشته وبزَّته؛ ثم دخلتُ عليه وهو معزول، وإذا هو في بيت كتبه، وحواليه الأسفاطُ والرُّقوق، والقماطرُ والدفاتر والمساطر والمحابر، فما رأيته قطّ أفخمَ ولا أنبل، ولا أهْيَبَ، ولا أجزلَ منه في ذلك اليوم؛ لأنه جمع مع المهابة المحبَّة، ومع الفخامة الحَلاوة، ومع السُّؤدد [٣] الحِكمة[٤].

■ العلامة ثعلب النحوي لا يفارقُ الكتاب، والكتاب سبب وفاته:

وحُكي عن ثعلب أنه كان لا يُفارقه كتابٌ يدرسهُ، فإذا دعاه رجلٌ إلى دعوةٍ شرط عليه أن يُوسِّع له مِقْدار مِسْوَرة[٥] يضع فيه كتابًا ويدرُسُ ويقرأ[٦].

وكان سبب وفاته حبه للقراءة وللكتب، حيث قد لحقه صَمَمٌ، لا يسمع إلا بعد

(١) الحيوان ، والمحاسن والمساوئ: (١/ ١٧).
(٢) المصدر السابق.
(٣) السُّؤدد: الشرف.
(٤) الحيوان: (١/ ٤٥).
(٥) المِسْورة: متكأ من أدم.
(٦) الحَث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه: ص ٣١.

تعب، وكان في يده كتاب ينظر فيه في الطريق، فصدمته فرسٌ، فألقتهُ في هوَّةٍ، فأخرج منها وهو كالمختلط، فحُمِل إلى منزله على تلك الحال، وهو يتأوَّه من رأسه، فمات ثاني يوم[١].

■ **ابن خيّاط النحوي يدرس في جميع أوقاته:**

وكان أبو بكر بن الخيّاط النحوي يدرُسُ جميع أوقاته حتى في الطريق، وكان رُبَّما سقط في جُرُفٍ أو خبطته دابَّةٌ![٢].

■ **في وسطه خيطٌ حتى لا يسقط:**

وحُكِي عن بعضهم أنه كان يشدُّ في وسطه خيْطًا إذا قام من الليل يدرُسُ، خوفًا من أن يسقط إذا نعس[٣].

■ **يقرأ حتى في الحمَّام:**

وكان أبو سهل الصُّعْلوكي وكان أديبًا نحويًا متكلمًا مُفسرًا، إذا دخل الحمَّام يُسمع له هَمْهمةٌ من الدرس والقراءة، ويقول: كان يُقالُ (العلمُ ما دخل معك الحمَّام)[٤] - يحُثُ على الحفظ- [٥]،[٦].

■ **نعم الجليسُ كتابُ:**

نعم الصاحبُ والجليسُ كتابُ ❖❖ تلهو به إنْ خَانَكَ الأصحابُ

لا مُفْشيًا عنـد القطعيةِ سـرِّه ❖❖ وتُنالُ منه حكمـةٌ وصـوابُ[٧]

---

(١) وفيات الأعيان.
(٢) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه: ص ٣١.
(٣) المصدر السابق: ص ٣١.
(٤) القول لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ت: ٢١١هـ في الحث على حفظ العلم ص ١٣.
(٥) الحث على طلب العلم.
(٦) كثيرٌ من أنواع القراءة لا تجوز شرعًا في دورات المياه؛ لما لها من قدسية عالية.
(٧) الآداب الشرعية (٢/ ٥٢٧).

■ **الذل في مخالطة الناس وترك الكتاب:**

مـا تطعمتُ لـذة العيش حتى ❖❖ صرتُ في البيتِ للكتاب جليسًـا

إنما الذل في مخالطــة النـــا ❖❖ س فدعْهم تعش عزيزًا رئيسًا[١]

■ **أبو الفضل بن العميد وشدة محبته وحفظه للكتب**[٢]**:**

وقال بعض الكُتَّاب: كنا إذا دخلنا على أبي الفضل بن العميد، وهو أحد الأدباء والبلغاء المشهورين، رأيْنا إلى جانبه في مجلس العلم، زُهاء مائة مُجلّدة، فننكر ذلك، ففطن يومًا لإنكارنا فقال: إنِّي أحفظُ جميع ما في هذه الكتب، فإذا اشتغلتُ بالعمل عن دَرْسها أحضرتها عندي، فكلّما نظرتُ إليها ذكرتُ محفوظي منها، فقام ذلك لي مقام الدرسِ، ثم قال لرجل منا: خُذ أيها شئت، فأخذ الرجل منها كتابًا وقال: هو الثاني من كتاب كذا، فابتدأ أبو الفضل فقرأ من أوله صِدْرًا ثم من وَسَطه، ثم من آخره فتحقَّق عندنا أنه صدق ما قال، وعجبْنا من حفْظه وعنايته وحِرْصه، وكان يأخذ ابْنه أبا الفتح كل يومٍ بدرس ألفيْ بيتٍ قبل الغداء، وكان يحفظ أكثر من مائتي ألف بيتٍ[٣].

■ **أبو هلال العسكري:**

وقال أبو هلال العسكري: ونعم المعلمُ الدرسُ، ونعم المعينُ السَّهرُ، ونعم الدليلُ السِّراجُ، ونعم القائدُ الليلُ، ونعم المُذاكرُ الكتابُ[٤].

■ **عبد الله بن المبارك يجلس مع الرسول ﷺ، والصحابة والتابعين بسبب الكتاب:**

وقيل لعبد الله بن المبارك: كيف لا تستوحش في مكانك وحدك؟

(١) الآداب الشرعية: (٢/ ٥٢٧).
(٢) ممدوح الشعراء لاسيما أبو الطيب المتنبي، ت: ٣٦٠ هـ.
(٣) الحث على طلب العلم: ص ٣٣.
(٤) المصدر السابق: ص ٣٩.

فقال: كيف يستوحش مَنْ هو مجالس للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟! يعني: الكتب التي فيها الأخبار، والسير[١].

وفي رواية أخرى:

قال الخطيب: «عن شقيق بن إبراهيم البلخي قال: قيل لابن المبارك: إذا صلَّيتَ معنا، لِـمَ لا تجلسُ معنا؟ قال: أذهبُ مع الصحابة والتابعين!.

قلنا له: ومن أين الصحابة والتابعون؟

قال: أنظرُ في علمي؛ فأدرك آثارهم وأعمالهم، فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس».

فإذا كان ذلك مع الرعيل الأول، فالبعد عن كثير من الناس أقربُ إلى الله، وفرَّ من الناس كفرارك من الأسد، وتمسَّك بدينك يسلم لك مجهودك.

■ **نعيم بن حمّاد يجلس مع النبي ﷺ وأصحابه بسبب كتبه:**

وروى الحاكم في تاريخه، عن نعيم بن حمّاد، وقال: كان كثير الجلوس في داره، فقيل له: ألا تستوحش؟!.

فقال: كيف وأنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه[٢].

■ **يوصي بكتبه من بعده لصديقه في مصر خوفًا عليها:**

قال ابن طاهر: سمعتُ الإمام سعد بن علي يقول: لما تُوفيَّ الشيخ أبو نصر السجزي الحافظ، أوصاني أن أبعث بكتبه إلى مصر إلى أبي إسحاق الحبَّال، أوْصى له بها[٣].

■ **سليم الرازيّ:**

وكان سليم الرازيّ شافعيًّا، فنزل يومًا إلى داره ورجع فقال: «لقد قرأتُ جزءًا في طريقي».

---

(١) الآداب الشرعية: (٢/ ٥٢٨).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٥٢٨).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٥٢٨).

■ **أبو محمد بن إسماعيل البخاري ودواء للحفظ:**

وسُئل أبو محمد بن إسماعيل البخاريّ عن دواء للحفظ.

فقال: «إدمان النظر في الكتب»[١].

■ **ابن الأعرابيّ يرفضُ لقاءَ الخليفة ليبقى مع كتبه:**

قال ابن عبد البر بسندِه في كتابه «جامع بيان العلم وفضله»:

قال: أحمد بنُ أبي عمران، قال: «كنتُ عند أبي أيوب أحمد بن محمد بن شُجاع، وقد تخلف في منزله فبعث غلامًا من غِلمانه إلى أبي عبد الله بن الأعرابي صاحب الغريب يسأله المجيء إليه فعاد إليه الغلام.

فقال: قد سألتُهُ ذلك، فقال لي: عندي قومٌ من الأعراب، فإذا قضيْتُ أَرَبي معهم أتيْتُ.

قال الغلام: وما رأيتُ عنده أحدًا إلّا أنَّ بين يديْه كُتبًا ينظر فيها، فينظر في هذا مرةً، وفي هذا مرة، ثمَّ ما شَعَرْنا حتى جاء، فقال له أبو أيوب: يا أبا عبد الله، سبحان الله العظيم، تخلَّفت عنَّا وحَرمْتنا الأُنْسَ بك، ولقد قال لِـيَ الغلامُ: إنه ما رأى عندك أحدًا، وقلت: أنت مع قومٍ من الأعراب؟ فإذا قضيْتُ أَرَبي معهم أتيْتُ».

فقال ابن الأعْرابيِّ:

لنا جُلســاءُ مــا نَمَــلُّ حَدِيثَهُــمْ ❖❖ أَلِبَّاءُ مَأْمُونونُ غيبًا وَمَشْهـدًا

يفيدوننا من علمهم عَلِمَ مَا مضى ❖❖ وَعَقْلًا وتَأْدِيبًا وَرَأْيًــا مُسَــدَّدًا

بِلا فِتْنةٍ تُخْشى ولا سُــوءِ عِشْــرةٍ ❖❖ ولا يُتَّقى مِنْهُمْ لِسَانًا ولا يَدَا

فإنْ قلتَ: أمــواتٌ فلا أنت كـاذبٌ ❖❖ وإنْ قلت: أحياءٌ فلسْت مُفنَّدَا[٢]

فعلم الخليفة أنه إنما يعني بالحكماء الذين كان يجتمع معهم في كتب العلم والحكماء، فلم ينكر عليه تأخره.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله: ص ٤٣٦ برقم (٢٤١٤).

(٢) المصدر السابق: ص ٤٣٦ برقم (٢٤١٥).

■ **بين عشرين ألفًا من الصحابة والتابعين:**

وقال المقدسي الحافظ: «دخل علي أبي محمد عبد الساتر بن علي بن عبد الساتر العدل بتِنِيس وأنا جالس وحدي أكتب، وقد أغلقتُ باب البيت، فقال: دخلتُ على الشيخ أبي نصر السجزي الحافظ وهو وحده فقلت له: أيها الشيخ، أنت جالسٌ وحدك؟!

فقال: لستُ وحدي، أنا بين عشرين ألفًا من الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين، أتحدث معهم، وأحكي عنهم» [(١)].

■ **ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حتى في نُزهته معه كتاب:**

وكان ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما يقول عنه ابنه: «لم يشتغِل منذ أربعين سنة إلا بالجمع والتسمية، حتى في نُزهته وخلواته، يصْطحبُ معه كتب العلم والمصحف يقرأ ويحفظ».

■ **أبو حاتم السجستاني وتبحّره في الكتب:**

واسمه سهل بن محمد، وكان كثير الرواية عن أبي زيد وأبي عُبيدة والأصمعي، عالمًا باللغة والشعر.

وقال المبرِّد: سمعته يقول: قرأتُ كتاب سيبويه على الأخفش مرتين، وكان حسن المعرفة بالعروض.

قال ابن دريد: وكان يتبحر في الكتب ويخرج المعمى، حاذقٌ بذلك، دقيق النظر فيه[(٢)].

■ **الواقدي [ت: ٢٠٧ هـ] وكثرة كتبه:**

وكان متشيِّعًا، يلزم التقية، عالمًا بالمغازي والسير والفتوح.

وقال ياقوت الحموي «عنه»: «إنَّ الواقدي عندما تحول من الجانب الغربي من بغداد نقل كتبه على مائة وعشرين جملًا».

---

(١) الآداب الشرعية: (٢/ ٥٢٨).
(٢) الفهرست: ص ٨٩.

وقال عن نفسه: «ما من أحدٍ إلا وكتبه أكثر من حفظه، وأنا حفظي أكثر من كتبي».

قال محمد بن إسحاق: خلَّف الواقدي بعد وفاته ستمائة قمطر كتبًا، كل قمطر منها حِمْل رجُلَيْن وكان له غلامان مملوكان يكتبان الليل والنهار [١].

■ **ابن حاجب النُعمان وخزانة كتبه:**

وكان أحسن أفراد زمانه في الفضل والنُبل، ومعرفة كتابة الدواوين، وكان أبوه حاجبًا لأبي عبد الله الكاتب.

ولم يُشاهد خزانة للكتب أحسن من خزانته؛ لأنها كانت تحتوي على كل كتاب عين، وديوان فرد بخطوط العلماء المنسوبة لهم[٢].

■ **سفيان الثوري وكثرة كتبه:**

وعندما توجَّس سفيان الثوري من أحد أعوان السلطان خيفة، أخفى كتبه، فلما أمن الرسل بعث إلى صديقين له ليخرجاهما، فجعلا يخرجانها، ويقولان له في الركاز الخمس وهو يضحك.

قالا: فأخرجنا تسع قمطرات، كل واحد إلى هاهنا، وأشارا إلى ثدييهما[٣].

■ **محمد بن العباس بن الفرات:**

وخلَّف محمد بن العباس بن الفرات ثمانية عشر صندوقًا مملوءة كتبًا، أكثرها بخط يده، سوى ما سُرق منها، وكانت له جارية تُعارض ما يكتب[٤].

■ **الطبيب العلامة موفق الدين المطري طبيب صلاح الدين الأيوبيّ:**

ومن هواة جمع الكتب من الأطباء، العلامة موفق الدين المطري طبيب صلاح الدين الأيوبي، خلّف من الكتب عشرة آلاف مجلدة، وبعد وفاته بيعت.

---

(١) الفهرست: ص ٨٩.
(٢) المصدر السابق: ص ١٤٢.
(٣) المصدر السابق: ص ١٨٦.
(٤) الوافي بالوفيات: ٣/ ١٩٦، والمنتظم لابن الجوزي: ٧/ ١٧٦.

وقال من حضر بيعها أنها كانت أُلوفًا أكثرها بخط ابن الحمالة - أحد مشاهير النساخ - فبلغت في المناداة ثلاثة آلاف درهم أو أكثر[١].

■ **موسى بن يحيى:**

ويقول الجاحظ عن مكتبة موسى بن يحيى بأنه يوجد فيها من كل كتاب ثلاث نسخ[٢]،[٣].

---

(١) الوافي بالوفيات: ج ٩ ص ٤١.

(٢) الحيوان للجاحظ: ج ١/ ٤٤.

(٣) وكم من مُنْهمك في العلوم والآداب، وطالب لها بكل الوجوه والأسباب، لم ينفذ منها إلا فيما وافق طبيعته، وناسب جبلَّته.

وقد يوجد من الناس من يحرص على العلم، ويشره إلى الآداب، فتراه الدهر كثير الطلب، جامعًا للكتب، مواصلًا للتعب، من غير فهم يعتد به في فن منها، ولا قريحة تُعينه عليها، فيجهد نفسه والطبيعة تقعده، ويتعب جسمه والحرمان يُبعده، فلا هو عن الطلب يُمتنع ولا هو بالذي يجْمع يَنْتفع من «**الذخائر والأعلاق**» ص ١١١.

وقريبٌ من هذا قول محمد بن يسير (شاعر عباسي):

أَمَا لَوْ أَعِي كُلَّ مَا أَسْمَعُ ❖❖ وَأَحْفَظُ مِنْ ذَاكَ مَا أَجْمَعُ
وَلَمْ أَسْتَفِدْ غَيْرَ مَا قَدْ سَمِعْتُ ❖❖ لَقِيلَ هُوَ الْعَالِمُ الْمِصْقَعُ
وَلَكِنَّ نَفْسِي إِلَى كُلِّ شَيْءٍ ❖❖ مِنَ الْعِلْمِ تَسْمَعُهُ تَنْزَعُ
فَلا أَنَا أَحْفَظُ مَا قَدْ جَمَعْتُ ❖❖ وَلا أَنَا مِنْ جَمْعِهِ أَشْبَعُ
وَأَحْضُرُ بِالصَّمْتِ فِي مَجْلِسِي ❖❖ وَعِلْمِي فِي الْكُتُبِ مَسْتَوْدَعُ
وَمَنْ يَكُ فِي عِلْمِهِ هَكَذَا ❖❖ يَكُنْ دَهْرُهُ الْقَهْقَرَى يَرْجِعُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا ❖❖ فَجَمْعُكَ لِلْكُتُبِ لَا يَنْفَعُ(*)

قال الجاحظ: كَلَّف ابنُ يسير الكتبَ ما ليس عليها، إنّ الكتبَ لا تُحْيي الموتى، ولا تحوِّل الأحمق عاقلًا، ولا البليدَ ذكيًا، ولكن الطبيعة إذا كان فيها أدنى قبُول، فالكتب تشحذُ وتَفْيق، وتُرهف وتشفى، ومَنْ أراد أن يعلم كلّ شيء فينبغي لأهله أن يداووه! فإنَّ ذلك إنما تصوَّر له لشيءٍ اعْتراهُ!!.

الحيوان (١/ ٤٣-٤٤)

(*) الأبيات موجودة في الحيوان (١/ ٤٣)، والحث على طلب العلم ص ٢٤، وسُنن الصالحين ص ١٩٢.

فيا محبّ القراءة: «لا تشتر كتابًا إلا لتقرأه، قال أهل العلم: جمع الكتب ليس غاية!.

بل قال بعضهم: جمع الكتب مشغلة عن التحصيل؛ لأنَّ الجامع آخر عهده بالكتاب خزانة الكتب! وإنْ أكْرمها يومًا نفض عنها الغُبار، وترى بعضهم يَصفُّها في مجلس الضيوف ليُباهي بها».

■ **إبراهيم بن إسحاق الحربي:**

وكانت كتب إبراهيم بن إسحاق الحربي اثنيْ عشر ألف جزءٍ وغريب، أغلبها بخطه[١].

■ **الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **[ت : ٢٤١هـ] والقراءة:**

وبلغت كتب الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ اثنْي عشر جملا[٢].

ويروى عنه أنه كان حينما يذهب إلى الوضوء، كان يجعل من يقرأ عليه؛ اغتنامًا للوقت.

■ **العلَّامة علي بن أحمد الآمدي [ت : ٧١٠ هـ]:**

وكان العلَّامة علي بن أحمد الآمدي صاحب مكتبة كبيرة وقد كان في آخر عمره رَحِمَهُ ٱللَّهُ «فكان يعرف الكتب ولا يخفى عليه منها شيء، بل كان إذا طُلب منه المجلدة الأولى مثلا من الكتاب الفلاني قام وأخرجه، وكان يمسُّ الكتاب ويقول هذا يشتمل على كذا وكذا فلا يخطئ، وكذلك يصف قلمه وخطه فلا يخطئ»[٣].

■ **العلامة خلف بن يوسف البلنسي، يبيع حوائج بيته من أجل كتاب:**

ويقال أنه لما وقف العلامة خلف بن يوسف البلنسي على كتاب «التقريب للقاضي عبد الحق» اسْتحسَنَهُ وأراد شراءه فلم يتيسر له ثمنه، فباع حوائج بيته واشتراه.

وهذا غاية ما يصل إليه الشغف بجمع الكتب واقتنائها[٤].

■ **صاحب الكتاب أفضل وأعقل من الجليس الفارغ اليد:**

وذكر الجاحظ في كتابه «الحيوان»[٥].

---

(١) تذكرة الحفاظ، وحرزت الحث على حفظ العلم ص ٢٦.
(٢) المصدر السابق، وقد قرزت كتب أحمد بن حنبل في اليوم الذي مات فيه فبلغت اثني عشر حملًا!!.
(٣) ذيل طبقات الحنابلة.
(٤) المصدر السابق.
(٥) (١/ ٤٤).

وقال أبو عمرو بنُ العلاء: ما دخلتُ على رجل قطُّ ولا مررتُ ببابه، فرأيته ينظرُ في دفترٍ وجليسُه فارغُ اليد، إلا اعتقدتُ أنه أفضلُ منه وأعقل.

مُتنزَّهات القلوب:

كما أنهم تعَشّقوا العلم وعشقوه، وتفانوْا في طلبه وأحبّوه، فكان في رياضه نُزُهاتُ قلوبهم، وفي كتبه ترويحات أرواحهم، قال **العلامة ياقوت الحموي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في «**معجم الأدباء**» [1] في ترجمة الإمام اللغوي أبي بكر محمد بن الحسن بن دُريد، ما يلي:

«.... قال أبو سعد السمعاني: سمعتُ الأمير أبا نصر أحمد بن الحسين بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن المِيْكالي يقول:

تذاكرنا المتنزَّهات يومًا وابنُ دُرَيد حاضر، فقال بعضهم: أَنْزَهُ الأماكن غُوطةُ دمشق، وقال آخرون: بل نهرُ الأُبُلَّة، وقال آخرون: بل سُغْدُ سَمَرْقَنْد، وقال بعضهم: نَهْرَوان بغداد، وقال بعضهم: شِعْبُ بَوَّان بأرض فارس، وقال بعضهم: نوبهار بَلْخ.

فقال ابن دريد: هذه متنزهاتُ العيون، فأين أنتم من متنزهات القلوب؟.

قلنا: وما هي يا أبا بكر؟

قال: «عيون الأخبار» للقُتَبي[2]، و «الزَّهرة» لابن داود، و «قلقُ المشتاق» لابن أبي طاهر»، ثم أنشأ يقول:

---

(١) ١٨: ١٤٢، و ٦: ٢٤٩٨.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتيبة الدينوري، الكاتب العلامة ذو الفنون، والقُتبي نسبة إلى جده قتيبة، ويُعتبر «خطيب أهل السُّنة»، ومن أشهر كتبه: «أدب الكاتب، والشعر والشعراء، وتأويل مختلف الحديث، وعيون الأخبار»، والأخير كما يتضح من عنوانه جمع فيه خيرة الأخبار التي وصلت إليه، وهذه الأخبار ليست في موضوع واحد، بل إن الكتاب يُعدُّ من الكتب الجامعة، فقد تضمن عشرة كتب اعتمدت على الأخبار والروايات.
ويرى أ. أحمد أمين أن كتاب «عيون الأخبار» «قد نقل التأليف في الأدب نقلة جديدة من حيث الترتيب وقلة الاستطراد».

ومن تكُ نُزهَتَه قِيْنَـةٌ ❖❖ وكأسٌ تُحثُّ وكأسٌ تُصَبْ
فنْزهتُنا واستراحَتُنـا ❖❖ تلاقِي العُيونِ ودَرْسُ الكُتُـبْ

■ **العلَّامة السيوطي الملقب بـ «ابن الكتب» [ت: ٩١١ هـ]:**

كان السيوطي يُلقب بـ«ابن الكتب»، طلب أبوه من أمه أن تأتيه بكتاب من المكتبة فأجاءها المخاض فيها، فولدته بين الكتب، فلذلك لُقِّب، ولقد صدق عليه هذا اللقب حتى صار أبًا للكتب، فقد وصلتْ مصنفاته نحو ستمائة مجلد غير ما رجع عنه ومحاه.

وُلد ٨٤٩هـ، وتُوفى ٩١١ هـ، واعتزل الناس في الأربعين، وانصرف للعلم والتأليف، لا يفتح لكائنٍ من كان أيًّا كان شأنه.

سمَّاه والده بعد الأسبوع عبد الرحمن، ولقَّبَه جلال الدين.

ويقول عن نفسه: ورزقتُ التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني والبيان، والبديع على طريقة العرب البلغاء لا على طريق العجم وأهل الفلسفة.

وقال النجم الغزي في الكواكب السائرة: ألَّف المؤلفات الحافلة الكثيرة، الكاملة المتقنة المحررة المعتمدة المعتبرة، نيفتْ على خمسمائة مؤلف.

ويُعتبر من أكثر العلماء تأليفًا للكتب وذلك في أكثر من فنٍ.

قال عنه الشيخ العلامة – أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ–: «كان واسع الاطلاع، مؤلف مكثر، يخوض في كل علم، وأكثر مؤلفاته جمع أو تلخيص، وأنتج كثيرًا ، وكان أشيع ذكرًا، وأبعد صيْتًا بما نشر من مؤلفاته»[(١)].

■ **ضعف بصره من كثرة المطالعة:**

وفي ترجمة الحافظ عبد الغني المقدسي صاحب «الكمال» (ت: ٦٠٠هـ) من كتاب «ذيل الروضتيْن»[(٢)] لأبي شامة المقدسي قال:

(١) جمهرة بحوث ومقالات الشيخ العلامة/ أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص ٥٣.
(٢) ص ٤٧.

«وكان قد ضعف بصرُه من كثرة المطالعة والبكاء، وكان أوْحد زمانه في علم الحديث».

■ الخطيب البغدادي:

ومما يذكر عن الخطيب البغدادي: «أنه يمشي وفي يده كتابٌ يُطالعه»[١].

وكان شديد الحرص على وقته.

■ أوصى بأن يُدفن كتاب سيبويه معه:

ومنهم من بلغ به الشغف بالكتب إلى أن يوصى بدفنها في قبره، يُقال أن محمد بن الوليد المعروف بولاد النحوي «لما حضرته الوفاة أوصى أن يُدفن معه كتاب سيبويه»[٢].

■ أجمل هدية كتاب:

اعتزل محمد بن عبد الملك الزيات الوزير الأديب فترة من الزمن في بيته وأراد الجاحظ زيارته، فرأى خير هدية إليه يسْتصحبها معه أن يهديه كتاب سيبويه إمام العربية، وتسلَّم الوزير الهدية فرحًا مسرورًا، وقال للجاحظ: والله ما أهديت[٣] لي شيئًا أحبّ إليّ منه[٤].

---

(١) تذكرة الحفاظ

(٢) الطالع السعيد: ص ٥٨٠.

(٣) وقال الخطاب بن المُعَلَّي المخزومي يوصي ابنًا له، وهي من غُرر الوصايا:
والهدية من الأخلاق السَّنِيَّة، وهي تورثُ المحبة.
وقال بعض الشعراء، حسبما نقله ابن قتيبة في عيون الأخبار (٣/ ٥٣):

إن الهـديـة حُلْـوة ❖❖ كالسحر تجْتلِبُ القلوبا
تُدْني البغيضَ مِنَ الهوى ❖❖ حتـى تُصيِّـره قريبـا
وتعيدُ مُضطغِن العـدا ❖❖ وةِ بعـد نُفْرتـه حبيبـا

المضطغن: الحاقد.

(٤) من روائع حضارتنا: ص ١٧٨.

■ **ألف دينار من الذهب ثمن نسخة كتاب!!**

سمع الحكم أمير الأندلس بكتاب الأغاني المشهور الآن في عالم الأدب، فأرسل إلى مؤلفه أبي الفرج الأصفهاني ألف دينار من الذهب ثمن نسخة منه، فأرسل إليه أبو الفرج بنسخة من كتابه، فقُرئ كتابه في الأندلس قبل أن يُقرأ في العراق موطن المؤلف[١].

■ **ابن دقيق العيد [ت: ٧٠٢ هـ] يستدين محبةً في الكتب:**

ابن دقيق العيد كان من عشاق الكتب، وكان واسع العلم، كثير الكتب:

قال الإدفويّ عنه: «كان له قدرة على المطالعة، وكان غالبًا في فاقة (فقر) تلزمه الإضافة فيحتاج إلى الاستدانة، وقد تُفْضي به إلى بذل الوجه المعروف بالصيانة، **قال له يومًا بدر الدين بن جماعة:** أنا أشحّ عليك بسبب الاستدانة، فقال: ما يُوقعني في هذا إلا محبة الكتب...».

■ **ابن الخشَّاب [ت: ٥٦٧هـ] وولعه بالكتب إلى حد الشره:**

كان من أعلم الناس بالنحو، وكانت له معرفة في التفسير والحديث والمنطق والفلسفة.

كان مولعًا بالكتب إلى حد الشره، وقد حمله وَلَعِه هذا على أن يسلك طرقًا غير محمودة لجمع الكتب، فكان إذا حضر سوق الكتب، وأراد شراء كتاب غافل الناس وقطع منه ورقة، وقال إنه مقطوع (معيب)؛ ليأخذه بثمن بخس!![٢].

ويُروى عنه: «إنه إذا استعار كتابًا من أحد وطالبه به، قال: دخل بين الكتب فلا أقدر عليه»[٣].

وإنه لم يمت أحدٌ من أهل العلم وأصحاب الحديث، إلا وكان يشتري كتبها كلها، فحصلتْ أصول المشايخ عنده.

---

(١) من روائع حضارتنا: ص ١٧٩.
(٢) إرشاد الأديب (١٢/ ٥١) والذهبي في السير (٢٠/ ٥٢٧).
(٣) بغية الوعاة: ص ٢٧٧، ولا يجوز ذلك؛ لأن الكتاب عارية ويجب رده لصاحبه.

■ عاشق الكتب ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ)، يقرأ عشرين ألف مجلد، ومازال في الطلب:

يقول ابن الجوزي[١] في كتابه الماتع «صيدُ الخاطر»:

«فسبيل طالب الكمال في طلب العلم الاطلاع على الكتب، التي قد تَخَلَّفتْ من المصنفات، فليكثر من المطالعة، فإنه يرى من علوم القوم، وعلو هممهم ما يشحذ خاطره ويحرك عزيمته للجدّ، وما يخلو كتابٌ من فائدة[٢]، وأعوذ بالله من سير هؤلاء الذين نعاشرهم! لا نرى فيهم ذا همةٍ عالية؛ فيُقتْدى به المبتدئ، ولا صاحب ورع! فيستفيد منه الزاهد. فالله الله وعليكم بملاحظة سير السلف، ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم»، كما قال:

فاتني أن أرى الديارَ بِطرَفي ❖❖ فلعلِّي أرى الديارَ بسمْعِي

وإنيِّ أخبرُ عن حالي:

ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابًا لم أره، فكأنيِّ وقعتُ على كنز، ولقد نظرتُ في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية؛ فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف

---

(١) ابن الجوزي هو عالم من ضمن العلماء الذين اشتهروا بكثرة تأليفهم مثل الطبري والسيوطي وابن تيمية.

- **يقول عنه ابن خلكان** (١/ ٢٧٩): «وله تصانيف كثيرة، وبالجملة فكتبه أكثر من أن تُعدّ، وكتب بخطه شيئًا كثيرًا، والناس يغالون في ذلك حتى يقولوا إنه جُمعَت الكراريس التي كتبها وحُسبتْ مدة عمره، وقسمتْ الكراريس على المدة فكان ما خصّ كل يوم تسع كراريس، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله عقل».
- **وقال عنه ابن كثير** في البداية والنهاية:« ... جمع المصنفات الكبار والصغار نحوًا من ثلاثمائة مصنف، وكتب بيده نحوًا من مائتي مجلد».
- **وقال عنه الحافظ الذهبي**: «ما علمتُ أنّ أحدًا من العلماء صنَّف ما صنف هذا الرجل».
- **وقال عنه ابن تيمية**: «عددتُ له أكثر من ألف مصنف، ورأيتُ بعد ذلك ما لم أره».

(٢) وهذه القاعدة (لن يخلو كتابٌ من فائدة) ذكرها الإمام أبو محمد بن حزم (ت: ٤٥٦هـ) في «رسالة مراتب العلوم» ، وهي ضمن «رسائل ابن حزم» (٤/ ٧٧).

مجلد، وفي ثبت كتب أبي حنيفة، وكتب الحميدي، وكتب شيخنا عبد الوهاب، وابن ناصر، وكتب أبي محمد بن الخشاب، وكانت أحمالًا وغير ذلك من كل كتاب أقدر عليه.

ولو قلتُ: إنيِّ طالعتُ عشرين ألف مجلد، كان أكثر، وأنا بعدُ في الطلب، فاسْتفدتُ بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم، وحفظهم وعباداتهم، وغرائب علومَهم، ما لا يعرفه مَنْ لم يُطالع، فصرتُ أستزري [١] ما الناس فيه، وأحتقر همم الطلاب، ولله الحمد[٢].

وهاهو ابن الجوزي - أيضًا - يوصى العالم وطالب العلم بقوله:

«ليكن لك مكان في بيتك تخلو فيه، وتُحادث سطور كتبك، وتجري في حلبات فكرك»[٣].

■ **ابن تيمية الجد، يقرأ حتى في الحمَّام:**

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «روضة المحبين» وهو يتكلم عن عشق العلم والكتب:

وحدثني أخو شيخنا (يعني أحمد بن تيمية) عبد الرحمن بن تيمية، عن أبيه (عبد الحليم) قال: كان الجدُّ (أبو البركات) إذا دخل الخلاء يقول لي: «اقرأ في هذا الكتاب، وارْفع صوتك حتى أسمع» [٤]،[٥].

---

(١) أستزري: أحتقر.

(٢) صيد الخاطر: ص ٢٦٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٦٤.

(٤) روضة المحبين: ص ٥٨.

(٥) ولا عجب في ذلك فإن الإمام العلامة [أبو البركات مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن الخضر بن محمد بن عبد الله الحراني المعروف بابن تيمية] فهو صاحب الكتاب الجامع الماتع المسمَّى «مُنتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار» وهو جدّ شيخ الإسلام [أحمد بن عبد الحليم بن تيمية] تلك الشجرة الطيبة - بإذن الله تعالى - التي نفع الله بها البلاد والعباد، ولايزال فضلهم ونفعهم مستمرًا، فضلًا من الله والمنة، ولقد قام الإمام العلامة (محمد بن علي بن محمد الشوكاني) بشرح هذا الكتاب شرحًا وافيًا سماه «نيل الأوطار شرح مُنتقى الأخبار».

■ وَلَعُ شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) بالمطالعة، وشغفه بالكتب والعلم:

لله درّ بشر بن الحارث الحافي إذ يقول: «كم من أناس موتى تحيا القلوبُ بذكرهم!، وأناسٍ أحياء تموت القلوب برؤيتهم!».

ومن عجب أنِّي أحِنُّ إليهمُ ❖❖ وأسألُ شوقًا عنهمُ وهمُ معي

وتبكيهم عيني وهم في سوادها ❖❖ ويشكو النَّوى قلبي وهم بين أضْلُعي

ولله درّ القائل:

حالتْ لفقدكم أيامنا فغدتْ ❖❖ سُودًا، وكانت بكم بيضًا لياليناً

لِيُسْقَ عهدكمُ عهد السرور فما ❖❖ كنتم لأرواحنا إلا رياحيناً

وهذا إذا انطبق على إنسانٍ، فإنه بكل تأكيد ينطبق على شيخ الإسلام ابن تيمية، ومَنْ منا لا يعرف ابن تيمية؟!

هل الشمس بحاجة إذا توسطت السماء في يومٍ صحوٍ أن ينبه على مكانها؟!

وهل القمر في ليلة اكتماله والسماء صافية، بحاجة لمن يشيد بعلوه وسنائه؟!

عاشت بعض الدول خمسة قرون ثم اندرستْ، وذهبتْ فلا أثر ولا عينْ، ولكن هذا الجهبذ الأعجوبة بقى في ذاكرة الزمان، وقلب الدهر، قصة فريدة محفوظة للأجيال تردِّدها الألسن، وتترنم بها الشفاه.

إنه إمامٌ في التفسير، حُجة في الحديث، مُنظِّر في المعتقد، مُجدِّد في الملة، مجتهد في الفقه، موسوعة في العلوم، بحرٌ في السير والأخبار، آيةٌ في الذكاء، أستاذٌ في العبقرية.

أصبح أشهر من الدولة التي عاش في عهدها!.

دوائر المعارف تترجم عن دول بصفحتين وثلاث، ولكنها تتحدث عن ابن تيمية بعشرين صفحة!، المجامع العلمية تذكر المصطلحات في سطر، ولكنها تتكلم عن ابن تيمية في ثلاثين سطرًا.

تضيقُ بنا الدنيا إذا غبتمُ عنا ❖❖ وتزهق بالأشواق أرواحنا منا

بُعادكم موتٌ وقربكم حيا ❖❖ ولو غبتم عنا ولو نَفَسًا متْنا

نعيشُ بذاكراكم ونحْيا بقربكم ❖❖ ألا إنّ تذكار الأحبة يُنْعشُنا

ولا أعلمُ عالمًا بالتراجم والكتابة والاهتمام والانشغال بمثل ما حظى به من مكانة عالية[١].

نقل المؤرخون وأهل السير أن ابن تيمية كان منشغلًا في كل أوقاته بتحصيل العلم ما بين قراءة وتكرار وحفظ ومذاكرة واستنباط وكتابة وقراءة وتأليف وتعليق، فلا تراه إلا مُنكبًّا على كتاب.

وهو من العلماء الثلاثة الذين بلغوا الغاية في التأليف، وهم ابن الجوزي والسيوطي بالإضافة إليه.

وقد كان أكثرهم تحقيقًا وتنقيحًا ورسوخًا وعمقًا ونفعًا وأثرًا في الأمة حتى قيل إن مؤلفاته بلغت بالرسائل والكتب أكثر من ألف مؤلف، ولو جُمعتْ لكانت أكثر من خمسمائة مجلد، وقد ضاع منها الكثير[٢].

هو البحرُ من أيّ النواحي أتيْته ❖❖ فلُجّتهُ المعروفُ والجودُ ساحِلُهْ

قال عنه الحافظ ابن عبد الهادي [ت: ٧٤٤ هـ] تلميذه في «مختصر طبقات علماء الحديث»[٣]:

« لا تكاد نفسُه تشبع من العلم، ولا تروى من المطالعة، ولا تملّ من الاشتغال، ولا تكلُّ من البحث، وقلَّ أن يدخل في علم من العلوم في باب من أبوابه إلا ويُفتح له من ذلك الباب أبواب، ويستدرك أشياء في ذلك العلم على حُذَّاق أهله»[٤].

---

(١) بعض الباحثين ذكر أنه قد أُلِّف في ابن تيمية أكثر من ثلاثة آلاف كتاب، ما بين رسالة وكتاب وبحث ورسالة دكتوراه وماجستير وبحوث علمية.

(٢) على ساحل ابن تيمية: ص ٢٣.

(٣) (٤/ ٢٨٢) ؛ و «العقود الدرية».

(٤) واستمع إلى هذا الوصف العجيب لابن تيمية، عندما سُئل الشيخ علاء الدين البسطامي عن صفته، فقال للسائل: هل رأيت قُبة الصخرة؟ قال: نعم، قال: كان كقُبة الصخرة مُلئ كتبا لها لسان ينطق!.

قراءة الشيخ حتى وهو مريض:

قال الإمام المحقق وتلميذه النجيب ابن القيم في كتابه «روضة المحبين»:

«وحدثنا شيْخنا - يعني ابن تيمية - قال: ابتدأني مرضٌ، فقال لي الطبيب: إنّ مطالعتك وكلامك في العلم يزيد المرض، فقلت له: لا أصبر على ذلك، وأنا أحاكمك إلى علمك، أليستْ النفس إذا فرحتْ وسُرَّتْ قوِيَتْ الطبيعة فدفعت المرض؟

فقال: بلى ، فقلت له: فإن نفسي تُسرُّ بالعلم فتقوى به الطبيعةُ فأجدُ راحةً، فقال: هذا خارجٌ عن علاجنا...» [١].

أما عن تصانيفه ومؤلفاته:

● **قال ابن شاكر الكتبي**: «إن تصانيفه تبلغ ثلاثمائة مجلد»[٢].

● **وقال ابن رجب الحنبلي**: «وأما تصانيفه فقد امتلأت بها الأمْصار، وجاورتْ حد الكثُرة، فلا يمكن لأحدٍ حَصْرها»[٣].

■ **الإمام العلامة ابن قيم الجوْزية [ت: ٧٥١ هـ] يقرأ حتى في مرضه:**

يقول عن نفسه في كتابه «روضة المحبين»:

«وأعرف مَنْ أصابه مرضٌ من صداعٍ وحُمّى وكان الكتابُ عند رأسه، فإذا وجد إفاقة قرأ فيه، فإذا غُلِبَ وَضعَه، فدخل عليه الطبيبُ يومًا وهو كذلك فقال: إنّ هذا لا يحلُّ لك، فإنك تُعين على نفسك، وتكون سببًا لفوْت مطلوبك» [٤].

وهذا ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول عن ابن القيم في كتابه «الدرر الكامنة»:

«وكان مُغرى بجمع الكتب مُحصّل منها مالا يُحصى، حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهرًا طويلًا، سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم» [٥].

---

(١) روضة المحبين: ص ٥٨-٥٩.
(٢) فوات الوفيات (١/ ٣٨-٤٢).
(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٠٣).
(٤)روضة المحبين: ص ٥٨.
(٥) الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني.

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «روضة المحبين»:

«أما عُشاق العلم فأعظم شغفًا به، وعشقًا له من كل عاشق بمعشوقه، وكثيرٌ منهم لا يشغله عنه أجمل صورة من البشر».

■ **أحد البلغاء:**

وقال أحد البلغاء: «إنّ هذه الآداب نوافر، تيدُّ عن عقل الأذهان؛ فاجعل الكتب عنها حُمَاة، والأقلام لها رُعاة.

■ **مهبوذ:**

وقال مهبوذ: «لوْلا ما عقدته الكتب من تجارب الأولين؛ لانحلَّت مع النسيان عقود الآخرين».

■ **لذتي مع كتبي:**

وفي التقييد «للخطيب» عن يحيى بن أكثم قال: قال المأمون لعبد الله بن الحسن العلوي: «ما بقي من لذتك يا أبا عليّ؟

قال: اللعب مع الصغير من ولدي، ومحادثة المؤتى.

قال أبو بكر النقاش راوية: يعني: النظر في الكتب»[1].

■ **ابن الأثير صاحب «جامع الأصول، والنهاية في غريب الحديث»، يترك المناصب الجليلة ليتفرغ للقراءة وللكتاب:**

كان ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات صاحب جامع الأصول، والنهاية في غريب الحديث، من أكابر الرؤساء مَحْظياً عند الملوك ، وتولّى لهم المناصب الجليلة ، فعرض له مرض في كف يديه ورجليه، فانقطع في منزله وترك المناصب والاختلاط بالناس ، وكان الرؤساء يزورونه في منزله، فحضر إليه بعض الأطباء والتزم

(١) التقييد.

بعلاجه، فلمَّا طبّبه وقارب البرء (الشفاء)، وأشرف على الصحة، دفع للطبيب شيئاً من الذهب، وقال له: امض بسبيلك، فلامه أصحابه على ذلك، وقالوا له: هلَّا أبْقيته إلى حصول الشفاء؟!

فقال لهم: إنني متى عُوفيتُ، طلبتُ المناصب، ودخلتُ فيها، وكلفتُ قبولها، وأما ما دمتُ على هذه الحال فإنِّي لا أصلح لذلك، فأُصْرِفُ أوقاتي في تكميل نفسي ومطالعة كتب العلم، ولا أدخل معهم فيما يغضب الله ويرضيهم، والرزق لابد منه.

انظر - لهذا العالم الجليل - وكيف اختار عطلة جسمه ليحصل له بذلك الإقامة على العطلة عن المناصب!!.

وفي تلك المدة ألَّف كتاب «جامع الأصول» و «النهاية» وغيرهما من الكتب المفيدة[1]،[2].

---

(١) الكشكول (١/ ٢٦).

(٢) ● **قال السُّهْرَوَرْدِيُّ**: نبَّه القائل على حقيقة جامعة «للعُزلة» وفائدتها ، وما يحذر فيها بقوله:

وحدةُ الإنسانِ خيرٌ ❖❖ من جليس السوء عندَه

وجليسُ الخير خيرٌ ❖❖ من قعود المرء وحدَه

● **ولأبي سليمان الخطابي** كتاب ماتع مشهور في هذا واسمه «العزلة».

● **وسئل أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي**: «ما تقولُ في عُزلة الجاهل؟ فقال: خَبَال ووبال، تضره ولا تنفعه، فقيل له: فعزلة العالم؟ قال: مَالَكَ ولها، معها حِذاؤها وسِقاؤها ترد الماء وترعى الشجر، إن أن يلقاها رُبها». [ذيل الطبقات]

● **وقال مكحولّ الدمشقي**: «إنْ كان في مجالسة الناس خيرٌ، فالعزلة أسلم».

● **وكان سفيان الثوري** يقول: «هذا زمان السكوت، وملازمة البيوت».

● **وقال الزبير بن العوام** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا ينبل الرجلُ حتى يلزم بيته».

● **وقال الفضيل بن عياض**: «فرّ في آخر الزمان من الناس كفرارك من الأسد، غير تارك للجماعة».

● **وقال**: احذروا الناس؛ فإنهم داءٌ ليس له دواءٌ».

● **ولمنصور الفقيه**:

الناسُ بحرٌ عميق ❖❖ والبعدُ منهم سفينة

وقد نصحتك فانظر ❖❖ لنفسك المسكينة

[سنن الصالحين ص ٣٧٨]

■ **وصية سليمان بن طرخان التيمي لابنه المعتمر بالكتب:**

أوصى سليمان بن طرخان التيمي ابنه المعتمر قائلًا:

«يا بني، اشْتر الصحف، واكتب العلم؛ فإن المال يفْنى، والعلمُ يبقى» (١).

وبلفظة أخرى عند «ابن عبد البر» في «الجامع لبيان العلم وفضله»:

«يا بني اشتر الورق، واكتب الحديث؛ فإن العلم يبقى، والدنانير تذهب» (٢).

■ **الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وذكر السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ترجمة شيخه الحافظ ابن حجر:**

«وقد سمعته يقول غير مرة: إنِّي لأتعجبُ ممن يجلسُ خاليًا عن الاشتغال».

وأقام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دمشق مدة سبعين يومًا، قرأ فيها قرابة مائة مجلد مع انشغاله.

■ **الكتاب أفضل من الصديق**(٣):

وهاهو أحد الشعراء يُفضِّل الكتاب عن أُنس الصديق، يقول:

لمحبـــرةٍ تُجالسنـــي نهـــاري ❖❖ أحبُّ إليَّ من أُنس الصديـــق

ورزمة كاغدٍ في البيت عندي ❖❖ أحبُّ إليَّ من عـطر الدقيـق

ولطمةُ عالمٍ في الخـدِّ منـــي ❖❖ ألذُّ إليَّ من شُـرب الرحيـــق

■ **وأحدهم يتحسر ويتأسف على كتب العلم:**

ويقول أحدهم في وصف أسفه على كتب العلم:

أَجَلُّ مصائب الرجـل العليـم ❖❖ مصائبـــه بأسفـــارِ العلـــومِ

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٢٤٢).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢٩٢): ص ٦٤.

(٣) ولقد صاغ أمير الشعراء أحمد شوقي هذا المعنى في قصيدته عن الكتاب والتي مطلعها:

أنا من بدل بالكتب الصحابا ❖❖ لم أجد لي وافيًا إلا الكتابا

ولقد سبق ذكرها ص ٤٧ .

إذا فقد الكتاب فـذاك خَطْـبٌ ❖❖ عظيم قد يجلّ عـن العميـم

وكم قد مات مَنْ أسف عليها ❖❖ أُناسٍ في الحديث وفي القديم

■ **الخليفة المأمون وحبّه للقراءة:**

وقيل للمأمون: «ما ألذُّ الأشياء؟

قال: التنزه في عقول الناس»: يعني قراءة أقوالهم[١].

■ **مكتبة الموفق بن المطران الدمشقي [ت: ٧٨٥هـ]:**

كانت له همة عالية في تحصيل الكتب، حتى أنه لما مات كان في خزائنه من الكتب الطبية وغيرها عشرة آلف مجلد، وكان في خدمته ثلاثة نسَّاخ يكتبون له أبدًا، ويعطيهم رواتبهم وأرزاقهم[٢].

■ **مكتبة جمال الدين القفطي [ت: ٦٤٦هـ]:**

جمع من الكتب ما لا يوصف، وقُصد بها من الأفاق طمعًا في سخائه، وكرمه، وكان لا يحبّ من الدنيا سوى الكتب، فأوْقف عليها نفسه، ورفض أن يتزوج [٣]حتى لا يشغله الأهل والأولاد عنها، وأوصى بمكتبته للناصر، وكانت تساوي خمسين ألف دينار[٤].

---

(١) عين الأدب والسياسة: ص ١٥٨.

(٢) من روائع حضارتنا: ص ١٨٤.

(٣) لا يُفهم من هذا المناداة بترك الزواج، بل الأصل الترغيب فيه والحث عليه؛ لما له من أهمية في اكتمال الحياة واستقرارها، وقد يُخرج عن هذا الأصل عوارض ما.

وليس أدل على فضل الزواج والترغيب فيه قول النبي ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ (صوْن وحماية)**» [أخرجه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠)].

(٤) من روائع حضارتنا: ص ١٨٤.

■ **عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجَيْش البغدادي [ت: ٦٧٦هـ] يتحسر على كتبه ويجعلها بمنزلة الولد منه:**

يقول ابن رجب في ترجمته(١) لهذا العلم أنه صنَّف خُطبًا انفرد بفنها وأسلوبها، وما فيها من الصَّنْعة والفصاحة، وجمع منها شيئًا كثيرًا، ذهب في واقعة بغداد، مع كتب له أخرى بخطِّه وأصوله، حتى كان يقول: «في قلبي حَسْرتان ولدي وكُتبي». (وكانا قد فُقدا جميعًا في واقعة هجوم التتار على بغداد ٦٥٦هـ، والقضاء على الخلافة العباسية)(٢).

---

(١) ذكره ابن رجب في «الذيل» (٢/ ٢٩٢).

(٢) ولئن كانت النشوة تملأ قلوبنا ونفوسنا حين نتحدث عن حب العلماء للكتب والقراءة والاطلاع، وانتشار المكتبات في العالم الإسلامي في عصور حضارته الزاهرة، فإن الأسى ليملأ قلوبنا حين نتذكر مصائر هذه المكتبات، وما تعرضت له من بوار وحَرائق، لا يمكن أن تقدر خسارة العلم فيها أبدًا.

لقد أصيبت مكتباتنا بما قضى على ملايين الكتب منها بحيث فقدها العالم إلى الأبد، وهي من أثمن ما خلّفه الفكر الإسلامي في التاريخ.

فنكبة التتار حين افتتحوا بغداد، أصابت هذه المكتبات قبل أن تصيب أي شيء غيرها، وكلنا يعلم أن التتار هُمج قذفوا بما وجدوا في دور الكتب العامة في نهر دجلة، حتى فاض النهر بالكتب الملقاة فيه، فكان يعبرُ الفارس عليها من ضفة إلى ضفة، وظلّ ماء النهر أسود داكنًا أشهرًا طويلة من تغيُّره بمداد الكتب التي أغرقت فيه.

- ونكبة الغزو الصليبي أفقدتنا أعز المكتبات التي كانت في طرابلس والمعرة والقدس وغزة وعسقلان، وغيرها من المدن التي خربها الصليبيون، وحسبنا أن نعلم أن بعض المؤرخين قدّر ما أتلفه الصليبيون في طرابلس وحدها بثلاثة ملايين مجلد.

ونكبة استيلاء الأسبان على الأندلس أفْقدتنا تلك المكتبات العظيمة التي يتحدث عنها التاريخ بذهول، فقد احترقتْ كلها بفعل المتدينين المتعصبين، حتى أنه قد أُحرق في يوم واحد في ميدان غرناطة ما قدّرهُ المؤرخون بمليون كتاب. [من روائع حضارتنا ١٨٥]

- يقول بعض المؤرخين المصريين: «إنّ الباقي من الكتب التي ألَّفها المسلمون ليس إلا نقطة من بحرٍ بسبب ما أحرقه الصليبيون والتتر والإسبان!».

لقد كان هَم الغُزاة على طول العصور أن يحرموا هذه الأمة من اتصالها بأي نوع من أنواع العلوم، إما بحرق الكتب، أو بإغراقها في الأنهار أو بسرقتها أو بتغيير مناهج التعليم، حتى تُفرغ من كل ما هو قيِّم وثمين، كل ذلك لأن الغُزاة يعرفون جيدًا قيمة العلم في دين الإسلام، والعلم موجود في الكتب والمكتبات، ويعرفون قيمة المسلمين إذا ارتبطوا بالعلم. [قصة التتار: ص ١٦٣]

■ **الإمام أبو العلاء الهَمَذاني [ت: ٥٦٩هـ] مع الكتب حتى في الجنة:**

عن ابن الجوزي أنه قال عن الإمام أبي العلاء الهمذاني:

«بلغني أنه رُئِيَ في المنام في مدينة جميع جدرانها من الكتب، وحوله كتبٌ لا تُحَدُّ وهو مشتغلٌ بمطالعاتها.

فقيل له: ما هذه الكتب؟

قال: سألت الله أن يُشغلني بما كنتُ أشتغل به في الدنيا، فأعطاني»[١].

■ **أبو علي الفالي يتألم ويتحسر على بيع كتبه![٢]:**

كان لأبي على الفالي (ت: ٣٥٠هـ) الأديب نسخة من كتاب «الجمهرة» بخط مؤلفها ابن دُرَيْد، وكانت في غاية الجوْدة والروعة، فدعته الحاجة إلى بيْعها فباعها، واشتراها الشريف المرتضى - أبو القاسم -، وكان قبل ذلك عُرض عليه ثلاثمائة مثقالٍ فأبى، حتى اشتدت به الحاجة باعها بأربعين مثقالا[٣]، ولَمَّا تصفَّحها المشترى السابق ذكره، وجد بها أبياتًا بخطّ بائعها أبي الحسن الفالي، وهي:

آنَسْتُ بها عشرين عامًا وبعْتُها ❖❖ لقد طال وَجْدي بعدَها وحَنيني

وما كان ظنِّي أنني سأبيعُها ❖❖ ولو خَلَّدَتْني في السجون ديوني

ولكن لعَجْزٍ وافتقارٍ وصبْيَةٍ ❖❖ صغارٍ عليهم تستهِلُّ شُؤوني

فقلْتُ - ولم أمْلك سوابقَ عَبْرتي ❖❖ مقالةَ مكْويّ الفؤادِ حَزينِ

وقد تُخْرجُ الحاجاتُ يا أمَّ مالك ❖❖ كرائمَ من ربٍّ بهنَّ ضَنين

فأرسلها الذي اشتراها، وأرسل معه أربعين ديناراً أخرىَ[٤].

---

(١) ذيل الطبقات لابن رجب (١/ ٣٢٨)، ومعجم الأدباء: ج ٥/ ٨٣.

(٢) بالفاء، وليست «بالقاف» وقد تصحّف الاسم في كثير من المصادر إلى «القالي» وقد نبه على هذا الخطأ غير واحد.

(٣) في وفيات الأعيان اشتراها بستين دينارًا.

(٤) المزهر (١/ ٩٥)، تاج العروس (١/ ١٢).

■ **نُزهة النفوس كتاب:**

نُزْهــــة النفـــوس كتـــــاب ❖❖ مُفْصِحٌ عن محاسن الأخلاق
في عيون الأخبــار حــلَّ سنــاه ❖❖ كضياءِ العيونِ في الأحــداق
مُطلقُ الحسِن قيد الفكر وصفا ❖❖ لا يُرى مثلـهُ علــى الإطـلاق![1]

■ **شغفهم بجمع الكتب:**

لقد تنافس العلماء مع الملوك في اقتناء الكتب، بل لا نبالغ إذا قُلنا أنهم قد فاقوا ملوك المسلمين في الحرص على الكتب وجمعها، ولقد كان هناك هواة من العلماء لجمع الكتب **كالعلامة أبو عمرو بن العلاء [ت: ١٥٤هـ]** والذي بلغت كتبه حدًّا كبيرًا حتى يُقال إنه بلغ ارتفاعها إلى علو سقف بيته[2].

وكان **الزهراوي [ت: ٤٢٧هـ]** قد همّ بشد كتبه من بيته فكانت ثمانية أحمال[3].

وكذلك **العلامة ابن منده [ت: ٣٩٥هـ]** لما رجع من رحلته الطويلة كانت كتبه عدة أحمال، حتى قيل إنها كانت أربعين حِمْلا[4]،[5].

---

(١) الغُرر على الطُّرر: ص ٢٤٧ رقم ١٨٤.
(٢) وفيات الأعيان (١/ ٣١٦).
(٣) تذكرة الحفاظ (١/ ١١٢).
(٤) المصدر السابق.
(٥) ولقد تحدّثنا قبل ذلك على أن جمع الكتب ليس هدفًا في ذاته، بل لا بد أن يكون مع الفرد عقلًا حاضرًا، وذهنًا صافيًا، وقريحة مشتعلة، وذكرنا - أيضًا - كلام الجاحظ من أن الكتب لا تحيى الموتى.....، فارجع إليه غير مأمور.
وللعلماء السابقين في ذم جمع الكتب من غير فهم، ولا حاجة أشياء كثيرة.
قال أحد الشعراء:

إذا لمْ تكنْ حافظًا واعيًا ❖❖ فجمْعُك للكُتُب لا يَنْفـعُ
يحضُر بالجهل في مجلسٍ ❖❖ وعلْمُكَ في البيتِ مُسْتودَعُ

لطيفة: حول «جمع الكتب دون فهم»:
قال الخضريُّ: «أقمت مرة بقرطبة، ولازمتُ سوق كتبها مُدة أترقبُّ فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء إلى أن وقع في يدي، وهو بخط فصيح، وتفسير مليح، ففرحتُ به أشد الفرح، وجعلتُ أزيدُ في ثمنه فيرجع إليَّ المنادي بالزيادة عليَّ إلى أن بلغ فوق حدّه. =

■ **الإمام ابن عقيل وهمته العالية وهو في الثمانين من عمره:**

ويحدثنا الإمام ابن عقيل عن همته وهو في عشر الثمانين من عمره، يقول: «إنِّي لا يحلّ لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مُذاكرة ومناظرة وبصري عن مطالعة أعملتُ فكري في حال راحتي، وأنا مُسْتطرح فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره ، وإنيِّ لأجد حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين» [(١)].

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ألف كتابًا اسمه «الفنون» جعله مَناطًا لخواطره وواقعاته، لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب.

■ **الفيروز آبادي والقراءة:**

ويُقال عن الفيروز آبادي: كان لا يُسافر إلا وفي صحبته عدة أحمال من الكتب، ويخرج أكثرها في كل منزل يُنظر فيها ويُعيدها إذا رحل، وكان واسع الثقافة، كثير الاطلاع، قوي الذاكرة، وقد روي أنه اشترى كتبًا بخمسين ألف مثقال ذهبًا.

■ **الإمام الطبراني:**

كان الإمام الطبراني يقول عن «المعجم الأوسط»: «هذا الكتاب روحي، فقد تعب فيه أيَّما تعب»[(٢)].

= فقلت له: ما هذا؟! أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه وأوْصله إلى ما لا يُساوي ثمنه، فأراني شخصًا عليه لباس الرئاسة، فدنوتُ منه، وقلتُ له: أعزَّ الله سيدنا الفقيه، إن كان لك غرضٌ في هذا الكتاب تركته لك فقد بلغتْ به الزيادة بيْننا فوق حده وثمنه.
فقال لي: لسْتُ بفقيه، ولا أدري ما فيه، ولكني أقمْتُ خزانة كتب جميلة ورائعة، لأتجمّل بها بين أعيان البلد، وبَقِيَ فيها موضع يسع هذا الكتاب، فلمّا رأيته حسن الخط، جيد التجليد، اسْتحْسنتُه، ولم أبالِ بما أزيدُ فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير.
فأفْرحني وحملني أنْ قلتُ له: نعم لا يكون الرزق كثيرًا إلا عند مثلك، يُعطي الجوز مَن لا عنده أسنان! (وهذه المقولة لا تجوز شرعًا).
وأنا الذي أعلمُ ما في هذا الكتاب وأطلبُ الانتفاعَ به، وتحول قلَّة ما بيدي بيْني وبيْنه!!».
[نفح الطيب للمقري التلمساني]

(١) شذرات الذهب لابن العماد (٤/ ٣٧).
(٢) المعجم الأوسط.

■ **أبو هلال العسكري:**

لا مؤنسٌ آنس من دفترٍ ❖❖ وواعظٌ أوْعظ مـن قبـرِ
فلا تُردْ غيرها صاحبًـا ❖❖ تفوز في الموقف والحشـر[١]

نديمُك كتاب

للشيخ عبد الغني النابلسي:

ما النـاسُ إلا ذئـاب ❖❖ تستَّـروا بالثيـاب
فخلْهـمُ وتخلَّـى ❖❖ للعلـم والآداب
واجعلْ نديمك في كـلٍّ ❖❖ مَحْفـل مُسْتطـاب
كتـابُ علـمٍ نفيـس ❖❖ تهْدى بـه للصـواب
لا مُفْشيًـا لك سَـرًّا ❖❖ ولا مذيع خطـاب
واتْـرك التسلُّـم مـا ❖❖ عِشْت خلّة الأحبـاب[٢]

الكتابُ مُتعدِّد المواهب

يقول محمد علي بن عبد الله بن محمد الصُّوري:

نِعْمَ الأَنِيسُ كِتَـابُ ❖❖ إِنْ خَانَـكَ الْأَصْحَـابُ
يَحْوِي ضُرُوبَ عُلُـومٍ ❖❖ تُـزِينُهَـا الآدَابُ
تَنَـالُ مِنْـهُ فُنُونًـا ❖❖ تَحْظَـى بِهَـا وَتُثَـابُ
لَا مُظْهِرًا لَكَ سِـرًّا ❖❖ وَلَا عَلَيْـهِ حِجَـابُ
وَلَا يَصُـدُّكَ عَنْـهُ ❖❖ إِنْ جِئْتَـهُ بَـوَّابُ
وَلَا يَسُـوءكَ مِنْـهُ ❖❖ تَغَضُّـبٌ أَوْ عِتَـابُ

(١) ديوان العسكري: ص ١٢٨.
(٢) عُشاق الكتب: ص ٢١٠ .

وَلَا يَعِيبُكَ إِنْ كَـــا ❖❖ نَ فِيـــكَ شَـــيٌّء يُعَـــابُ
خِلَافَ قَوْمٍ تَرَاهُـــمْ ❖❖ لَيْسَـــتْ لَهُـــمْ أَلْبَـــابُ
لَكِنَّهُـــمْ كَذِئَـــابٍ ❖❖ طُلَّسٍ عَلَيْهِـــمْ ثِيَـــابُ
إِذَا تَقَرَّبْـــتَ مِنْهُـــمْ ❖❖ أَرْضَاكَ مِنْهُـــمْ خِطَـــابُ
وَإِنْ تَبَاعَدْتَ مِنْهُـــمْ ❖❖ فَكُلُّهُـــمْ مُغْتَـــابُ
مَـا هَـؤُلَاءِ بِنَـــاسٍ ❖❖ بَـلْ لَعَمْـــرِي كِـــلَابُ
فَالْبُعْدُ مِنْهُمْ ثَـوَابُ ❖❖ وَالْقُـرْبُ مِنْهُـمْ عِقَـــابَ[1]

كتابه بستانه وسميره ونديمه

يقول أبو عبد الله بن عبد الرحمن:

كتابي فيه بُسْتاني وراحي ❖❖ ومنه سميرُ نفْسي والنديـمُ
يُسالمني وكلُّ الناسِ قـرْبٌ ❖❖ ويُسلِّيني إذا عـرتِ الهمـومُ
ويحْيى لي تصفُّح صفحتيْه ❖❖ كرامَ الناسِ إذا فقد الكريـمُ
إذا اعْوجَّ عليَّ طريـق أمْـري ❖❖ فلي فيـه طريـقٌ مستقيـمُ[2]

صُحبة الكتب

ويقول الشاعر أحمد الزّين في صحبة الكتب:

إنْ عـزّتِ الصحـابُ ❖❖ وقلّـتِ الأحبـابُ
وأعـوز النصيـرُ ❖❖ وأبْطـأ المُجيـرُ
وكثُـر اللئـامُ ❖❖ وقلَّـت الكـرامُ
وغـاض مـاءُ الـوُدِّ ❖❖ وفاض نكْـثُ العهـدُ

(١) تقييد العلم: ص ١٣٢.
(٢) محاضرة الأبرار (١/ ١٠).

حتـــى ذَوَى الإخـــاءُ ❖❖ وأمْحَـــل الوفـــاءُ
فـلا تَـــرى صَفيًّـــا ❖❖ ولا أخًـــا وفيـــًّا
عونًـا علـى الزَمـــانِ ❖❖ ومَعْقَـــلَ الإخـــوانِ
إنْ تدْعُبه لـم يأْتـــلِ ❖❖ ليْس بنكْـــسٍ ذُمّـــلِ
فاتـــرك الأصحابـــا ❖❖ واصطحـــب الكتابَـــا
فهو الجليسُ الصالـحُ ❖❖ وهو الصديقُ الناصـحُ
ودادُه لا يَخْلـــــقُ ❖❖ وحبّـــهُ لا يُمْـــزقُ
وحَبْلُـــه مَوْصـــولُ ❖❖ إنْ قـاطـــع الوَصَـــولَ
ليْس يُرائِي صاحِبـًـا ❖❖ ولا يَـــرُدُّ طالِبَـــا
يزيـــدُ في نوالِـــه ❖❖ مـــا زِدْت في سْؤالـــه
يُجْـزلُ في الإحســـان ❖❖ وليْـــس بالمنَّـــان
مُـؤدِّبٌ لا يُصِغـــرُك ❖❖ ومُحسنٌ لا يحقِـــرك
ذاك الصَّديقُ الأطـوعُ ❖❖ وهو الرفيقُ الأخْضـعُ
لـــمْ أرَ كالكتـــابِ ❖❖ أحـفْـــــظَ للآداب
أبعدَ عـــن مُشاغَبـــهْ ❖❖ أزْهَـــد في مُعاتَبَـــهْ
أرْغـبَ عـــن جـــدَالٍ ❖❖ أكـفَّ عـــن قتـــال
أجمـــعَ للأخبـــار ❖❖ وَطَيِّـــب الآثـــار
وحســـن الصفـــات ❖❖ وأبْلـــغَ العظـــاتِ
تـرى بـــه سَخيفًـــا ❖❖ وجَيِّـــدا طريفـــا
والغَـــثَّ والسَّمينـــا ❖❖ وشِـــدَّةً ولينـــا
أمْنـــعُ للأحْـــرارِ ❖❖ مِنْ صُحْبـــةِ الأشـــرارِ

أوْعـــظُ للإنســـان ❖❖ مِـنْ غيـــر الزَّمـــان
خَيْرُ جَليسٍ في الدُّنـــا ❖❖ وشاغـلٌ عـــن المُنـــى
إن المُنـــى ضـــلالُ ❖❖ قُصورُهـــا أطْـــلالُ
وماؤهُـــا سَـــرَابُ ❖❖ وَبَـرْقُهـــا خـــلّابُ[1]

■ **كتب «ابن عباد» تفوق كتب دور الكتب الأوربية مجتمعة:**

قال «ول ديورانت» في كتابه الشهير «قصة الحضارة»: «إن كُتب ابن عباد كانتْ تفوق جميع ما في دور الكتب الأوربية مجتمعة».

وزارها البيهقي وقال عنها: «إنَّ فهرسها يقع في عشرة مجلدات».

وقال «ياقوت» عنه: «أن مكتبته تحتوي على مائتين وستة آلاف مجلد!».

■ **الحريري يوصي ابنه بالعلم، وبمطالعة الكتب:**

قال الحريري لابنه: «عليك يا بُنيَّ بالعلم، فإنه بارد المغنم، لذيذ الطعم، صاحبه أينما حلّ يُكرم، صاحبه أعزّ جيلٍ، وأكرم قبيل؛ فاطْلبه غاية الطلب، واحرصْ على مُطالعة الكتب، فإنه من جسر أيْسر، ومَنْ هابَ خابَ، ولا تغضبْ عند الردّ»[2].

■ **القاضي الجُرْجاني يشيد بموقع الكتاب من نفسه:**

فيقول كما في ترجمته في وَفيات الأعيان[3]:

ما تطعَّمتُ لـذة العيْشْ حتـى ❖❖ صِرْتُ للبْيت والكتابِ جَلِيسَـا
ليس شيءٌ عندي أعزّ من العِـلْـ ❖❖ ـم فما أبْتغي ســوَاه أنيسَـا
إنما الذُّلُّ في مُخالطـةِ النّـا ❖❖ سِ فدعْهُمْ وعِشْ عَزِيزًا رَئيسَا

(١) ديوان «أحمد الزين»: ص ١٧٤، قصيدة بعنوان «صُحبة الكتب».
(٢) مُلتقط الحكايات: ص ٥٦ .
(٣) (١/ ٣٢٥)، و «صفة الصفوة»: (٢/ ٢٦٧) ، و «الكشكول»: ص ٦٩١، و «صفحات من صبر العلماء»: ص ٢٥٦.

■ **الإمامُ اللغويُ الفقيه الأديب (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي)، يشتكي من متاعب الحياة، وكتبه أنيس نفسه وروحه:**

فهذا الإمام النحوي الشاعر الأديب، يشتكي من متاعب الحياة، وتواردُ الهموم عليه، ثم يذكر أنّ سلوى هُمومه وغُمومه، وأنيس نفسِه ورُوحه: كتبه التي يأوى إليها، ويعيش معها، فيقول كما في ترجمته في وَفيات الأعيان[1]:

وقالوا كيف حالُك؟ قلتُ خَيْرٌ ❖❖ تقضَّى حاجَةٌ وتَفُوتُ حَـاجُ

إذا ازْدَحمتْ هِمومُ الصَّدْرِ قُلْنـا ❖❖ عَسَى يوْمًا يكونُ لها انْفراجُ

ندِيمي هرَّتي وَأنيـسُ نَفْسـي ❖❖ دَفاتِرُ لي وَمَعْشُوقي السِّراجُ

الكتاب والعلم أنيسه

لبعض البصريين:

العلـمُ آنسٌ صاحـب ❖❖ أَخلُو به في وحدتـي

فإذا اهْتممتُ فسلْوتي ❖❖ وإذا خلوتُ فلذَّتـي[2]

وهكذا سُدِل الستار، على آثار وأخبار الأخيار! فماتت بموْتهم، وبقيتْ أخبارهم تشهد لهم بالفضل والعرفان.

(١) (١/ ٣٦)، و «صفحات صبر العلماء»: ص ٢٥٧ .

(٢) سُنن الصالحين: ص ١٨٥.

ب ـ نماذج مضيئة من العصر الحديث

وبعد أن طوَّفنا سويًّا مع تلك الشموخ النادرة، والهمم العالية، والجبال الراسية، وعلمنا – علم اليقين – بأن تاريخ القراءة والكتاب، ينتسبُ إلينا أكثر من انتسابه إلى الغرب.

وعِشْنا بأرواحنا ونفوسنا في رحاب العلماء في القرون الغابرة والأقطار المتباعدة، وتنفَّسْنا سويًا أريج الورق من حكاياتهم التي تُشْبه الخيال، ولكنه حب الكتاب والقراءة، وكفى.

قال بعض السلف: «شتان بين أقوام مَوْتى، تحيا القلوب بذكرهم، وبين أقوام أحياء، تموتُ القلوبُ بمُخالطتهم»[1].

أما شعرتَ بالحنين إليهم؟!

أمازلْتَ لا تريدُ أن تقتفيَ آثارهم؟!

وذكرك في المسامع خير هادٍ ❖❖ يُكـــرَّرُ في الجمـــوع فـــلا يُمَـــلُّ

فإن سماع أخبارهم وأحوالهم من خير الوسائل التي تغرس الفضائل في النفوس، وتدفعها إلى الغايات النبيلة والمقاصد الجليلة، وتبعثها إلى التأسِّي بهم لتسمو النفس إلى أعلى الدرجات وأشرف الغايات.

تعلُّلًا أن حُرمنا طيب رؤيتـــه ❖❖ مَنْ فاته العين هدَّه الشوق بالأثر

وكأنَّي أسمع صوتًا يقول: تلك أمةٌ قد خلتْ، وجيلٌ قد ذهب، فهل لك في أمثلة قريبة العهد بنا، ونماذج حيّة؟!

فأقولُ: نعم، وما أكثرها! ومنها:

---

(١) الرسالة التبوكية.

الشيخ المحدث/ محمد بدر الدين الحسني [ت: ١٣٥٤ هـ]

يقول الشيخ علي طنطاوي عنه: «كان يقرأ دائمًا لا يشغله عن القراءة إلا أن يكون نائمًا أو في صلاة أو في درس، أو في طريقه من المسجد إلى البيت، ما فارق الكتاب قطُّ، ولا استعان على النظر بالنظارة، وقد مات حديد البصر، وما أحبّ في الدنيا سوى الكتب، فكان يشتري الكتاب يسمعُ به ولو كان مطبوعًا في أقصى الهند، ويشتري المخطوط ولو وزنه ذهبًا، ولا يدع كتابًا حتى يقرأه، أو يتصفّحه تصفّح المتثبِّت...»[١].

شاعر النيل حافظ إبراهيم [ت: ١٩٣٢م]

يقول عنه «أحمد أمين» في مقدمة ديوانه:

«فهو في سن السادسة عشرة يُربِّي نفسه بالمطالعات، ويحفظ جيد الشعر، ويسمر به مع أصدقائه، ويقلده فيما يقوله هو من الشعر، لا عمل له ولا مدرسة إلا مدرسته التي أنشأها بنفسه لنفسه، وكان فيها وحده المعلم والمتعلم»[٢].

ويواصل «أحمد أمين» الحديث عن حافظ إبراهيم والكتب التي أحبها فيقول:

ولكنه أكمل ثقافته، ووسَّع معارفه من نواحٍ متعددة، فقد أكثر من قراءة كتب الأدب، وأطال النظر خاصة في كتاب الأغاني[٣]، فقد حدَّث أنه قرأه مرات.

---

(١) رجال من التاريخ: ص ٣٨١، والشيخ هو جد الشيخ علي طنطاوي لأمه.

(٢) ديوان حافظ إبراهيم: ص ١١-١٢.

(٣) الأغاني «لأبي الفرج الأصفهاني»: وقد حصلتْ له شهرة واسعة منذ أن ظهر، وهو كتاب ضخم، قال عنه «ابن خلدون»: «إليه المنتهى والغاية، وأنه جامع دواوين العرب»، ويضم الكتاب الكثير من أخبار وأشعار العرب والجاهليين وصدر الإسلام، وقد ملأ الأصفهاني كتابه بالكثير من القصص الموضوعة، والروايات المكذوبة التي تقدح في الإسلام والصحابة والخلفاء، ولعل ذلك يرجع لمذهبه؛ فلقد كان شيعيّ المذهب، وصوّر بغداد وقد كانت في ذلك الوقت كعبة العلم والعلماء على أنها مكان للخلاعة واللهو والمجون، أمّا عن هدفه في الكتاب الإمتاع لا التاريخ؛ فلقد كان يهتم بالقصص الجميلة، ولو كانت موضوعة، ويترك الأخبار الصحيحة والسليمة، لأنها ليست شيقة ولا جذابة، وأخباره في الكتاب عن بني أمية غير دقيقة.

وتحدّث هو نفسه «أنه كان يطيل النظر في دواوين الشعراء، ويتخير من شعرهم ويحفظ مما يتخير من أمثال شعر بشَّار بن بُرد، ومُسلم بن الوليد، وأبي نواس، وأبي تمام، والبحتري، والشريف الرضيّ، وابن هانئ الأندلسي، وابن المعتز، والعباس بن الأحنف، وأبي العلاء المعريّ، يدل ذلك ما كان يحفظ من مُتنخَّل[١] الأدب وعيون الشعر، كل ذلك تجلى في شعره، وكان كالنحلة تتنقل من زهرة إلى زهرة، وترتشف من هذه رشفة، ومن تلك رشفة، فهو يرضي ذوقه في أوقات فراغه بالمطالعة المتنقلة»[٢].

أمير الشعراء أحمد شوقي [ت: ١٩٣٢م]

يحكي الأستاذ أحمد عبد الوهاب أبو العز السكرتير الخاص لأمير الشعراء عن أحبّ الكتب إليه، فقال:

أحبّ الكتب إلى شوقي قبل مرضه: «ابن الأثير»، و «العقد الفريد»، وجميع «الدواوين»، و «الكشكول»، و «الأغاني».

وبعد المرض: «العقد الفريد»، و «الأغاني»، و «الجبرتي».

وفي أواخر أيامه: «القرآن الكريم»، و «تفسير النسفي»، و «كُتب الغزالي»، وكتاب «إظهار الحق».

وكان شوقي قد اشترى «صحيح البخاري»، قبل وفاته بخمسة أشهرٍ، وشرع في القراءة فيه... .

وفي الليلة التي تُوفيّ فيها قرأ عليه الأستاذ/ أحمد أبو العز قبل أن يفارقه سورة «الجمعة» ، وماوليها وتلاها بتفسير «النسفي»[٣].

---

(١) المُتنخَّل: المختار.

(٢) ديوان حافظ إبراهيم: ص ٢٢.

(٣) أسواق الذهب لشوقي ص ٩، ومما يجدر ذكره بأنّ هذا الكتاب من ضمن أعمال شوقي النثرية.

أمير الأدباء أبو السامي مصطفى صادق الرافعي [ت: ١٩٣٧م]

حصل على الشهادة الابتدائية وسنه ١٧ عامًا، وبعد ذلك أصابه مرض التيفود فما نجا منه إلا وقد ترك في أعصابه أثرًا، ووقرًا في أذنيه، لم يزل يعاني منه، حتى فقد حاسة السمع وهو بعد لم يتجاوز الثلاثين.

وكانت بوادر هذه العلة هي التي صرفته عن إتمام تعليمه بعد الابتدائية، فانقطع إلى مدرسته التي أنشأها لنفسه وأعدَّ برامجها بنفسه، فكان هو المعلم والتلميذ، فأكبّ على مكتبة والده الحافلة التي تجمع نوادر كتب الفقه والدين واللغة؛ فاستوْعبها وراح يطلب المزيد، وكانت علته سببًا باعد بينه وبين مخالطة الناس، فكانت مكتبته هي دنياه التي يعيشها وناسها ناسه، وجوّها جوّه، وأهلها صُحْبته وخِلَّانه وسُمّاره، وقد ظلَّ على دأْبه في القراءة والاطلاع إلى آخر يوم في عمره، يقرأ كل يوم ٨ ساعات، لا يكلّ ولا يملّ، كأنه في التعليم شادٍ لا يرى أنه وصل إلى غاية.

وكان شاعرًا مطبوعًا وبدأ قرض الشعر وهو في العشرين، وطُبع الجزء الأول من ديوانه ١٩٠٣ وهو بعدُ لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره[١].

قال عنه الزعيم مصطفى كامل: «سيأتي يوم إذا ذُكر فيه الرافعي، قال الناس هو الحكمة العالية مَصنُوعة في أجمل قالب من البيان»، وقد كان.

وكتب إليه الشيخ محمد عبده قائلًا: «وأسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفًا يمحق الباطل، وأن يقيمك في الأواخر مقام حسَّان في الأوائل، والسلام»[٢]، [٣].

ويقول عنه تلميذه محمد سعيد العريان في كتابه «حياة الرافعي»:

«وفي القهوة، وفي القطار، وفي الديوان لا تجدُ الرافعيّ وحده إلا وفي يده كتاب، وكان يُسافرُ إلى طنطا كل يوم ويعود، فيأخذ معه كتابًا ليقرأه في الطريق.

---

(١) مجموعة رسائل الرافعي، ص ٤.

(٢) كلمة وكُليمة: ص ٧.

(٣) وكتب الأستاذ الإمام هذه الكلمة للأديب الشاب بتاريخ ٥ من شوال ١٣٢١هـ، ٢٥ من ديسمبر ١٩٠٣م، وقال عنه «سعد زغلول» وعن أدبه: «بيانٌ كأنه تنزيلٌ من التنزيل».

وكان إذا زاره زائر في مكتبه، جلس قليلًا ليُحييه ويستمع إليه، ثم لا يلبث أن يتناول كتابًا مما بين يديْه ويقول لمحدِّثه: تعالَ نقرأ!»[١].

الأديب إبراهيم عبد القادر المازني [ت: ١٩٤٩م]

قال يحكي عن نفسه: «وأمري مع الكتب أغرب، كنتُ أول عهدي بها - أي منذ عشرين سنة أو نحو ذلك - أذهب في أول كل شهر إلى واحد من باعتها، فيتقدم إليَّ العامل سائلًا عن حاجتي، فأنحيه عن الطريق وأمضي إلى الرفوف، وأجيل عيني فيها وآخذ منها ما يروقني، وانصرف عن الحانوت بأثقل من حِمل حمار!، وأغرق فيها بقية الشهر إلى ما فوق الأُذنيْن - إن كان فوقها شيء يستحق الذكر -، وكنتُ لا أتخطى عتبة البيت إلا مُتأبطًا كتابًا، ولا تمضي عليّ ليلة إلا طالعتُ في بعضها قليلًا أو كثيرًا.

وكانت الكتب أنيسي في وحدتي، وسميري في خِلْوتي، وكنتُ أستغنى بها عن مُتع الحياة، ولذات العيش، وأقول إنها تدخل في متناول الحس، والعواطف والمدركات، وكل ماله وجود في العقل، وإنها توقظ الحواس الخامدة، والمشاعر الراكدة، وتملأ القلب، وتكشف لنا عن وجوه الألم والحزن والخطأ والإثم، وتجعل القلب أشد استعدادًا بقبول المؤثرات على اختلاف أنواعها ودرجاتها »[٢].

حكاية طريفة حدثت مع المازني: جاء ليسرقني فأهديته كتابًا:

ويذكر المازني في كتابه «قصة حياة»: أنه في يوم من الأيام استيقظ على صوت جسم وقع في الفناء الخلفي، فنهض بسرعة، فوجدته واحدًا من أهل الحي، وسألني الصفح، وتركته، ولم أشأ أن يعود صفر اليديْن، فلم أجد غير الكتب فأهديته كتابًا.

---

(١) حياة الرافعي.

(٢) قبْض الريح بتصرف يسير: ص ٧، ٨ .

المازني في يوم زفافه بالمكتبة!:

وفي يوم زفافه كما يحكي أخذوا يبحثون ويُفتشون عنه في كل مكان، فلم يجدوه، وأخيرًا تذكر الأب أنه من عشاق الكتب فذهبوا سريعًا إلى المكتبة وأحضروه.

يا له من عشق!!.

د. زكي مبارك [ت: ١٩٥٢م]

يقول الدكاترة[١]، زكي مبارك عن نفسه:

«مَن الذي يعرفُ أنِّي أُنفقُ على الكتب والورق والحبر، أضعاف ما أُنفقه على الطعام والشراب».

حب وولع د. أحمد أمين للكتب [ت: ١٩٥٤م]

يقول د. محمد رجب البيومي:

«كنّا في عهد الطّلب نرى نفرًا من كبار الأدباء يؤمُّون المكتبات الأدبية، ومن بينها الأسوار المكتبية ليُشبِعوا رغباتهم المتطلِّعة، وأنا قد رأيتُ العقّاد، والمازني، وأحمد أمين، وإبراهيم المصري، وعبد الرحمن صدقي، وعلي أدهم مراتٍ عديدة أمام (سور الأزبكية) بل رأيتُ الدكتور أحمد أمين في حانوتٍ متواضع جدًا بدرب الجماميز يمتلئ بالكتب على غير نظام، وهو ما يُعرف بمكتبة (الشيخ خربوش) فتذكرتُ أنَّ له مقالًا رائعًا عن هذه الحوانيت قال فيه:

---

(١) الدكاترة لقب أطلقه عليه طلابه، لأنه حصل على ثلاث شهادات دكتوراه مختلفة، وهو من أفضل الناس كتابة، ولكن لم ينل حظه من الشهرة، وله مساجلات عديدة مع د. طه حسين، وحديثه المتكرر عن مؤلفاته صدىً لشعور حزين نشأ من إهماله بالنسبة لقرنائه، فقد نال أعلى الدرجات العلمية شرقًا وغربًا، وامتلأت الصحف والمجلات بمقالاته، ثم أُبعد إبعادًا عن التعليم الجامعي، وكان مناط أمله، ومعقد رجائه، ومقدمات كتبه تتحدث عن مواهبه!!.

«بالأمس ضحك منّي بائع الكتب القديمة، إذ رآني أقلِّب في الكتب، وأذهبُ ذات اليمين والشمال وأصعدُ على الكرسي، وأنزل من عليه، والكتبُ بعضها بالٍ عتيق، قد غُلِّف بالتراب، وأكلتْه الأرضة، وكلُّها وُضعت حيثما اتفق، ولم يُعنَ فيها بترتيب حسبَ الموضوع، ولا حسبَ الحجم، ولا حسبَ أيِّ شيء، ولم يبذل أيَّ جهدٍ في تنظيفها وعرضها، فكتبٌ على الأرض، وكتبٌ في السماء، وكتبٌ في الرف وكتبٌ على المقاعد، وكتبٌ في الممشى، والبائعُ رجلٌ تقدَّمت به السنّ، زهدَ البيع وزهد الشراء، وإنما يبيع ويشتري لأنه اعتادَ أن يبيعَ ويشتري، وكلُّ ما في أمره أنه فضَّل أن يجلسَ في الدكان بدلَ أن يجلس في البيت، إذ يرى الرائحين والغادين، ومن حينٍ إلى حين يبيع كتابًا أو كتابَيْن»[1].

تنافس حميد على اقتناء الكتب

في القرن الماضي قبل أن تُخرج المطبعة ثمارها الشهية من كُتب التراث، كان التنافس على اقتناء الكتب الأدبية المخُطوطة شديدًا بين ذوي الهواة الأدبية من الأغنياء، وكان (عبد الغني بك فكري) و (عبد الحميد بك نافع) من ذوي التنافس الحاد، حيث يُباهي كلاهما بما أحرز دون صاحبه، وقد سجَّل المرحوم العلّامة أحمد تيمور باشا عنهما هذه الطرفة النادرة فقال:

«أخبرني المترجم عن والده - عبد الغني فكري بك - أنه قد علم أنَّ تاجرًا من الورّاقين قد قدم بكتب أدبية أوصاه عبد الحميد بك نافع بجلبها له، ومن بينها ديوان البحتري - قبل أن يُطبع ويَذيع - فأسرعَ إليه، وبذل مالًا فوق قيمة الديوان، على أن يُعيره يومًا وليلةً فقط ليُطالع فيه، فرضي التاجر، وأعارَه إياه، فلما أتى به لداره أعطاه لمجلّده ليفكَّه، وأحضر في الحال عدّةَ نُسَّاخ فرَّق عليهم كراريس للنسخ بها، فنسخوا الديوان جميعه، وقابلوه، ولم يمضِ يومٌ وليلةٌ حتى تمَّ الكتاب، ورُدَّت النسخة لصاحبها كما كانت، ثم قابلَهُ عبد الحميد بك، وأخذ يفاخره بوجود الديوان عنده، واختصاصه

(١) طرائف ومسامرات: ص ١٠٢.

به، فقال له: هوِّن عليك يا أخي، هذا شيءٌ أكلناه وشربناه حتى مجْناه، ثم أخرج له النسخة المخطوطة مجلَّدةً تامة فكانت موضع الدهشة!.

يقول تيمور باشا مستطردًا عن عبد الغني فكري: وبلغه مرةً وهو يسمر مع بعض أصحابه أنَّ أحدهم رأى عند فلانٍ الورّاق رسالةً من الرسائل الأدبية، وكان يتطلبها ولا يجدها، فقام من المجلس ليلًا، وأخذ يسأل عن دار الورّاق من هنا وهناك، حتى اهتدى إليه بعد ما مضى هزيعٌ من الليل. فأيقظَه من نومه وساومَه، وأعطاه في الرسالة فوق قيمتها، ولم يمهله للصباح، بل أنزله من الدار، وذهب معه إلى حانوته (دكانه) ففتحه ليلًا، ولم يهدأ له بالٌ حتى كانت الرسالة عنده»[(١)].

العلَّامة أبو الأشبال أحمد محمد شاكر
إمــام أهــل الحديث في عصره [ت: ١٩٥٨ م]

يقول عن نفسه: «وقد قرأتُ شيئًا من أول صحيح البخاري وآخره على أستاذي الإمام الكبير حافظ المغرب (عبد الله بن إدريس السنوسي) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكذلك أسمعته من مسند إمام الأئمة الإمام، أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى... «وفي باقي كتب السُّنة» وكتب لي إجازة فيما سبق[(٢)] ويكفيك أن تعرف أن هذا العلامة لم يستطع أن يُمسك بالقلم لمدة ثلاثة شهور؛ وذلك حزنًا على وفاة أستاذه الرافعي».

وَدرسَ الشيخ/ أحمد شاكر أصول الفقه على الشيخ (محمود أبو دقيقة) أحد علماء الاسكندرية وعضو هيئة كبار العلماء، ودرس على والده (الشيخ/ محمد شاكر) تفسير البغوي وتفسير النسفي وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، وشمائل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

(١) طرائف ومسامرات: ص ١٠٤.
(٢) جمهرة بحوث ومقالات الشيخ أحمد محمد شاكر: ص ١٥-١٦.

وبعضًا من صحيح البخاري، وجمع الجوامع، وشرح الأسْنوي على المنهاج في الأصول، وشرح الخبيصي، والرسالة البيانية في البيان، وفقه الهداية في الفقه الحنفي.

وتلقى العلم على يد الشيخ/ عبد الله بن إدريس السنوسي عالم المغرب ومُحدثها، فتلقَّى عنه طائفة كبيرة من صحيح البخاري فأجازه هو وأخاه برواية البخاري، كما أخذ عن الشيخ (محمد بن الأمين الشنقيطي) كتاب «بلوغ المرام».

واهتمّ بدراسة وقراءة (مسند أحمد بن حنبل) وظلّ مشغولًا بدراسته حتى بدأ في طبع شرحه على المسند ١٩٤٦م، وقد بذل في تحقيقه أقصى ما يستطيع عالم من جهد في الضبط والتحقيق والتنظيم.

الأديب العصاميّ عباس محمود العقاد [ت: ١٩٦٤م][(١)]

ما أجدرَ هذا أن يكون كاتبًا بَعْدُ!.

كلمة إعجاب راقت للإمام محمد عبده، في زيارته لإحدى المدارس الابتدائية بأسوان، وكان العقاد وقتها في الصف الرابع، فيطلعه مدرس الإنشاء على موضوع كتبه الفتى الناشئ، فأعجب به الشيخ إعجابًا شديدًا، وكانت هذه الكلمة حافزًا قويًا للعقاد في ذلك الوقت المبكر، جعلته يسلك طريق الكتابة وحدها دون سواها[(٢)].

وهذه الكلمة لم تكن كلمة إعجاب، بقدر ما كانت نبوءة صادقة لمستقبل أديب كبير ذاع صيته، وملأ الدنيا بأدبه وفكره، عاش للقَلم وبالقَلم، واكتفى من مدارس المحروسة بالشهادة الابتدائية ليكون أستاذًا في مدرسة الحياة، وصاحب مدرسة في الأدب والنقد، فصنع نفسه على غير مثال من الرجال، وأضحى واسطة القلادة بين

(١) أحصتْ إحدى المؤسسات العلمية بالقاهرة ما كُتب عن العقاد فكان مليون مقالة، وأربعة آلاف كتاب، أو رسالة ماجستير ودكتوراه في العالم، منها (٤٥) رسالة دكتوراه في كلية دار العلوم وحدها.
(٢) أعلام المسلمين: ص ٢٣٨ .

أدباء العصر ونقاده؛ مما حدا بعميد الأدب العربي أن يُعلنها على الملأ عام ١٩٣٤م قائلًا: إنِّي لا أؤمن في هذا العصر الحديث بشاعر عربي كما أُؤمن بالعقاد»[١].

وكان العقاد مُولعًا بالقراءة في مختلف المجالات، حريصًا على مطالعة الكتب الأجنبية، حتى كان يقرأ في علم الحشرات.

وتعرّض للظلم، واضطهدته الملكية ودخل السجن، وتخلّى أصحابه عنه فكان رفيقه في السجن كتابٌ هو قارئه أو هو مؤلفه!!.

الكتب التي أحبها العقاد:

وقد اشتهر العقاد بسعة اطلاعه، وكثرة قراءته لمختلف الكتب، وكان لا يترك نوعًا من أنواع الكتب إلا قرأه، وكان يُفضِّل قراءة كتب فلسفة الدين، وكتب التاريخ العام والتاريخ الطبيعي، وتراجم العظماء، ودواوين الشعر[٢].

مكتبة بخمسين قرشًا:

استطاع أن يكون مكتبته من مصروفه الخاص، ولم يكن مصروفه يزيد على خمسة مليمات في اليوم إلا ليدرك خمسة قروش في الأسبوع، وكان لا يشتري بمصروفه مأكولًا أو فاكهة.

وبهذه الطريقة استطاع أن يقرأ العقد الفريد وثمرات الأوراق، والمستطرف والكشكول والمخلاة ومقامات الحريري، وبعض الدواوين[٣].

أسباب حب العقاد للقراءة:

يقول العقاد عن أسباب حبه للقراءة: «لستُ أهوى القراءة لأكتب، ولا أهوى القراءة لأزداد عُمْرًا في تقدير الحساب.

---

(١) عباس محمود العقاد بقلم د. نعمات أحمد فؤاد .
(٢) أنا للعقاد: ص ١١-١٢.
(٣) نفس المصدر: ص ٤٥.

وإنما أهوى القراءة؛ لأن عندي حياة واحدة في هذه الدنيا، وحياة واحدة لا تكفيني، ولا تحرك كل ما في ضميري من بواعث الحركة.

والقراءة دون غيرها هي التي تعطيني أكثر من حياة واحدة في مدى عمر الإنسان الواحد؛ لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق، وإنْ كانت لا تُطيلُها بمقادير الحساب.

فكرتَك أنت فكرة واحدة...

شعورك أنت شعور واحد...

خيالك أنت خيال فرد إذا قصرته عليك...

ولكنك إذا لاقيت بفكرتك فكرة أخرى، أو لاقيت بشعورك شعور آخر، أو لاقيت بخيالك خيال غيرك، فليس قصارى الأمر أن الفكرة تصبح فكرتين أو أن الشعور يصبح شعورين، أو أن الخيال يصبح خياليْن.

كلا، وإنما تصبح الفكرة بهذا التلاقي مئات من الفكر في القوة والعمق والامتداد»[1].

القراءة ليست من الكماليات بل هي فريضة:

ويقول العقاد عن القراءة وأهميتها: و«اعلم أن القراءة ليست من الكماليات أو شيء للرفاهية، بل هي فريضة إسلامية، ألم تسمعْ قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، هذا أمر!».

د.عبد الحليم منتصر [ت: ١٩٩٢م]

شغف بالقراءات الأدبية منذ صغره، حيث كان بالمنزل مكتبة بها عشرات من أمهات كُتب الأدب واللغة والدين من أمثال الأمالي والأغاني والكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، ونهج البلاغة وصُبح الأعْشى، والعقد الفريد، ونفح

(١) أنا للعقاد: ص ٨٠-٨١ ، وكتاب أنا هو ترجمة شخصية ونفسية للعقاد، جُمع بعد مَوْته بواسطة طاهر الطناحي، وهو الذي سماه بهذا الاسم.

الطيب، وتفاسير القرآن الكريم كالقرطبي والآلوسي، ودواوين الشعراء كالمتنبي والبحتري وأبي تمام وشوقي وحافظ، وكانت السهرات المنزلية أدبية رائعة كأنها صالون أدب مما غرس في نفسه حب اللغة والأدب، ومن القراءات المحبّبة إلى نفسه قراءة القرآن الكريم[١].

العلَّامة أبو فِهْر محمود محمد شاكر [ت: ١٩٩٧م]

قال أبو فِهر محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في مقدمة كتابه المتنبي**: «فأقدمتُ إقدام الشباب الجرئ على قراءة كل ما يقع تحت يدي من كتب أسلافنا من تفسير لكتاب الله إلى علوم القرآن على اختلافها، إلى دواوين حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذا شروحها!، إلى ما تفرّع عليه من كتب مصطلح الحديث، وكتب الرجال، والجرح والتعديل...!، إلى كتب الفقهاء في الفقه ثم كتب أصول الفقه قاطبةً!، ثم كُتب الأدب والبلاغة وكتب النحو وكتب اللغة!، ثم عرجْتُ بعدها إلى كتب التاريخ!. وما شئتُ بعد ذلك من أبواب العلم وعمدتُ في رحلتي هذه الأقدم فالأقدم، حتى قرأتُ كُلَّ إرث آبائي وأجدادي» [٢].

أديب الفقهاء وفقيه الأدباء الشيخ/ علي طنطاوي [ت: ١٩٩٩م]

مَن يتأمل حديث الشيخ/ الطنطاوي عن شبابه وشباب أترابه، كيف كانت همتهم فيه؟ وكيف كان للكتاب والقراءة مكانه في مرحلته؟! حتى نعرف إلى أيّ هوة سحيقة وصل إليها شبابنا!.

يقول الشيخ/ علي الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رأيتني في الصفوف الأوائل من الثانوية، وحَوْلي رفقة ما رأيت بعدهم مثلهم في إقبالهم على الدرس، وجَلَدهم عليه، وفي رسوخ

(١) تاريخ العلم: ص ٢٥٩.
(٢) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا: محمود شاكر.

ملكاتهم الأدبية، وقوة طبعهم في الأدب، وتسابقهم إلى مُطالعة نفائس المصنفات، ومعرفة المصادر والأمهات.... .

وكنتُ قد قرأت طائفة من الكتب أذكر أن منها (حياة الحيوان للدميري) وهو أول مَا طالعتُ من الكتب، وهو دائرة معارف كما يسمونها اليوم أو هو معلم جامع، فيه فقه ولغة وأدب، وقصص وتاريخ وخرافات وعلم وحقائق، أفدتُ منه كثيرًا، و (الصاحبيّ) لأحمد فارس وقد ألقى في نفسي إجلال العربية، والإيمان بسعتها وجلالها، وحبّب إليَّ جزالة الأسلوب، وفحولة اللفظ، و (بلوغ الأرب للآلوسي) وقد أورثني التعصب للعرب والمبالغة في ذلك، ثم علمتُ أن قد كان فيه زيْف كثير كما كان فيه صحاح كثير، و (الأغاني) قرأته كله، أعني أخباره وقصصه، وهو رأس مالي في الأدب، وقرأتُ (الكشكول)، و (المخلاة)، و (مراقي الفلاح) في الفقه الحنفي، ألزمني والدي قراءته، و (شرح رسالة ابن زيدون) المطبوع على هامش (الغيث المنسجم)، وكانت طريقتي في المطالعة أني إذا فرغتُ من دروس المدرسة، دخلت مكتبتنا فتخيرت كتابًا فأخذته فنظرتُ فيه، فإن أعجبني مضيْتُ فيه، لا أدعه حتى أتمه، وأخذتُ غيره، لا أستعين على ذلك بمرشدٍ، ولا أستهدي بهادٍ»[1].

وكان يقول: أنا من ستين سنة أقرأ كل يوم خمسين صفحة، ألزمتُ نفسي بها.

ناصر السُنة العلَّامة المحدث/ محمد ناصر الدين الألبانيّ [ت: ١٩٩٩م]

يتحدث الشيخ/ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن نفسه، وحبه للعلم والقراءة والاطلاع قائلًا:

«.... وسائر الوقت أصرفه في سبيل طلب العلم والتأليف ودراسة كتب الحديث، وبخاصة المخطوطات منها في المكتبة الظاهرية، ولذلك فإنني أُلازم هذه المكتبة مُلازمة موظفيها لها.

(١) من حديث النفس: علي الطنطاوي.

ويتراوح ما أقضيه من الوقت فيها ما بين ست ساعات إلى ثماني ساعات يوميًا، على اختلاف النظام الصيفي والشتوي في الدوام فيها».

وكان إذا جاء وقت صلاة الظهر أذّن وصلَّى بالمسلمين في المكتبة، وكذلك الأوقات الأخرى كالمغرب والعشاء[١].

ويقول الشيخ / الألباني في حديث دار بينه وبين الشيخ المجذوب:

أول ما ولعْتُ بمطالعته من الكتب القصص العربية كالظاهر بيبرس، وعنترة، والملك سيف وما إليها...، ثم القصص البوليسية المترجمة كأرسين لوبين وغيرها، ثم وجدتُ نزوعًا إلى القراءات التاريخية[٢].

ويواصل حديثه قائلًا:

وبما أنه كان يعيش في كنف والده الذي يعول أسرة كبيرة، فلم يكن بمقدوره أن يشتري ما يحتاج إليه من الكتب، إلا التي لا يجدها في مكتبة أبيه العامرة بكتب المذهب الحنفي خاصة، فلذلك يُمِّم شطر المكتبة الظاهرية.

وكانت من نعم الله الكبرى عليه إذ كان يجد فيها مالا يستطيع شراءه من الكتب، كما كان يستعين أحيانًا ببعض المكتبات التجارية الخاصة التي يعدها الشيخ من التوفيقات الربانية، بسبب ما تيسر له من الاتصال بالسيد/ سليم القُصيباتي، وابنه/ عزت، اللذين يملكان إحدى أكبر مكتبات دمشق، وقد مكّنا الشيخ من كل كتاب يعُوزه الاطلاع عليه فيسمحان له باستعارته لزمن غير مُحدد دون أجر، حتى يأتيهما راغبٌ في شراء الكتاب، فيْبعثان إليه، فيردّه إليهما، وبذلك فسح لهذا النهم الذي لا يشبع من العلم أو المطالعة أن يجدَ تحت تصرفه أعدادًا لا حصرَ لها من الأسفار التي هو في أمسِّ الحاجة إليها[٣].

---

(١) حياة الألباني (١/ ٤٨-٤٩).
(٢) علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجْذوب (١/ ٢٨٩-٢٩٠).
(٣) المصدر السابق (١/ ٢٩٢-٢٩٣)، و «حياة الألباني» (١/ ٥١).

فالشيخ أصابه من العنت والفقر في علمه[١] ونفسه وعيشه ما الله به عليم، ومن تلك الشدة والعنت والفقر الذي عاشه الشيخ، أنه كان لا يملك قيمة ورقة يشتريها ليُسوِّدها بما مَنَّ الله تعالى عليه من علم فيها؛ فكان يطوف في الشوارع والأزقة يبحث عن الأوراق الساقطة فيها من هنا وهناك ليكتب على ظهرها، وذلك لأن وجه الورقة يكون عادةً مكتوب فيه إما دعوة لافتتاح معرض أو حفلة زواج، أو دعاية لمصنوعة من المصنوعات، وقد أطْلعني الشيخ على بعض الكتب المخطوطة التي كُتبت بهذه الأوراق وأغلبها قد تقطّعتْ أطرافها، وتساقطتْ.

وقال لي مرة: كنت أشتري الأوراق (سقط المتاع) بالوزن لرخصه.

ويواصل الشيخ حديثه فيقول عن نفسه: لو كان عندي فُسخة من الوقت لكتبتُ ما لم تسمع به من القصص[٢].

وكل مَنْ رآه في المكتبة آنذاك يعرف مدى اجتهاده وحرصه على الاستفادة من وقته حتى إن كثيرًا من الناس كانوا يحملون عليه؛ لكثرة انهماكه في المطالعة والتأليف أثناء زيارتهم له في المكتبة!.

وبالطبع كان للشيخ عذره لأنه لا يريد إضاعة الوقت بالترحاب وبالمجاملة، وكان يُجيب عن بعض الأسئلة التي تُوجّه إليه وهو ينظر في الكتاب دون أن يرفع بصره إلى مُحدِّثه بأوْجز عبارة تُؤدي الغرض.

وكما يقول عنه الأستاذ/ محمد الصباغ:

«عَيْنٌ في الكتاب، وعَيْنٌ في السائل»[٣].

لله درّ هذه الهمة العالية، والتي تناطح قمم الجبال في رسوخها وثباتها وشموخها.

وانظر إلى نتاج هذه القراءة والمطالعة، إنها دُرر ثمينة أخرجها الشيخ، وخدم فيها السُّنة، فرحمه الله، وأجزل له المثوبة، ورفع درجته في المهديين.

---

(١) والشيخ لم يكن فقيرًا في علمه، وإن كان هذا في أول مراحل حياته فجائز.
(٢) حياة الألباني: ص ٤٣ .
(٣) المصدر السابق: ص ٥٢-٥٣ .

العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد [ت: ٢٠٠٨م]

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أعجوبة في المحافظة على الوقت، والانجماع عن الناس، والانكباب على المطالعة، فلم يكن له شُغل بعد آداء وظائفه إلا مُنادمة الكتاب ومُثافنة الأسفار، وتقييد الفوائد، وتصنيف الكتب، وقد جالسته طويلًا [١]، فما رأيت حديثًا ألذّ إليه من الحديث عن الكتب، وعنده من خبرِها ما يملأ الجراب، وقد كان جمع في أخبارها سِفْرًا وَسَمَهُ بـ «خَبر الكتاب»[٢].

د. مصطفي محمود [ت: ٢٠٠٩ م] والقراءة

يقول د. مصطفى محمود: «من المشاهد التي لا أستطيع أن أنساها أبدًا، أن الآباء من جيراننا يدخلون بيوتهم في يد الواحد منهم كيسين من الفاكهة أو الخضار، أما أبي فلم يدخل البيت أبدًا وهو يحمل ربطة فجل، كان يحمل دائمًا في يديه المجلات والكتب.

ويضيف: «كان أول كتاب أتعلم منه قواعد الكتابة ومبادئ القصة هو القرآن الكريم، وما حمل من قصص الأنبياء والرسل، والذي اهتممتُ بتناوله بشغف منذ أن تعلمت القراءة، والتي تعلّمتها قبل أن أتعلم أو أتمكن من الكتابة، فقد كانت القراءة في حياتي تسبق الكتابة، ومنه كانت البداية» [٣].

أنيس منصور [ت: ٢٠١١ م] والكتاب

يقول أنيس منصور: «صدقني كل الذين حولك يكذبون، كل الذين تدور حولهم تكذب عليهم أنت أيضًا، ولا لوْمَ عليك، فالكذب والنفاق (أكسجين الحياة الدنيا) التي هي مصالح في مصالح، والذي نسميه الحب هو مكياج خارجي للكذب

(١) أي مؤلف كتاب «المُشوِّق» د. علي العمران.
(٢) المشوِّق إلى القراءة، وطلب العلم: د. علي العمران، ص ٨٣.
(٣) الولع بالكتب: ص ١٣٤ .

والخداع وإخفاء الحقيقة، إلا الكتاب، إنه صريح، إما أنْ تقبله كله، وإما أن ترفضه كله، ولا يُقاومك، فالكتاب أوْسع وأرْحب»[١].

الشيخ / سَلْمان بن فهد العودة حَفِظَهُ اللهُ

يُحدِّثنا الشيخ سَلْمان بن فهد العودة حَفِظَهُ اللهُ عن نفسه فيقول: «حينما كنتُ طالبًا في المرحلة المتوسطة أو الثانوية، كنتُ أقضي يومي في الأجازة الصيفية في دكان أبي، وأحمل معي كتبًا لأقرأها، فلمّا انتهتْ الأجازة إلا وقد طالعتُ ما يقرب من ستين كتابًا أو يزيد».

إذن القراءة هي بوابة العبادة، بوابة المعرفة، بوابة النجاح.

ولعلَّ أكبر شاهد على ذلك ما تلاحظه في ثنايا مؤلفات الشيخ/ سلمان ومحاضراته، فإنك تجد فيها روح القارئ المُطّلِع الشغوف بالقراءة، فهو يُخرج لنا زَبَدًا صافيًا من بطون أمهات الكتب، حفظ الله الشيخ، ونفع بعلمه المسلمين[٢].

د. عائض القرني صاحب كتاب «لا تحزن»

وفي إحدى القنوات الفضائية[٣] يتحدث د. عائض عن نفسه، وعن حبه للقراءة وللكتب والاطلاع، فيقول بعد ما سأله الأخ المذيع بعض أسئلة وهي:

١- كم عدد الكتب في مكتبتك الخاصة؟

٢- وما أهمية القراءة في حياتك؟

٣- وكم حصة القراءة لدى د. عائض؟

فيجيب د. عائض بقوله: «مكتبتي الكبرى بعدما قرأتها قراءة واعية أرسلتها في سيارة كبيرة إلى إخواننا في مأرب باليمن؛ حتى ينتفع بها طلاب العلم هناك، وتبقَّى لي

(١) الولع بالقراءة.

(٢) الإضاءة في أهمية الكتاب والقراءة: ص ٣٦.

(٣) قناة «بداية» الفضائية.

بعد ذلك حوالي ٥ آلاف كتاب، في الحديث وفي التاريخ وفي الفقه وفي السيرة، وكتب معاصرة وكتب غربية مترجمة وكنتُ قد اخترتها بعناية.

أما بالنسبة للقراءة: فالكل يعلم بأن القراءة والكتاب مُتعتي وجلستي وهوايتي، سواء فهمتُ أم لم أفهم، وكتبي مُتناثرة في جميع أنحاء بيتي، وكتبي أصدقائي، وأنا أحبّ العُزلة، وأميل إليها، فأشعر بأن الكتاب صديق يناديني وينتظرني ويشاجيني ويشجيني.

وأشعر بأن هذا الكتاب يضحكني، والثاني يحزنني، والثالث ينصحني، والرابع يُوصيني، وأشعر بأني جالس مع أبي تمام، والبحتري، والمتنبي، وابن حزم، وابن حجر، والنووي، والسيوطي، وابن الجوزي، وأحمد بن حنبل بجلالته، وابن خلدون، ومالك بن أنس، فالذي لا يقرأ مسكين، ولو تركتُ الكتاب أشعر بأنني مريض، حتى عندي كتب كثيرة في السيارة، فالإنسان الذي لا يقرأ تفكيره محدود، عمره محدود، عقله محدود.

فالغرب سبقونا، ففي أثناء سفرهم في الطائرات يقرءون ما لا يقل عن أربع رسائل، ولقد خجلتُ من واقعنا الحالي.

حتى عند الطبيب يقرءون، وتجد العربيّ مشغول بالنساء وبمشاهدة الأثاث، والنظر من النوافذ.

وكم تكون تعيسًا إذا جلست في الطائرة!، وبجوارك عربيّ ستنهال عليك الأسئلة مثل «أين تسكن؟ وماذا تعمل؟ وكيف حالكم؟ وكم عندك من الأولاد؟ وغيرها من سيل الأسئلة التي لا تنقطع».

الكتاب خير جليس:

وليس أدلّ على معرفة د. عائض بقيمة الكتاب قوله عنه:

«الكتاب هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يفريك، والرفيق الذي لا يملك، والمستميح الذي لا يسترثيك، والجار الذي لا يسْتبْطيك، والصاحب الذي لا يُعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق، ولا يحتال لك بالكذب.

والكتاب هو الذي إن نظرتَ فيه أطال إمتاعك، وشَحَذَ طباعك، وبَسَطَ لسانك، وجَوَّد بنانك، وفخَّم ألفاظك» [١].

ويقول في كتابه «لا تحزن»:

«إنّ من أسباب السعادة: الانقطاع إلى مطالعة الكتاب، والاهتمام بالقراءة، وتنمية العقل بالفوائد»[٢].

وتحدّث في كتابه الرائع هذا عن فوائد القراءة والمطالعة، فراجعه ثمَّ، إن شئت[٣].

العلَّامة المحدِّث/ أبو إسحاق الحويني حَفِظَهُ اللهُ

يتحدث الشيخ / أبو إسحاق عن بداياته في طلب العلم وحبه للقراءة والاطلاع، ومع شدة فقره ومعاناته، وذلك في مقدمة إحدى كتبه فيقول:

«كانت البداية ضعيفة جدًا، وذلك في عام (١٤٠٢هـ)، فقد كنتُ آنذاك فقيرًا، ولا أعرف من الكتب إلا أسماءها، فذهبتُ إلى مكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة، فوجدتُ مكانًا للمطالعة مُنفصلًا عن المكتبة، فطلبتُ من أمين المكتبة أن يسمح لي بدخول المكتبة ليتسنَّى لي أن أخرِّج بعض الأحاديث، وهذا يتطلب النظر في كتب الأسانيد والرجال، فقال لي: هذا ممنوع، ولكن أطلب الكتاب الذي تريده، آتيك به في غُرفة المطالعة، فأفْهمتُهُ أن هذا مستحيلٌ ولابد من البحث بنفسي، والنظر في الكتب، وهي مع كثرتها، فأنا لا أدري أيوجد الحديث الذي أريد أن أُخرِّجه فيها أم لا؟ ثم لو وجدت الحديث، فهذا يتطلب النظر في كتب الرجال، وهي كثيرة، فربما احتجتُ الكتاب كله للنّظر في كتب الرجال، وأسماء الرجال كثيرة، فربما احتجت الكتاب كله للنظر في سندٍ واحد، فقد يكون أحد رواة الإسناد مبدأ اسمه بحرف الألف، وشيخه

(١) لا تحزن: د. عائض القرني، بتصرف ص ١٢٥.
(٢) المصدر السابق: ص ٩٧.
(٣) المصدر السابق: ص ٩٩.

بحرف الياء، وشيخ شيخه بحرف الميم وهكذا، وتطلَّب هذا الشرح مني وقتًا طويلًا، وصبرًا جميلًا كأنني أستخرج الحيّة من جُحْرها.

فقال لي: مع تقديري لما تقول فإنّ اللوائح تمنعُ ذلك، فأفهمتُهُ أنني جئتُ من مكان بعيد، ويتعذّر عليَّ أن آتي كل يوم: إمَّا لفقري، وإمَّا لانشغالي بكسب قوتي، وأنا طالبُ علم فينبغي لك أن تساعدني، وعبثًا حاولتُ، فصارت المسألة بيني وبيْنه أعقدَ من ذنب الضَّبِّ.

فقلتُ: لله الأمرُ من قبلُ ومَن بعدُ، لكنك لن تتحمَّلني، فلم يردّ.

فقلت له مُختبرًا دعواه: ائتني بالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث، وبالكتب الستة، وتحفة الأشراف، وتهذيب التهذيب، فلمَّا سمع هذا منِّي فَغَرَ فاهُ، وقال مُستهجنًا طلبي: نعْم يا أستاذ؟! أتريدُ هذا كله، اللوائح تقول: كتابٌ واحد، فإذا انتهيت منه أُتيك بغيره، فحاولت أن أفهمه أنّ هذا مُتعذِّرٌ جدًا.

فقال لي: اللوائحُ يا أستاذ!! فتركتُ المكانَ، ورأسي تغْلي من الغيْظ،... وبعد أن سكتَ غضبي قلتُ لنفسي: فلأحاولْ غدًا، رُبَّما وجدتُ مُوظفًا آخر يكونْ أهدى سبيلًا من صاحب اللوائح!، فلمّا كان من الغدِ ذهبتُ إلى المكتبة فوجدتُ نفسَ الموظف، فانكسرتْ نفسي، وهَمْمْتُ أن أغادر المكان، ولكنَّني تصبّرتُ، وتذكَّرْتُ الحكايات التي قرأتها في تراجم العلماء عن الذل في طلب العلم، وما حدث لهؤلاء السادة النجباء، وقلتُ لنفسي: لست أفضلَ من واحدٍ من هؤلاء، ثُمَّ إنّ الذُّلَ إذا اقترن بالحب صار لذّةً، فجرِّب حظَّك مع هذا الموظف مرةً أخرى لعلّ قلبه يرقُّ لك.

اتجهتُ إليه، غادَرَ قاعدة المطالعة ودخل المكتبة، فجلستُ في انتظار خروجه فلم يخرجْ وطال الوقتُ، فوقفتُ على باب المكتبة وناديْتُهُ، فجائني، فقلتُ له: أريدُ أن أتحدَّث معك بصفتك أخي الأكبر فجلسَ، فأعدْتُ عليه كلام الأمس، وحكيتُ له بعض ظروفي الخاصة، والتي كانت تُبْكي أيّ إنسان يستمعُ إليها، فلمَّا انتهيْتُ من كلامي فوجئتُ بأنَّ قلبهُ رقَّ لي، فكدْتُ أن أُقبِّلَ يَدَهُ، ولكني تمالكتُ نفسي، وصرتُ أذهبُ مرتين أو أكثر في الأسبوع لأُخرِّجَ أحاديث المنتقى، ثمّ وسَّع الله عليَّ، وعرَّفني

أحد إخواني على مكتبة أستاذنا الشيخ/ حامد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، والتي سمَّاها مكتبة المصطفى فوجدتُ هناك بُغْيتي، وصِرْتُ حُرًا، أُطالعُ ما شئتُ من الكتب! وأسألُ أستاذنا عن الكتب التي تصلحُ لبحث مسألةٍ ما، فيرشدني بصبرٍ وأدبٍ جَمٍّ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وبارك في ذريته»[١].

لله درك يا شيخنا الحبيب، فالشيخ لا يخجل من التصريح بأنه كان فقيرًا، فالفقر ليس عيبًا في ذاته، وإنما الفقر هو فقر العلم والأدب، رأينا الشيخ وصبره وشدة تحمله وإصراره على طلب العلم، تعلمنا من شيخنا - الحبيب - المثابرة الشديدة، وكما قيل لـ يحيى بن أبي كثير: لا يُنال العلم براحة البدن.

ولقد منَّ الله على شيخنا الحبيب، وأصبح الآن يمتلك مكتبةً كبيرةً، والمكتبة عبارة عن (٦) غرف كاملة، ومرتبةً على الفنون[٢].

وفي برنامج «أصداف اللؤلؤ»: ذكر الشيخ بعض الكتب التي قرأها وهو مازال صغيرًا، فقرأ لأدباء العصر مثل: إحسان عبد القدوس، وأنيس منصور، وتوفيق الحكيم، ويوسف إدريس، وفي الشعر: قرأ ديوان شوقي وديوان حافظ، وعرف الفرق بين الشاعرين في وقت مبكر من حياته، وقرأ للشابيّ، ومحمود حسن إسماعيل وعلى محمود طه، وعلى الجارم، ومحمود غنيم وإسماعيل صبري، ولم يعجبه شعر العقاد، ولا أعجبه ككاتب ويقول هذه القراءات انقطعت بعد المرحلة الثانوية، ولكنها أعطته حصيلة لغوية كبيرة، وتحدث عن شدة إعجابه بالمنفلوطي، وروايته الفضيلة [٣].

العالم الرَّباني د. سيد حسين العفّاني حَفِظَهُ ٱللَّهُ

مَنْ مِنّا لا يعرفُ الدكتور/ سيد حسين العفاني، صاحب التصانيف البديعة، الجميلة في الرقائق وغيرها.

(١) مقدمة كتاب «لؤلؤ الأصداف» (١/ ٤، ٥، ٦).
(٢) برنامج «أصداف اللؤلؤ» قناة الندى الفضائية .
(٣) برنامج «أصداف اللؤلؤ» قناة الندى الفضائية، حلقات متتالية أجراها الإعلامي إبراهيم اليعربي مع الشيخ.

يقول عنه د. أحمد فريد:

«وقد وُفِّق أخونا الفاضل الشيخ/ سيد العفاني في تصنيف عدة كتب، وإنْ شئت قلت مراجع وموسوعات علمية زاخرة بالخير والعلم والبركة، وقد انتفع الإخوانُ بكثير من هذه الدرر الفاخرة والمآثر الناضرة، ومِن أنْفس هذه الكتب في نظري كتابه الجامع «صلاح الأمة في علو الهمة»، وإنما يُصنِّف في علو الهمة مَنْ كان عالي الهمة، أما ضعيفُ الهمة، فلا ينبغي له أن يرتقيَ هذا المرتقى، ويعلو هذه الهضبة العالية.

وكذا كتابه «الجزاء من جنس العمل» وفيه من القصص والعبر والمواعظ، ما يروقُ القارئ، ويحدو بقلبه وعقله إلى رضا الله الخالق البارئ، وله «ترطيب الأفواه» بذكر من يظلهم الله وهو كتاب جامع ماتع، فريدٌ في محرابه»[١].

وللشيخ كتبٌ كثيرة ماتعة ومفيدة مثل «حديث الإخلاص» و «رُهْبان الليل»[٢]، و «أحوال الطيِّبين الصالحين عند الموت»، وغيرها الكثير، وقد كتبها الشيخ بأسلوب أخاذ، رقيق دقيق، ونشعر عندما نقرأ هذه الكتب بأن الشيخ قد كتبها بقلبه وبشعوره، وإحساسه حتى أننا نشعر بأنفاس شيخنا الحبيب، ونحسُّها من بين السطور، وكلماته الرقيقة تجد طريقها سريعًا إلى أغوار النفس والقلب.

الشيخ سيد العفاني يتمنى من الله أن يقرأ في القبر بعد وفاته!:

ويقول الشيخ: «لو كان للعبد أمنية بعد الوفاة، لتمنيتُ أن أقرأ في قبري بعد وفاتي، وذلك لشدة محبتي للكتب والقراءة».

ويتحدث الشيخ عن نفسه، وعن بدايات حبه للكتاب وَهَوَسه للقراءة وعن تكوين مكتبته فيقول[٣]:

«الكتابُ بالنسبة لي كالماء الذي أشربه، وكالهواء الذي أستنشقه، لا أستطيع أن أعيش بدون كتاب، ولو كان للعبد أمنية يتمناها لتمنيْتُ من الله أن أقرأ في القبر بعد وفاتي!».

---

(١) ترطيب الأفواه: ص ٢١.

(٢) ولقد أشاد الشيخ/ أبو بكر الجزائري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الكتاب كثيرًا، وقال عنه: أنه لم يُؤلَّف في تاريخ الرقائق مثله من قبل.

(٣) برنامج في «مكتبة عالم» قناة المجد العلمية الفضائية.

وعن بداياته يقول:

«بدأت بقراءة الكتب الأدبية، وكتب الشعر وبخاصة في المرحلة الإعدادية والثانوية، وكنت أحصلُ على المركز الأول في إلقاء الشعر خلال هاتين المرحلتين وذلك في المسابقات المختلفة.

ثم بعد ذلك التحقتُ بكلية الطب، جامعة الاسكندرية، ومنذ السنة الأولى أقبلُ على قراءة وفهمُ دراسة الكتب الشرعية.

وبدأتُ بقراءة كتب ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وحصلتُ بعد ذلك على بكالوريوس الطب وتفرعتُ بعد ذلك لدراسة الحديث والعلوم الشرعية».

ويتحدث عن مدى حبه للقراءة فيقول:

«أبي يقول عنِّي لو أشعلتَ في قدميك نارًا، فلن تشعرَ بها إلا عندما تصلُ إلى جسمك، وذلك لشدة انهماك د. سيد مع الكتاب أثناء القراءة».

يبيع أرضه وميراثه من أجل تكوين مكتبته!:

ويقول: «أنه باع ميراثه وباع أرضه من أجل تكوين مكتبته، وأن حُبَّ الكتاب بالنسبة له مُقدّم على حب الولد، ولا أبالغ في ذلك، فإن الكتاب هو جنتي، هو حياتي، ولا أعرفُ في الدنيا سوى الكتاب فقط، واليوم الذي يمر ولا أقرأ فيه كأنني لست حيًّا».

أما عدد كتب مكتبته فلا تقل عن (٦) آلاف مُجلد، ومكتبته عبارة عن شقة كاملة، جميع حجراتها مملوءة بالكتب، وتُحيط الكتب بالمكان كما يُحيط السِّوار بالمِعْصم.

محمود قاسم [1] صاحب الـ ١٥٠ كتابًا وموسوعة

كتب يقول في جريدة الشرق الأوسط:

«عندما كنت في الحادية عشرة من عمري زارني أحد أقاربي، وكان في منصب مرموق بمحافظة الاسكندرية، وشاهد مكتبتي آنذاك وقال لي مُندهشًا: أنا لم أرَ مثل

(١) محمود قاسم: أديب ومترجم وصاحب موسوعات أدبية، من مواليد الاسكندرية ١٩٤٩، حصل على سبع جوائز، منها جائزة الدولة التشجيعية في أدب الأطفال ١٩٨٨م.

هذه المكتبة لدى الكبار، فقد حرصتُ دوْمًا على اقتناء الكتب بكل عناوينها: العلمية والتاريخية، والأدبية والفلسفية، منذ أنْ اكْتشفتُ سحر الكلمة لأول مرة، وقد أصابني جنون الاقتناء، وإهداء الآخرين ما لديّ من الكتب لكي يستمتعوا بها، لأن الكتاب هو الحب المشترك بيني وبين الآخرين، لكن النقطة الفاصلة في تاريخ مكتبتي حينما تعرفتُ على أماكن لبيع مرتجعات الكتب القديمة والمجلدات، فوهبتُ كل ما لديَّ من مالٍ لشراء هذه المرتجعات.

ويتابع قاسم: مكتبتي الآن مُتناثرة وسط شقتي المتسعة، لكن الكتب أكثر اتساعًا من الشقة، فهناك كتب أسفل الحاشية التي أنامُ عليها، وهناك كتب مُكدَّسة إلى جوار دورة المياه، لدرجة أنني أحسّ أن ثقل الكتب سيتسبَّب في انهيار الدور الذي أسكن فيه، وأنا فخور بمكتبتي.

ويقول: كل هذه الجنة تُحزنني، فرغم الإعجاب الشديد بها من قِبل أصدقائي إلا أن زوجتي وابنتي تتعاملان معها باعتبارها كوْمة أوراق، وبالتالي فمصيرها إلى التبديد عقب رحيلي، وأتمنى حينذاك لو تهتم مؤسسات الدولة بها، وتُسارع باقْتنائها ولو بالإهداء»[1].

وعندما علم بعد ما تلقَّى طلبًا من هيئة قصور الثقافة، بإنشاء مكتبة باسمه قال: «لم أعد أخاف على مكتبتي وكتبي، فهي اليوم بيدٍ أمينة لتعبر الأزمان».

الشيخ / أحمد الحجار يبيع ثيابه من أجل كتاب!

وقال الشيخ راغب الطباخ:

«كان علامة حلب الشيخ «أحمد الحجار» يحبّ اقتناء الكتب، حتى سمعنا أنه رأى كتابًا يُباع، ولم يكن معه دراهم، وكان عليه ثياب، فنزع بعضها وباعه، واشترى الكتاب في الحال»[2]!!.

---

(١) الولع بالكتب: ص ١٢٩-١٣٠.
(٢) علو الهمة: ص ١٩١.

الشيخ / عبد اللّه البَطاطي بجدة بالسعودية، وعشقه للكتب

صاحب الخزانة البطاطية والكتب الكثيرة، يقول عن مكتبته: أنها تحتوي على ٥٠ ألف كتاب بل أكثر من ذلك، وبدأ في جمعها منذ ٢٥ سنة، ولا يعرفُ حتى الآن كيف جمع فيها هذا العدد من الكتب، منذ بدأ بجمع أول كتاب، وهي مكتبة شاملة متنوعة، ومرتبة تاريخيًا، ويقضي جلَّ وقته بين كتبه في مكتبته، في الوقت الذي يشهد فيه الكتاب أعداءً أقوياء يتمثلون في وسائل التقنية، ولا يعطله عن مكتبته سوى الأكل والنوم، وتحتوي المكتبة على كم متوفر من الكتب النادرة، وعشقه بجمع الكتب وترتيبها يشجع على القراءة وهذا مصدر سعادته الأول[1].

وأخيرًا وليس آخرًا:

أين وصفك من هذه الأوصاف؟ أين شجرة الزيتون من شجرة الصفصاف؟!

لقد قام القوم وقعدتَ، وجدُّوا في الجدِ وهزلْتَ، وما بيْننا وبيْنهم، إلا كما بين الثرى والثُريا، واليقظة والنوم.

لا تعرضن بذكرنا في ذكرهم ❖❖ ليس السليم إذا مشى كالمقعد

وأيضًا:

إنْ كنتَ تنوح يا حمام البان ❖❖ للبيْن فأين شاهد الأحزانِ؟

أجفناكم للدموع أم أجْفاني ❖❖ لا يقبل مُدَّعٍ بلا بُرْهان

وأقول: لعلِّي قد أطْلْتُ فأمْلَلْتُ، ومازال في الوفاض الكثير والكثيرُ، لكن فيما تقدّم كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد، والإكثار لا ينفع العيون العُمي، ولا الآذان الصُمّ، ولا القلوب الغُلْف!!.

---

(١) قناة العربية.

كان العلّامة الزّهريّ إذا جلس في بيْته وضع كتبه حوله، فيشتغل بها عن كل شيء من أمور الدنيا، فقالت له امرأته يومًا: «والله لهذه الكتب أشدّ عليَّ من ثلاث ضرائر!!».

وفيات الأعيان (٤٥١/١)

٥ ـ تفضيلهم للكتب على النساء، وعلى الزوجة

ومن شدة عشقهم للكتاب كانوا لا يروْن معه أي إنسانٍ، وحتى ولو زوْجاتهم، بل انشغلوا بالكتاب عن أجمل الجواري الحسان، وتعلّقوا به في ليلة زفافهم!.

وإذا ذُكر النساء ذُكرت الغيرة، وبالفعل كانت.

■ هذه الكتب أشدُ عليَّ من ثلاث ضرائر!

قال أحدهم لزوجة الزبير بن بكار: «الزُّبير خيرُ رجلٍ لأهله، لا يتخذ ضُرّة، ولا يشتري جارية.

قالت: لهذه الكتب أشدّ عليَّ من ثلاث ضرائر»[١].

■ شغلته الكتب عن النظر إلى جاريته!

ومنهم من شغلته الكتب عن النظر إلى جاريته، فقد ذكر القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المدارك»[٢]: أن القاضي الفقيه عبد الله أبي القاسم كان شغوفًا بالكتب وحدّث أن:

«اشترى له أهله جارية وزيَّنوها وأدخلوها عليه، فلمّا كان الليل، أخذ الكتاب، وكتب الليل كله، ولم يلتفتْ إليها، وأقام على ذلك نحوًا من شهر، فلمّا طال على الجارية ذلك، قالت له: إنْ كان لك غرض فيَّ وإلا فبعْني، فقال لها: من أنتِ؟.

قالت: أنا جاريتك.

قال: أنا ما اشتريت جارية!، امْضِ إلى مَنْ اشتراك يبعكِ، ففعلتْ،فأقام على حاله إلى أن مات».

---

(١) تاريخ بغداد (٨/ ٤٧٨).

(٢) ترتيب المدارك (٣/ ٣٤٣).

■ **هذه الكتب شرّ على ابنتي من ثلاثمائة ضُرّة!!**

قال أبو عبد الله البغدادي المحتسب المعروف بابن مُحْرِم الفقيه: «لما تزوجتُ وحُملتْ إليَّ المرأة، جلستُ في بعض الأيام اكتب شيئًا على العادة، والمحبرة بين يديّ، فجاءت أمها وأخذت المحبرة، فضربت بها الأرض فكسرتها، فقلتُ لها: في ذلك، فقالتْ: هذه شرٌّ على ابنتي من ثلاثمائة ضُرَّة!!».

■ **سيبويه بين عشق الجارية وحبّه للكتاب:**

حدّث أبو علي الفارسي قال: «تزوّج سيبويه بالبصرة بجارية عشقته، وهو قد بني عَقْدَ كتابه، وصنّف أوائل أبوابه، وهي في جُزَازات، وقطع جلود وخِرق، وأشقاف بيض، فلم يكن يُقبل على الجارية، ولا يشتغل بها، وهي مشغوفة بحبّه، ولم يكن يشغله غيرُ النظر والسَّهر والكتب، فترصدتْ خروجه إلى السوق في بعض حوائجه وأخذتْ جذوة نارٍ فطرحتْها في الكتب حتى أُحْرِقت.

فرجع سيبويه، فنظر إلى كتبه وهي هباءٌ، فَغُشِيَ عليه أسفًا، ثم أفاق فطلَّقها، ثم ابْتَنَى الكتاب بعد ذلك ثانية.

قال أبو علي:

«وذهب منه علمٌ كبير أخذه على الخليل فيما احترق له، وإنَّا لله على ذلك»[١].

■ **العلامة الزّهري وزوجته!:**

ومنهم من انشغل بالمطالعة عن الزوجة، فهذا العلّامة الزّهريّ كان إذا جلس في بيْته وضع كتبه حوله، فيشتغل بها عن كل شيء من أمور الدنيا، فقالت له امرأته يومًا: «والله لهذه الكتب أشدّ عليَّ من ثلاث ضرائر!!»[٢].

---

(١) الفصوص (٥/ ٩).
(٢) وفيات الأعيان (١/ ٤٥١).

■ **يترك الزواج حُبًا للكتب!**

كان الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، صاحب كتاب الحميات لم يتزوج، فقيل له:

«أيسرك أن يكون لك ولد؟!».

فقال: «أمَّا إذا صار لي كتاب الحميات فلا»[١].

■ **رأيهم في الزواج:**

وكان الخطيبُ يقول: «يُستحبُّ لطالب العلم أن يكون عَزَبًا ما أمْكنهُ، لِئلَّا يقطعَهُ الاشتغالُ بحقوقُ الزَّوْجية، وطلبِ المعيشةِ عن إكمالِ الطلبِ»[٢].

وقال سُفيانُ الثَّوريُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن تزوّجَ فقَد رَكِبَ البحرَ، فإنْ وُلِدَ له وَلَدٌ، فقد كُسِرَ به»[٣].

ويقول ابن جماعة: «فترْكُ التزويج لغير المُحتاج إليه، أو غير القادر عليه هو الأوْلى، لاسيما للطالب الذي رأسُ مَالِهِ جمع الخاطر وإجماع (إجْمامُ) القلب، واشتغال الفكر»[٤].

■ **ما تزوّج ولم ينْشغل إلا بالعبادة والمطالعة:**

قال الذهبيّ في ترجمة عيسى بن أحمد اليونيني [ت: ٦٥٤هـ]:

«لم يشتغل إلا بالعبادة والمطالعة، وما تزوج، بل عَقد على عجوزٍ تخدمه»[٥].

■ **انتقمت من الكتب بعد وفاته!**

وأغرب النكبات مما يثير الضحك ما تفعله الحماقة بالعلم وكتبه، فقد كان للأمير

---

(١) الوافي بالوفيات (٨/ ٤١٤).
(٢) تذكرة السامع والمتكلم: ص ١٤٧.
(٣) المصدر السابق: ص ١٤٧.
(٤) المصدر السابق: ص ١٤٧ .
(٥) سير أعلام النبلاء.

ابن فاتك - من أمراء مصر في القرن الخامس الهجري - مكتبة ضخمة، كان يجلسُ فيها أكثر أوقاته ولا يفارقها، وكانت له زوجة كبيرة القدر من أرباب الدولة، ولكن داخلتها الغيرة من الكتب، فلمّا تُوفيَّ زوجها نهضتْ هي وجواريها إلى خزائن كتبه، وفي قلبها لوْعة من الكتب؛ لأنه كان يشتغل بها عنها، فجعلتْ تبكيه وتنْدبه، وفي أثناء ذلك ترمي الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار هي وجواريها[١].

هكذا فعلت زوجة أحْنقها ولع زوجها بالكتب، فانتقمتْ من الكتب بعد وفاته!.

ولا يزال في زوْجاتنا مَن يغرْن من الكتب كما غارتْ تلك الزوجة الفاضلة!.

■ **تزوَّج بامرأة بسبب الكتب التي عندها!**

قال أحمد بن سلمة النيسابوري: «تزوّج إسحاق بن راهويه بامرأة رجلٍ مات، كان عنده كتب الشافعي، لم يتزوج بها إلا للكُتب»[٢].

■ **لا زوْجة بعد الآن!**

تزوَّج أحد عُشاق الكتب، فصمّمت زوجته أن تقلعه عن شراء الكتب، وفي أحد الأيام دخل عليها مُتأبِّطًا حزمة من الكتب الجديدة، فثارت ثائرتها، وصاحت به: لا كتب بعد الآن! فأجابها فوْرًا: إذاً، لا زوْجة بعد الآن![٣].

■ **الشافعيّ والجارية، وحبّه للعلم**

اشترى أصحاب الشافعي له جارية، فلمّا كان الليل أقبل على الدرس، والجارية تنتظر اجتماعه معها، فلم يلتفتْ إليها، فلمّا أصبحت صارتْ إلى النّخاس وقالت: «حبسوني مع مجنون!!».

---

(١) من روائع حضارتنا: ص ١٨٦.
(٢) حلية الأولياء (٩/ ١٠٣)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٧٠).
(٣) الضاحكون: ص ٤٤٢.

فبلغ الشافعيّ قولها، فقال: «المجنونُ مَن عرف قدر العلم ثُمَّ ضيّعه، أَوْ توانى فيه حتى فاته»[١].

ومن الشعر المنسوب إلى الإمام الشافعي في حبّه للعلم، وتفضيله على أجمل الجواري الحسان:

سَهَرِي لِتَنْقِيحِ العُلُومِ أَلَذُّ لـي ❖❖ مِـنْ وَصْـلِ غَانِيـةٍ وَطيبِ عِنَـاقِ
وصريرُ أقلامي على صَفَحاتها ❖❖ أحْلـى مـنَ الدَّوكـاءِ والعُشَّـاقِ[٢]
وَأَلَذُّ مِـنْ نَقْـرِ الفتاةِ لِدُفِّهَـا ❖❖ نَقْري لأُلِقي الرَّمـلَ عـن أوْرَاقـي
وَتمايُلي طَرَباً لِحَـلِّ عَويصَـةٍ ❖❖ في الدَّرْسِ أَشْهَى مِـنْ مُدَامَـةِ سَـاقِ
وَأَبيتُ سَهْرانَ الدُّجـى وتبِيتُـهُ ❖❖ نَوْماً وَتَبْغي بَعْـدَ ذَاكَ لِحَاقِـي؟[٣]

■ **هيوم**

ماذا أريد أن أنال فوق ما نلتُ؟ زوجة؟؟!!

فهذه ليست من ضرورات الحياة، أما الكتب فهذه من ضروراتها، وعندي منها فوق ما يكفيني[٤].

■ **الكتب أحبُ إلىّ من الآنسة**

كتابٌ أُطالعه مؤنس ❖❖ أحبّ إلـيَّ مـن الآنسـة
وأدْرسُه فيريني القـرو ❖❖ نَ حُضُورًا وأَعْظُمُهُم دارسة

(١) الحث على طلب العلم: ص ٣٢.
(٢) الدُّوْكاء: الأغنام والرقص.
(٣) ديوان الشافعي: ص ٩٠، وقال عنها الشيخ/ عبد الفتاح أبو غدة في كتابه «صفحات»: وهي بشعر الزمشخري، وأسلوبه أشبه، والله تعالى أعلم.
(٤) أنيس الجليس: ص ١٧.

■ **زوجته تلومه على كثرة إنفاقه على الكتب**

وهذا أحد العلماء تلومه زوجته على كثرة ما يُنفق على الكتب، فقال يحكي حاله معها:

وقائلةٍ أنْفقتَ في الكتب ما حوتْ ❖❖ يمينُك من مالٍ فقلتُ دَعيني

لِعلِّي أرى فيها كتابًا يَدلُّني ❖❖ لأخْذِ كتابي آمِنًا بِيَمِيني

■ **تُشعل النار في كتاب زوجها بسبب الغيرة**

أقبل الليث بن رافع أستاذ الخليل بن أحمد على كتاب «العين» ينظرُ فيه ليلًا ونهارًا، لا يَملُّ النظر فيه، حتى حفظ نصفه، وكانت ابنة عمه تحته، فاشترى الليث جارية نفيسة بمالٍ جليلٍ، فبلغها ذلك فغارتْ غيرة شديدة.

فقالت: والله، لأغيظنَّهُ، ولا أبقى غاية، وقالت لنفسها: إنْ غظْته في المال فذاك ما لا يُبالي به، ولكنِّي أراه مُكبًّا ليله ونهاره على هذا الدفتر، والله لأفجعنَّه به.

فأخذتْ الكتاب وأصرمتْ نارًا وألْقتْه فيها، وأقبل الليث إلى منزله، ودخل إلى البيت الذي كان فيه الكتاب، فصاح بخدمه وسألهم عن الكتاب، فقالوا: أخذته الحرَّة، فبادر إليها، وقد علم من أين أتى، فلمّا دخل عليها ضحك وجْهها.

وقال لها: رُدِّي الكتاب، فقد وهبْتُ لك الجارية، وحرّمتُها على نفْسي، وكانت غضْبى، فأخذتْ بيده وأدخلته رماده، فسُقِط في يد الليث، فكتب نصفه من حفظه، وجمع على الباقي أدباء زمانه وقال لهم: مَثلوا عليه واجتهدوا، فعملوا هذا النصف الذي بيد الناس، فهو ليس من تصنيف الخليل، ولا يُشقّ غباره، وكان الخليل قد مات، لأن الخليل حين ألَّفه أهداه إلى أستاذه[1].

(١) معجم الأدباء (٩/ ٤٥)، و «الوافي».

■ **الزمشخري يبكي على المتزوج**

ومن جُملة طُرف ما يُنسب إلى الزمخشري قوله:

تزوجتُ لم أعلم، وأخطأتُ لم أُصِبْ ❖❖ فيا ليتني قدمِتُ قبل التـزوُّج

فوافق ما أبكى على ساكني الثرى ❖❖ ولكنني أبكي على المتـــزوجِ![١]

■ **يرفض الزواج من امرأة غنيَّة بسبب حبه للعلم!**

قال الحافظ أبو إسحاق الحبّال: «كنتُ يوماً عند أبي نصر السِّجْزِي فدُقَّ الباب، فقمتُ ففتحتُه، فدخلت امرأة، وأخرجت كيساً فيه ألف دينار، فوضعْتُه بين يدي الشيخ، وقالت: أنْفِقْها كما ترى. قال: ما المقصود؟ قالت: تتزوجني، ولا حاجة لي في الزواج، ولكن لأخدمك، فَأَمَرَها بأخذ الكيس وأن تنصرف، فلما انصرفتْ قال: خرجتُ من «سِجسْتان» بنيّة طلب العلم، ومتى تزوجتُ سقط عني هذا الاسم، وما أُوثِرُ على ثواب طلب العلم شيئًا»[٢].

■ **يُنفق كل أمواله على العلم وشراء الكتب النفيسة!**

تزوج أبو الحسن علي بن الحسن الضرير المقرئ بجارية مُحتشمة من جواري دار الخلافة وكانتْ راغبة فيه، فوهبتْ له تِركة ملآه ذهبًا، فأنْفقهُ كله في العلم، وشراء الكتب النفيسة، وتحصيل الأصول الحسنة[٣].

■ **الغيرة من الكتب**

يقول الشاعر «محمود عماد»:

تَغارُ مـــن الكتـــابِ إذا رأتْنِـــي ❖❖ أُطالعُهُ وأَتـــركُ وَجْـنتَيْهـــا

تَضِنُّ بِفكرتـــي فيمـــا عَداهـــا ❖❖ وتُنكرُ نَظرتـــــي إلاّ إليهـــا

وتَنفرُ مِن مقـــالٍ ليـــس فيهـــا ❖❖ ولو شملَ الحياةَ ومُلْحَقَيْها

---

(١) الكشاف للزمخشري: ص ١٥.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٥).

(٣) ذيل تاريخ بغداد (٣/ ٢٥٨).

وتَحسبُ هيكلي ومحيطَ نفسي ❖❖ بَقِيّةَ إرْثِهـــا مـــن والديهـــا
وقد ظفر الكتابُ ببعـضِ هـــذا ❖❖ لذلك كان إحدى ضَرّتَيْهـــا
فنظمُ "أبي العَلاءِ" أحبُّ منـــه ❖❖ حديثٌ عن نِظـــامِ ذُؤابَتَيْهـــا
ونَثْرُ "ابنِ المُقَفَّـــعِ" لا يُـــوازِي ❖❖ نِثارَ الوردِ من إحـــدى يديْهـــا
وعِلمُ الكونِ إنْ لم يُـــروَ عنهـــا ❖❖ فذا لا يَنْطلـــي أبـــداً عليهـــا
ولكنْ مِن كتابي لـــي اعتـــذارٌ ❖❖ فهل هـو رائـــجٌ في مَسْمعَيْهـــا
أُطالِعُهُ فأفهـــمُ مـــا لديـــهِ ❖❖ ولم أفهمْ بِجهدي ما لَدَيْهـــا[1]

■ **العلامة القرآني «محمد الأمين الشنقيطي» رَحِمَهُ ٱللَّهُ يترك الزواج من امرأة غنية لطلب العلم!**

يقول عن نفسه في «رحلة الحج» ما نصه: «وقد كنتُ في أُخريات زمني في الاشتغال بطلب العلم دائم الاشتغال به عن التزويج، لأنه ربما عاق عنه، وكان إذ ذاك بعض البنات ممن يصلح لمثلي، يرغب في زواجي ويطمع فيه، فلمّا طال اشتغالي بطلب العلم عن ذلك المنوال؛ أيِسَتْ مني، فتزوجَتْ ببعض الأغنياء، فقال لي بعض الأصدقاء: إن لم تتزوج الآن مَنْ تصلح لك؟!؛ تزوجتْ عنكَ ذواتُ الحسب والجمال، ولم تجد مَنْ يصلح لمثلك، يُريد أن يُعْجِلَني عن طلب العلم، فقلت في ذلك هذه الأبيات:

دَعَانِي النَّاصِحُونَ إلى النِّكاحِ ❖❖ غَدَاةَ تَزَوَّجَـــتْ بِيـــضُ المـــلاحِ
فَقَالـوا لـــي تَـــزَوَّجْ ذاتَ دَلٍّ ❖❖ خلُوب اللَّحْظِ جائِلةَ الوشاحِ
ضحُوكًـا عَنْ مُؤشرةٍ رِقـاقِ ❖❖ تَمجُّ الـــرَّاحَ بالمـــاء القـــراحِ[2]

■ **العلامة «عبد الله باعلوي» ينهمك في المطالعة ليلة عُرسه، ولا يلتفتُ إلى عروسه!!**

يقول العلامة الشاطريّ: «وتذكرتُ ما وقع للعلامة المفتي الحبيب عبد الله بن عمر

(١) طرائف الشعراء: ص ١٣٦.
(٢) علو الهمة: ص ١٥٣.

بن يحيى باعلوي [ت: ١٢٦٥هـ] ، وقد زُفَّت إليه زوجته، ولمّا دَخل غرفة الزفاف، وجد عندها بعض الماشطات، وذلك أثناء الليل، فتناول كتاب «الإرشاد» لابن المقري، وخرجت الماشطات، ولكنه استغرق في مطالعة ذلك الكتاب عدة ساعات إلى آذان الفجر، والعروس مُسْندة، ولم يلتفتْ إليها طوال تلك المدة لانشغاله بالعلم الذي هو أهم عنده من العروس»![1].

■ **شدة انهماك ابن رجب بالعلم، وعدم التفاته لمفاتن زوجته!**

وجاء في «ذيل طبقات ابن رجب»[2] في ترجمة الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي «عبد الرحمن بن أحمد بن رجب» [ت: ٧٩٥هـ] ما يلي:

«وكان لا يعرف شيئًا من أمور الدنيا، فارغًا من الرياسة، ليس له شُغل إلا الاشتغال بالعلم، حدَّثنا شيخنا شهاب الدين بن زيد: أنَّ زوجته مرةً دخلتْ الحمَّام، وتزيّنتْ، ثم جاءتْهُ، فلم يلتْفتْ إليها».

فقالت: ما يريدُ الواحدُ منكم إلّا مَنْ يتركُهُ مِثْلَ الكلب!! وقامتْ وتركتْهُ.

يقول الشيخ أبو غُدّة مُعلِّقًا: ولا أظن إلا أنه كان مُستغرقًا في متعة العلم والقراءة، والكتاب والمراجعة والبحث، فلم يلتف إلى متعةٍ سواها، ولم يُغْرِهِ التزيُّنُ وطيبُ الحمّام، ولم يُبال بسِهَام المَلام، وقوارص الكلام، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى[3]:

وفي ذلك قيل:

تَغارُ مــن الكتــابِ إذا رأتْنِــي ❖❖ أُطالعُــهُ وأَتــركُ وَجْنتَيْهــا

وقيل:

سَهَرِي لِتَنْقِيحِ العُلُومِ أَلَـذُّ لــي ❖❖ مِنْ وَصْــلِ غَانِيـةٍ وَطيبِ عِنَــاقِ

---

(١) قيمة الزمن عند العلماء: ص ١٤٧.
(٢) ذيل طبقات ابن رجب: ص ٣٧-٣٩.
(٣) قيمة الزمن عند العلماء: ص ١٣٩.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي في وصية يوصي فيها أبناء أمته:

«أيها الولد، كم من ليالٍ أحْييتها بتكرار العلم، ومطالعة الكتب، وحرَّمت على نفسك النوم، لا أعلمُ ما كان الباعث فيه، إن كان نيْل عرض الدنيا، وجذب حطامها، وتحصيل مناصبها، والمباهاة على الأقران والأمثال، فويلٌ لك، ثم وَيلٌ لك، وإن كان قصدك فيه إحياء شريفة النبي ﷺ، وتهذيب أخلاقك، وكسر النفس الأمَّارة بالسوء، فطْوبى لك، ثم طُوبَى لك».

«الإمام أبو حامد الغزالي»

٦ـ تكرارهم قراءة الكتاب الواحد مرات عديدة

ونظرًا لحبِّهم للعلم وللقراءة وتعظيمهم لقيمة الكتاب، فلقد تمكنوا من قراءة كتاب واحد مرات كثيرة تدهش الناظر في أخبارهم وسيرهم، ولا يتأتى النبوغ في العلم والرسوخ فيه إلا بإدامة النظر وتكرار المطالعة.

ولقد ذكر العقاد ذلك في كتابه «أنا» حيث يقول:

«إن قراءة كتاب واحد ثلاث مرات غالبًا، أنفع من قراءة ثلاثة كتب في الموضوع نفسه»[(١)].

نظرًا لأن في هذا تركيزًا على موضوعات الكتاب، ووقوفًا على معانيه بجلاء، وزيادة في التأمل، وما يفوت في القراءة الأولى يمكن تعويضه في الثانية.

وكان السلف - من جليل مزاياهم - قراءة الكتاب الواحد مرات وكرَّات؛ وذلك لإتقان الكتاب المقروء وضبطه، ولذا عكف كثير من العلماء على كتب مُعيّنة إقراءً وتدريسًا ومذاكرة، ولهم في ذلك أخبار مُطولة ومنها:

■ **الإمام النووي يُطالع «الوسيط» أربع مئة مرة:**

قال الأدفوي في «البدر السافر»: ونُوزع مرة في النقل عن الوسيط، فقال أتُنازعونني؟ وقد طالعتُه أربع مئة مرة.

وكانت حياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٤٥ سنة، وترك من المؤلفات الكثيرة العظيمة ما قسَّموه على أيام حياته، فكان كل يومٍ فيها أربع كراريس[(٢)].

---

(١) أنا للعقاد: ص ٥٠.

(٢) من قيمة الزمن عند العلماء: ص ١٣٠.

■ **عباس بن الوليد الفارسي [ت: ٢١٨ هـ] يدرس كتابًا ألف مرة:**

وجاء في ترجمة عباس بن الوليد الفارسي تلميذ سفيان بن عُيينة، والفُضيل بن عِياض: قال أبو العرب: ولقد حدثني أبو أحمد بن تميم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنهم ربما وجدوا في آخر بعض كتب «عباس بن الفارسي»: «درسْتُهُ ألف مرة»[١].

■ **أبو بكر الأبْهري [ت: ٣٧٥هـ] المالكي يقرأ الموطأ خمسًا وأربعين مرة:**

يقول عن نفسه: «قرأتُ «مختصر ابن عبد الحكم» خمس مائة مرة، و «الأَسَدِيّة» سبعين مرة، و «الموطأ» خمسًا وأربعين مرة ، و «مختصر البَرْقي» سبعين مرة[٢].

■ **الإمام أبو بكر بن عطية يقرأ البخاري سبع مائة مرة:**

جاء في ترجمته في «الصلة» لابن بَشْكوال قال: «قرأتُ بخط بعض أصحابنا: أنه سمع أبا بكر بن عطية يذكر أنه كرّر «صحيح البخاري» سبع مائة مرة»[٣].

■ **ابن التبان يدرس «المدونة» ألف مرة:**

عبد الله بن إسحاق المعروف بـ «ابن التبَّان» درس كتاب «المدونة» ألف مرة[٤].

وقال القاضي عياض: وكان كثير الدرس، ذكر أنه درس كتابًا ألف مرة، يعني: المدوَّنة.

■ **إسماعيل بن محمد الفراء الحرانيَ يقرأ «المقنع» مائة مرة:**

وإسماعيل بن محمد الفراء الحرانيّ قرأ «المقنع» مائة مرة[٥].

---

(١) من قيمة الزمن عند العلماء: ص ١٧٥، وطبقات علماء إفريقية وتونس: ص ٢٢٤.
(٢) ترتيب المدارك (٦/ ١٨٦).
(٣) الصلة لابن بَشْكوال : ص ٤٣٣.
(٤) ترتيب المدارك.
(٥) ذيل الطبقات.

■ **سليمان بن إبراهيم بن عمر نفيس يقرأ «البخاري» مائة وخمسين مرة:**

في ترجمته في «أنباء الغمر» قال عنه ابن حجر: «ذكر لي أنه مرَّ على «صحيح البخاري» مائة وخمسين مرة، ما بين قراءة وسماع ومقابلة».

وجاء في «البدر الطالع»: أنه قرأ «البخاري» أكثر من خمسين مرة.

■ **أبو بكر بن محمد بن عبد الله القاهري الحنفي، يقرأ «البخاري» أكثر من مائة مرة:**

وفي ترجمته في «الضوء اللامع»: قال البرهان الحلبي – تلميذه –: إنه أخبره أنه قرأ «صحيح البخاري» خمسًا وتسعين مرة، وقرأه بعد ذلك مرات كثيرة.

■ **ابن الأثير يُطالع كتابًا خمسمائة مرة لمدة تزيد عن عشر سنوات:**

وجاء في الكتاب الماتع «المثل السائر»[1] لابن الأثير [ت: ٦٣٧ هـ]: «وكنتُ جرَّدتُ من الأخبار النبوية كتابًا يشتمل على ثلاثة آلاف خبر، كلها تدخل في الاستعمال، ومازلتُ أواظبُ على مطالعته مدة تزيد على عشر سنوات، فكنتُ أُنهي مطالعته في كل أسبوع مرةً، حتى دار على ناظري وخاطري ما يزيد على خمس مائة مرة، وصار محفوظًا لا يشذُّ عنيِّ منه شيء».

■ **الحافظ البرهان الحلبي يقرأ «البخاري» أكثر من ستين مرة، و «مسلمًا» نحو العشرين:**

وفي ترجمة الحافظ برهان الدين الحلبي من «الضوء اللامع»[2] للسخاوي: أنه قرأ «البخاري» أكثر من ستين مرة، و «مُسلمًا» نحو العشرين، سوى قراءته لهما في الطلب، أو قراءتهما من غيره عليه.

---

(١) المثل السائر (١/ ٢٢٣).
(٢) الضوء اللامع (١/ ١٤١).

■ **الحافظ بن الشِّحْنَة الحجّار يُحدِّث بالصحيح أكثر من ستين مرة:**

قال الحافظ بن الشِّحْنَة الحجَّار: أنه حدَّث بالصحيح أكثر من ستين مرة.

■ **الفيروز آبادي يقرأ «صحيح البخاري» أكثر من خمسين مرة:**

قال البُوَنيّ: «رأيْتُ خطَّ الفيروز آبادي في آخر جزء من «صحيح البخاري»، وقال: إنه قرأ «صحيح البخاري» أزْيد من خمسين مرة».

■ **يقرأ «الرسالة» للشافعي خمسين سنة:**

ذكر ابن السُّبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» [١] **في ترجمة إسماعيل بن يحيى المزني صاحب الشافعي قال:** قال الأنماطيّ: قال المُزني: «أنا أنظر في كتاب الرسالة منذ خمسين سنة، ما أعلم أني نظرتُ فيه مرّةً إلا وأنا أستفيد شيئًا لم أكن أعرفه».

■ **يقرأ معجم الأدباء ثماني مرات:**

يقول الشيخ العلامة عبد العزيز الميمني الهندي عن نفسه: «قرأت (معجم الأدباء) لياقوت - عل الأقل - ثمانٍ مرات، وأُفضِّله على كتاب (وفيات الأعيان)».

■ **يقرأ «التوضيح» سبعين مرة، و «شرح ابن المصنف» أكثر من ثلاثين مرة:**

وفي «الضوء اللامع» [٢] **في ترجمة إبراهيم بن حجّاج بن محرز بن مالك أبي إسحق الأبناسي، قال السخاوي:** وحُكي أنه قرأ «التوضيح» [٣] أكثر من سبعين مرة، و «ابن المصنِّف» [٤] ما ينيف على الثلاثين.

■ **يقرأ «البخاري» و «الكشَّاف» مرات عديدة:**

قال المُحبِّي في «خلاصة الأثر» في ذلك في ترجمة العلامة علي بن عبد الواحد بن محمد الأنصاري: «إنه بلغ الغاية القصوى في الرواية والمخطوطات، وكثرة القراءة، وحكى بعض تلامذته أنه قرأ «الكتب الستة» على مشايخه درايةً، قرأ «البخاري» سبع

---

(١) (٢/ ٩٩).
(٢) الضوء اللامع (١/ ٣٨).
(٣) هو «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك» لابن هشام.
(٤) ابن صاحب الألفية.

عشرة مرة بالدرس، قراءة «بحث وتدقيق»، ومرَّ على «الكشَّاف» من أوله إلى آخره ثلاثين مرة، منها قراءة ومنها مُطالعة».

■ **يُطالع «المُغني» ثلاثا وعشرين مرة:**

وطالع الشيخ عبد الله بن محمد بن أبي بكر الحنبلي: «المُغني» للموفق «ابن قدامة» ثلاثًا وعشرين مرة، حتى كاد يسْتحضره [١].

■ **يقرأ «البخاري» نحْوًا من مائتين وثمانين مرة:**

وفي «طبقات الخواص» للشهاب أحمد الشَّرْجي اليمني، في ترجمة سليمان بن إبراهيم العَلَوي: أنه أتى على «البخاري» نحوًا من مائتين وثمانين مرة، قراءة وسماعًا وإقراءً.

■ **الفارابي يقرأ كتاب «النَّفْس» لأرسطاطاليس (أرسطو) مائة مرة:**

وحكى «ابن خلكان» في كتابه «وفيات الأعيان» [٢] في ترجمة «الفارابي» الحكيم المشهور، وأحد أذكياء العالم [ت: ٣٣٩هـ] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى فقال:

«قرأ علوم الفلسفة، وتناول جميع كتب أرسطاطاليس (أرسطو)، وتمهَّر في استخراج معانيها، والوقوف على أغراضه فيها».

ويقال: إنه وُجدَ كتاب «النّفْس» لأرسطاطاليس وعليه مكتوب بخط أبي نصر الفارابي: إنِّي قرأتُ هذا الكتاب مائة مرة، ونُقل عنه أنه كان يقول: قرأتُ «السماع الطبيعي» لأرسطاطاليس الحكيم أربعين مرة، وأرى أنِّي محتاج إلى مُعاودة قراءته.

■ **يقرأ «المهذب» أكثر من أربعين مرة:**

جاء في ترجمة الإمام الفقيه يحيى بن أبي الخير العِمْراني [ت: ٥٥٨هـ] أنه قال عن نفسه: إنه لم يُعلِّق «الزوائد على المهذَّب» إلا بعد أن حفظه غيْبًا على الإمام الـهَمْذاني، ثم أعاده في (أحاظة: قرية باليمن)، ثم طالعه بعد ذلك قبل التصنيف أربعين مرة أو أكثر.

---

(١) علو الهمة: ص ١٨٢.
(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٧٦).

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُطالع الجزء من تجزئة أحدٍ وأربعين من «المهذَّب» في اليوم والليلة أربع عشرة مرة، لكلِّ فصلٍ منه [١].

■ **كان يُعيدُ كُلَّ قياس ألف مرة:**

وقال الإمام أبو إسحاق الشيرازي (إبراهيم بن علي) [ت: ٤٧٦هـ] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وهو أحد العلماء الأفذاذ الكبار: «وكنتُ أعيدُ كلَّ قياسٍ ألف مرة، فإذا فرغتُ أخذتُ قياسًا آخر، وهكذا.

وكنتُ أعيدُ كلَّ درسٍ ألف مرة، فإذا كان في المسألة بيتٌ يُسْتشهَدُ به، حفظتُ القصيدة كلَّها لأجله»[٢].

■ **الزريراني [ت: ٧٢٩هـ] يُطالع «المغْني» ثلاثًا وعشرين مرة:**

وعبد الله بن محمد الزريراني [ت: ٧٢٩هـ] طالع المغني ثلاثًا وعشرين مرة[٣].

■ **الشيخ بكر أبو زيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقرأ كتاب «الأعلام» للزركلي خمس مرات:**

ويقول د. علي بن محمد العُمران: حدثني شيخنا العلامة بكر أبو زيد: أنه قرأ (قراءة جرد) كتاب «الأعلام» للزركلي (٨ مجلدات) خمس مراتٍ أو أكثر[٤].

■ **وعالم آخر يقرأه أكثر من مائة مرة:**

ويواصل د. العمران كلامه فيقول: وذكر لي الأستاذ/ أحمد العلاونة صاحب «ذيل الأعلام» – صدر منه خمسة مجلدات حتى الآن – أنه قرأ كتاب «الأعلام» أكثر من ١٠٠ مرة[٥].

---

(١) طبقات فقهاء اليمن: ص ١٧٨.
(٢) العلماء العزاب: الترجمة ١٣.
(٣) ذيل الطبقات (٢/ ٤١١).
(٤) اقرأ، وارق: د. علي بن محمد العُمران، ص ٨٥.
(٥) المصدر السابق.

• **ومنهم من شغف بمطالعة بعض الكتب حفظًا وإقراءً حتى عُرف بها، وأصبحتْ لقبًا عليه، ومنهم:**

ـ **علي بن محمد أبو الحسن [ت: ٥١٦هـ]**: سُمّي بـ «الفصيحي»؛ لكثرة دراسته لكتاب «الفصيح» لثعلب[١].

ـ **أحمد بن محمد الأزبلي [ت: ٧٢٨هـ]**: عُرف بـ «التعجيزي»؛ لحفظه كتاب «التعجيز»[٢].

ـ **أحمد الواسطي [ت: ٧٢٩هـ]**: عُرف بـ «الوجيزي»؛ لأنه كان قد حفظ كتاب «الوجيز» في الفقه لأبي حامد الغزالي، واعتنى به[٣].

ـ **بدر الدين الزركشي [ت: ٧٩٤هـ]**: لُقب بـ «المنهاجي»؛ لأنه حفظ منهاج الطالبين[٤].

ـ **محمد بن سليمان الروميّ [ت: ٨٩٩هـ]**: عُرف بـ «الكافيجي»؛ لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو، فنُسِبَ إليها بزيادة چيم كما هي قاعدة الترك في النسب[٥].

ـ **والعلامة الحكيم شمس الدين محمد بن إبراهيم [ت: ٦٧٥هـ]**: لُقِّب بـ «الكُلِي»؛ لأنه كان يحفظ كليات القانون لأبي البقاء[٦].

ـ **وفي اليمن الفقيه جمال الدين محمد بن عبد الله الخطّابي [ت: ٨٢١هـ]**: كان يحفظ «التنبيه» لأبي إسحاق الشيرازي، ويداوم على مطالعته وتصوير واستنباط المسائل منه؛ فسُمِّي بـ «التنبيهي» نسبة إلى هذا الكتاب[٧].

---

(١) معجم الأدباء: (٥/ ١٩٦٤).
(٢) الدرر الكامنة لابن حجر: (١/ ٢٥٥).
(٣) المصدر السابق: (١/ ٢٤٣).
(٤) البحر المحيط (١/ ٧).
(٥) البدر الطالع للشوكاني: (١/ ٢٥٥).
(٦) الوافي بالوفيات: (٢/ ٣).
(٧) الكتاب في الحضارة الإسلامية: ص ١٣٠.

كان «ابن الرفعة» لا يُفارقه الكتاب حتى أثناء المرض، فيقول عنه ابن حجر العسقلاني:

«كان مُكبًّا على المطالعة حتى عرض له وجع المفاصل، بحيث كان الثوبُ إذا لمسَ جسمه آلمه، ومع ذلك، معه كتابٌ ينظرُ إليه، وربّما انكبَّ على وجهه وهو يُطالع».

الدرر الكامنة

لابن حجر (٢٨٧/١)

٧ـ شدة توْقيرهم وتبْجيلهم للكتب

لقد عاملوا الكتاب معاملةً خاصة، فلقد وجدوا فيه نعم الأخ، والصديق والمؤنس، والأنيس، والقرين، والنزيل، واعْتنوا بكتبهم اعتناءً شديدًا، فيقول قائلهم: «لا تجعل كتابك بُوقًا ولا صُنْدوقًا»، أي: لا تلوه على بعضه، فيكون كهيئة البوق، ولا تُكثر من وضع الأشياء فيه، فيكون بمثابة الصندوق، وكلا الأمريْن يُعجّلُ بتلف الكتاب.

وكان النابع من هذه المعاملة الخاصة للكتاب بأنهم لم يعتبروه - أبدًا - مجرد قطعة من الورق الجامد، الأصمّ، بل اعتبروه أوْفى الأصدقاء لهم فهو يفرحُ لفرحهم، ويحزنُ لحزنهم، ويُشاركهم لوْعاتهم وحَسَراتهم.

واختلط إحساسهم وشعورهم بالكتاب، فلقد كان حبه يجري في دمِّهم، وعروقهم، اعتبروه إنسانًا حيًّا يتحدث إليهم ويتحدثون معه، ويبثون إليه أخبارهم وأحوالهم، اعتبروه صديقًا مثاليًّا، خاليًا من العيوب، يقول أمير الشعراء:

أَنا مَن بَدَّلَ بِالكُتبِ الصِحابا ❖❖ لَم أَجِد لي وافِيًا إِلا الكِتابا

صاحِبٌ إِنْ عِبتَهُ أَو لَم تَعِبْ ❖❖ لَيسَ بِالواجِدِ لِلصاحِبِ عابا

ويقول الجاحظ:

«الكتاب نعم الذخر والعُقدة، ونعم الجليس والعدَّة، ونعم النشرة والنزهة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنيس لساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل»[1].

---

(١) الحيوان (١/ ٣١-٣٢).

وهناك حكمة عربية تقول:

«أن الكتب ليست أكوام من الورق الميت، إنها عقول تعيش على الأرفف».

ومن شدة توقيرهم وإعزازهم للكتاب، فلقد حدَّدوا طرقًا مُعيَّنة وأساليبًا مختلفة لكيفية التعامل مع هذا الصديق العزيز في جميع الحالات عند شراء كتاب جديد، وعند إعارته، وعند النسخ (النقل) منه، وعند وضْعه على الأرض وحمله، وإلى غير ذلك.

آداب التعامل مع الكتب

■ **يقول العلَّامة (بدر الدين محمد بن جماعة) في الآداب مع الكتب التي هي آلة العلم:**

«وإذا نسخ (نقل) منه بإذن صاحبه أو ناظره فلا يكتبُ منه والقرطاس في بطنه أو على كتابته، ولا يضَعُ المحبرة عليه، ولا يمرُّ بالقلم الممدود فوق كتابته.

وأنشد بعضُهُم:

أيها المستعيرُ مِنِّي كتابًا ❖❖ ارْضَ لي فيه ما لنفْسِكَ ترْضى

وإذا نسخ من الكتاب أو طالعهُ، فلا يَضَعُهُ على الأرض مفروشًا مَنشورًا، بل يجعلهُ بين كتابيْن أو شيئيْن أو كرسيِّ الكتب المعروف كيْلا يسرع تقطيعُ حَبْكه.

وإذا وَضَعهَا في مكانٍ مصَفوفةً، فلتكُنْ على كُرسيٍّ أو تحتَ خَشبٍ أو نحوه، والأوْلى أن يكون بينهُ وبين الأرضِ خُلوٌ، ولا يضعُها على الأرضِ كيْلا تتندَّى أو تَبْلى.

وإذا وَضَعها على خشبٍ ونْحوهِ، جعل فوقها أو تحتها ما يَمنَعُ تآكل جُلودهِا به، وكذلك يجعل بيْنهَا وبين ما يُصادفها، أو يسندُها من حائطٍ أو غيره.

ويُراعي الأدب في وضَع الكتب باعتبار علومها وشرفها، ومُصنِّفيها وجلالتهم: فيَضُع الأشرف أعلى الكُلِّ، ثم يُراعي التدريج، فإنْ كان فيها المصحف الكريم جعله أعلى الكلِّ، والأوْلى أن يكون في خريطةٍ ذات عُروةٍ في مُسمارٍ، أو وَتَدٍ في حائطٍ طاهرٍ نظيفٍ في صدر المجلسِ.

ثم كُتب الحديث الصِّرف؛ كصحيح مُسلم، ثم تفسير القرآن، ثم تفسير الحديث، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم الفقه، ثم النحو والتصريف، ثم أشعار العرب، ثم العَرُوض.

فإنْ اسْتوى كتابان في فنٍّ، فأعلاها أكثرها قرآنًا أو حديثًا، فإنِ اسْتويا فبجلالة المصُنِّف، فإنِ اسْتويا فأقدمُهُما كتابةً وأكثرُهما وقُوعًا في أيدي العلماء والصالحين، فإن اسْتويا فأصحَّهُما.

وينبغي أن يكتب اسم الكتاب عليه في جانب آخر الصفحات من أسفل... .

ولا يضعُ ذواتِ القطْع الكبير فوق ذواتِ الصَّغير كَيْلا يكثرُ تساقطَهَا.

ولا يَجعلُ الكتابُ خِزانةً للكراريس أو غيرها، ولا مخدَّةً، ولا مِرْوحةً، ولا مَكْبسًا، ولا مَسْندًا، ولا مُتَّكأً، ولا مَقْتلةً للبقِّ وغيره، لاسيما في الورق فهو على الورقِ أشدُّ.

ولا يطوي حاشية الورقة أو زاويتها.

ولا يعلِّمُ بعُودٍ أو شيءٍ جافٍّ، بل بورقةٍ أو نحوها، وإذا ظفَّر فلا يَكبسُ ظُفرهُ قويًا.

وإذا استعار كتابًا، فينبغي له أن يتفقده عند إرادة أخْذِهِ ورَدِّهِ.

وإذا اشترى كتابًا تعهَّد أوّله وآخره ووسطه، وترتيب أبوابه وكراريسهِ، وتصفّحَ أوراقه، واعتبر صحته، ومما يغلبُ على الظنِّ صحَّته إذا ضاق الزمانُ عن تفتيشه»[1].

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم: ص ١٨٨-١٩١.

وأيضًا من الأدب مع الكتاب ألا نقوم بجمعه، ثم نهمله، ولا نهتمَ به، لأن الكتب أشخاصٌ تنادينا ونحاورها وتحاورنا، فالصديق يغضب إذا لم يهتم به صاحبه، وتركه هملاً.

■ **يقول «ابن جماعة» عن طالب العلم الذي يقوم بجمع الكتب ويكدّسها دون فائدة:**

«... ولا يجعل تحصيلها وكثرتها حظَّه من العلم، وجمعها نصيبه من الفهم، كما يفعله كثيرٌ من المنتحلين للفقه والحديث»، وقد أحسن القائل:

إذا لم تكن حافظًا واعيًا ❖❖ فجمْعُك للكُتُب لا ينفعُ[1]

وقال البغدادي:

أتنطق بالجهل في مَجْلس ❖❖ وعلْمك في البيت مُسْتودَعُ؟!

واحترام الكتب في قراءتها، والشخص الذي يجمع الكتب ولا يستفيدُ منها، ويستغلها في المباهاة والتزيين، حيث لا يفكرُ ولو لمرّة واحدة في الاستمتاع بمُروجها الفكرية، ورياضها العقلية يصدق فيه قول القائل:

كالعيسِ في البيْداءِ يقتلها الظَّما ❖❖ والماءُ فوق ظهورها مَحْمولُ!

وأنكر بعض الشعراء جمع الكتب دون الاستمتاع بذخائرها وفنونها، فقال أحدهم:

عليك بالحفْظِ دُونَ الجمع في كُتُبٍ ❖❖ فـإنّ للكُتُب آفـاتٍ تُفرِّقُهـا
المـاءُ يَغرقُهـا والنـارُ تَحرقُهـا ❖❖ والفأرُ يَخْرِقُها واللصُّ يسْرِقُها

وقال بعض الشعراء في قوم يجمعون الكتب ولا يعلمون ما فيها:

زوامِلُ[2] للأسفارِ لا عِلْمَ عندهم ❖❖ بجيدها إلَّا كَعِلْمِ الأباعِرِ
لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْبَعِيرُ إِذَا غَدَا ❖❖ بأجمالها أَوْ رَاحَ مَا فِي الْغَرَائِرِ[3]،[4]

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم: ص ١٨٧.
(٢) زوامل: مفردها زاملة: وهي الدابة التي يُحمل عليها.
(٣) الغرائر: مفردها غرارة: وهي كيس يُحمل فيه علف الحيوان.
(٤) عيون الأخبار (٢/ ١٣٢).

■ **ويقول «ابن جماعة» عن آداب الاستعارة:**

«وينبغي للمستعير أن يشكر للمُعير ذلك ويجزيه خيْرًا، ولا يطيلُ مقامه[١] عنده من غير حاجةٍ، بل يردُّه إذا قضى حاجته، ولا يحبِسُه إذا طلبه المالك أو اسْتغنى عنه.

ولا يجوز أن يُصلحه بغير إذن صاحبه، ولا يُحشِّيه، ولا يكتَبُ شيئًا في بياض فواتحه أو خواتمه إلا إذا علم رضا صاحبه، وهو كما يكتبُهُ المحدِّث على جزءٍ سمعه أو كتبه، ولا يُسوِّدُهُ، ولا يُعيرُه غيره، ولا يُودعه لغير ضرورة حيث يجوز شَرْعًا، ولا ينسَخُ منه بغير إذن صاحبه»[٢].

يقولُ أحدُ الشعراءِ ضانًا بكتابه على غيره:

لا يا مُسْتعيرَ الكتاب دَعْني ❖❖ فإعارتي للكتاب عَارُ

محبوبي من الدُّنيا كتابٌ ❖❖ وهل في الشَّرْع محبوبٌ يَعارُ؟!

■ **وللمحافظة على الكتاب ينبغي تلافي الأوضاع الخاطئة التي تُعرِّضه للتلف أو التمزق، ومنها:**

١- وضع الكتاب مقلوبًا، أو تركه مفتوحًا لفترة طويلة.

٢- فتح الكتاب بقوة، أو فرك الصفحات باليد، أو بلّ الإصبع باللعاب الكثير؛ لتقليبها.

٣- وضع الكتب بعضها فوق بعض، وإنما ينبغي أن تكون جنبًا إلى جنب.

٤- وضع الكتب بشكل مائل في المكتبة، والصحيح أن تُوضع بشكل قائم.

٥- تقليب الصفحات بشدة، أو بسرعة وعصبية، وينبغي عدم اللجوء إلى العنف والعشوائية في فتح الصفحات الملتصقة نتيجة لخطأ القصِّ في المطبعة، وإنما تُستخدم السكين أو الفتَّاحة المخصصة لهذا الغرض.

٦- احتكاك الكتب أثناء تحريكها بجسم صلب كزوائد الخشب، وأطراف الحديد.

---

(١) مقامه: أي فترة استعارة الكتاب.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم: ص ١٨٨.

٧- استخدام الكتب كمائدة لوضع الطعام والشراب.

وينبغي حماية الكتب مما يتساقط عليها من الأطعمة والأشربة، وخصوصًا أثناء السفر والرحلات.

رأى بعض الحكماء رجلًا قد جلس على كتاب، فقال: «سبحان الله يصون ثيابه، ولا يصون كتابه، لِصَون الكتاب أوْلى من صَوْن الثياب»[١].

٨- طيُّ حاشية الورق أو زاويتها ليُعلِّم المكان الذي وقف عنده مثلاً، وينبغي بدلاً من ذلك وضع إشارة خفيفة قابلة للإزالة، ويمكن وضع علامة رقيقة كورقة أو خيْط في المكان الذي وصل إليه.

٩- الكتابة بأقلام غليظة، أو الكتابة بقسوة، وخصوصًا أثناء التصحيح، مما يؤدي إلى تخريق صفحات الكتاب.

١٠- تشويه شكل الكتاب من الداخل والخارج بالإشارات الغليظة، والرسوم المختلفة على الكتاب أثناء القراءة.

١١- لفّ الكتاب على شكل بوق أثناء حمله، أو تحويله إلى صندوق تُوضع فيه الأقلام والمسَّاحات وغيرها.

١٢- رمي الكتاب أو إلقاؤه من أعلى، بل ينبغي تسليمه باليد؛ حتى لا يتعرض للتمزيق.

١٣- صف الكتب أو تكديسها على الأرض مباشرة؛ مما يُعرِّضها للأَرَضَة والرطوبة والعفونة، ويُستحسن وضعها على لوح خشبي، أو سطح عازل[٢].

وقد جمع أحد الشعراء الأخطار التي تحدث للكتاب في هذيْن البيْتين:

عليك بالحفْظِ دُونَ الجمع في كُتُبٍ ❖❖ فإنّ للكُتُب آفاتٍ تُفرِّقُها

الماءُ يَغرقُها والنارُ تَحرِقُها ❖❖ والفأرُ يَخْرِقُها واللصُّ يسْرِقُها

---

(١) تقييد العلم: ص ١٤٧.

(٢) كيف تقرأ كتابًا؟: للشيخ محمد صالح المنجد، ص ٨١-٨٣.

■ **ومن احترام الكتاب وتعظيمه: شدة الاعتناء بحُسن اختياره.**

يقول د. بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شرف العلم معلوم، لعموم نفعه، وشدة الحاجة إليه، كالبدن إلى الأنفاس، وظهور النقص بقدر نقْصه، وحصول اللذة والسُّرور بقدر تحصيله، ولهذا اشتدَّ غرام الطلاب بالطلب، والغرام بجمع الكتب مع الانْتقاء ... ».

«واعلم أنه لا يُغنى منها كتابٌ عن كتاب، ولا تحْشرُ مكتبتك وتُشوِّش على أفكارك بالكتب الغُثائية، لا سيما كتب المبتدعة، فإنها سمٌّ ناقعٌ».

وينصحنا د. بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بحُسن التعامل مع الكتاب، وفي ذلك يقول:**

«لا تستفد من كتاب حتى تعرفَ اصطلاح مؤلفه فيه، وكثيرًا ما تكون المقدمة كاشفة عن ذلك، فابْدأ من الكتاب بقراءة مُقدمته»[١].

ويُوضح لنا الشيخ/ محمد بن صالح العُثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بأن حُسن التعامل مع الكتاب يكون بمعرفة أسلوبه وعباراته[٢] فيقول:

«وعند شراء كتاب جديد يجب عليك أن تمرَّ عليه بعيْنيك مرورًا سريعًا، أو عليك بقراءة الفهرس، قبل وْضعه مع بقية كتبك في مكتبتك، لأجل إنْ احتجت إلى مراجعته، عرفْتَ أنه يتضمن حُكم المسألة التي تريد، أمَّا إذا لم تُجرِّده مراجعة، ولو مرورًا؛ فإنك قد لا تدري ما فيه من المسائل والفوائد، فيفوتك شيء كثير موجود في هذا الكتاب الذي هو عندك في رفك»[٣].

ويقول د. بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وإذا حِزْت (مَلكْتَ) كتابًا، فلا تدخله في مكتبتك إلا بعد أن تمرّ عليه جَرْدًا أو قراءة لمقدمته، وفهرسه، ومواضع منه، أما إن جعلته مع فنِّه في المكتبة، فربَّما مرَّ زمانٌ، وفات العمر دون النظرِ فيه، وهذا مجرّب»[٤].

(١) حلية طالب العلم: ص ١٧٢.
(٢) المصدر السابق: ص ١٧٧.
(٣) شرح حلية طالب العلم: ص ١٧٩.
(٤) حلية طالب العلم: ص ١٧٩.

■ **ولقد حافظوا على كتبهم محافظة شديدة؛ إكرامًا لها وصيانة، ومن العلماء مَنْ أُشْتهر بذلك ومنهم:**

■ **عبد الكريم زاده الحنفي:**

«كان من عادته أنه كان لا يكتبُ بالقلم الذي يكتب به اسم الله تعالى، ولا ينام ولا يضطجع في بيْت كتبه؛ تعظيمًا للعلم»[١].

■ **الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال نعيم بن ناعم أبو حاتم: وسألتُ أحمدَ بن حنبل: أيَضَعُ الرجلُ الكتب تحت رأسه؟! قال: أيّ كتب؟

قلتُ: كتب الحديث، قال: إذا خافَ أن تُسْرقَ فلا بأس، وأمَّا أن يتخذه وِسادةً فلا[٢].

■ **الإمام أبو محمد عبد الرحيم بن محمد بن الزجاج:**

قال محمد بن عمر بن رشيد: «جرى لي مع الشيخ الإمام أبي الإمام محمد عبد الرحيم الزجاج في حالة سماع جزء عليه في ليلة: أني قد رمقتُ (شاهدتُ) الشيخ وهو قد ضعف عن القعود، فإنه كان غايةً في ضعف البدن، قد نهكه السنّ والمرض والسفر، وكان لي وعاء أحملُ فيه كتبي، فدعمتُ (قويتُ، وأسندتُ) ركتبه به، فنظر إليَّ نظر المُغْضب، وأشار إليَّ أن استعمال مثل هذا امْتهان، وأبى (رفض) عليَّ ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى»[٣].

■ **الإمام برهان الدين الزَرنوجي:**

قال: من تعظيم العلم تعظيمُ الكتاب، فينبغي لطالب العلم ألا يأخذ الكتاب إلا بطهارة.

وحكى عنه الشيخ/ عبد العزيز بن أحمد الحلواني، أنه قال: إنما نلْتُ هذا العلمَ بالتعظيم، فأنِّي ما أخذتُ الكاغد (القرطاس، الورقة) إلاَّ بطهارة[٤].

---

(١) شذرات الذهب (١٠/ ٥٥٥).
(٢) المنهج الأحمد (٢/ ١٦٧).
(٣) عشاق الكتب: ص ١٥٥.
(٤) تعليم المتعلّم: ص ٥١.

■ **عبد الله بن عبد العزيز البكري:**

كان جميل الكتب مُتهمًا بها، كان يُمسكها في سبابي (شقق رقاق من الكتان) الشرْب وغيرها؛ إكرامًا لها وصيانة[١].

■ **وأنشد عبد الله بن عمر بن أحمد الوحيديّ:**

صُنْ الكتابَ ولا تجعله مِنْديلًا ❖❖ ولا يكُنْ صَوْنه للدرْسِ تَعطيلا

وسَلْ فقيهك فيما أنت جَاهِلُهُ ❖❖ فربَّما كنت بعد اليوْمِ مَسْؤولا

■ **بعض الحكماء:**

ورأى بعض الحكماء رجلًا يبتذلُ كتابًا، فقال له: بيَّنتَ عن نقصك، وبَرْهنْتَ عن جهلك؛ فما أهانَ أحدٌ كتاب علم إلّا لجهله بما فيه، وسوء معرفته بما يحْويه[٢].

■ **بعض الحكماء:**

وقال أحدهم في ضرورة احترام الكتاب، وعدم إهانته:

«ما أهان أحدٌ كتاب علم إلّا لجهله بما فيه، وسوء معرفته بما يحْويه».

■ **حكمة عربية:**

«الكتابُ أمانة وهو حقيقٌ بالصِّيانة»[٣].

---

(١) سمط اللآلئ (١/ ١).

(٢) أدب الإملاء: ص ١٤٦.

(٣) **لطيفة:** ومن طرائف ما يُروى في المحافظة على الكتب وأوراق العلم ما يرويه المبرِّد: أنَّ رجلًا أتى الأصمعيّ، فسأله أن يكتب له شيئًا من العلم، فكتبه له، فلمّا كان بعد أيام عاد إليه، فقال للأصمعي: يا أبا سعيد، إن ذلك القرطاس الذي كتبْتُهُ لي سقط مني، فأكلته الشاة، فأحبُّ أن تكتب لي غيره ثانيا، فكتب له:

قُلْ لِبُغَاةِ الْآدَابِ مَا وَصَلَتْ ❖❖ مِنْهَا إِلَيْكُمْ فَلَا تُضَيِّعُوهَا

ضَمِّنُوا عِلْمَهَا الدَّفَاتِرَ وَالْحِبْرَ ❖❖ بِحُسْنِ الْكِتَابِ أَوْ عُوهَا

إِن اشْتَرَيْتُمْ يَوْمًا لِأَهْلِكُمُ ❖❖ شَاةً لَبُونًا فَلَا تُجِيعُوهَا

فَإِنْ عَجَزْتُمْ وَلَمْ يَكُنْ عَلَفٌ ❖❖ يُشْبِعُهَا عِنْدَكُمْ فَبِيعُوهَا

تقييد العلم: ص ١٤٧

العلّامة أحمد بن عبد الله المهدي من أهل القيروان

(مدينة بتونس):

« كان في الدراسة والمطالعة آية، لا يكادُ يسْقطُ الكتاب من يده حتى عند طعامه».

«ترتيب المدارك»

للقاضي عياض (٦/٢٧٣)

٨ـ شَتات متفرقات
«ضمائم في شئون القراءة والكتاب»

(١) علمتني الكتب

📖 **علمتني الكتب**: ما لم تُعلِّمني الشيوخ.

📖 **علمتني الكتب**: أن أستنطق سطورها وكلماتها وحروفها؛ لأعيش مع المؤلف أحاسيسه واهتماماته وظروف تأليفه، ودوافعه للكتابة.

📖 **علمتني الكتب**: أن أبحث في زواياها وخباياها، فهناك تختبئ الدُّرر، والأعلاق الثمينة.

📖 **علمتني الكتب**: أنها الرفيق طول الوقت، أدفع مهرَها أول الأمر، فتخدمني طول العمر، بل كما قال الجاحظ عن الكتاب: «يفيدك ولا يَستفيدُ منك، إنَّ جدَّ فعبرةً، وإن مزَح فنُزهةً».

📖 **علمتني الدنيا**: أنها تجارب محدودة، فقرأتُ في الكتب تجارب التاريخ والآخرين بلا حدود!.

📖 **علمتني الكتب**: أن أبذل في تحصيلها كل ثمن؛ لتعطيني ما لا يُقدَّر بثمن.

📖 **علمتني الكتب**: أنَّ كتابًا ربما يَعْدلُ ألفَ كتابٍ، كما أن رجلًا بألف رجل!.

📖 **علمتني الكتب**: أنَّ الكتب لا تُعلِّم البليد، مادام أراد لنفسه أن يكون بليدًا، وإنْ جمع منها ما جمع!.

📖 **علمتني الكتب**: أنَّ السفر معها قطعة من النعيم!.

📖 **علمتني الكتب**: كيف أكسب حبَّ واحترام وثقة مشايخي!.

📖 **علمتني الكتب**: ألا ننخدع بالمظاهر البرَّاقة، ونحرص فيها على الجوهر لا المظهر.

● **وصدق من قال:**

أُقلِّبُ كُتبًا طالما قد جمعتها ❖❖ وأفنيتُ فيها العمرَ حتى تبدَّدا

وأعلمُ حقًّا أنني لستُ باقيًا ❖❖ فيا ليْت شِعْري مَنْ يُقلِّبُهُا غدًا!

📖 **علمتني الكتب**: أن أنطلق معها سائحًا في عوالم العقول، وأقضي معها إجازة ماتعة، ثم أعود لأصحابي مُحملًا بهدايا العلوم والمعرفة والفنون.

📖 **علمتني الكتب**:بأن حب القراءة والاطلاع، هو الذي سيصنع أجيالًا تسود الأمم.

📖 **علمتني الكتب**: أنَّ السعادة الحقيقية، والراحة في قراءة القرآن الكريم، وأن الإنسان التعيس، هو الذي يقرأ عشرات الكتب عن السعادة، وحوله مصحف يعلوه الغبار!.

(٢) فضل القراءة والمطالعة

يقول أحد الأدباء متحدثًا عن فضل القراءة والمطالعة:

«طالع يا بنيّ، فتغتني فِكرًا، وتقوى تعبيرًا».

«لازمة» يردِّدُها المعلم بعد توزيع كل كراسة إنشاء (تعبير)، وأمعنتُ المطالعة بلا حساب.

والكتاب نفيسة النفائس عندي وكنينة ثقافة، أترصده مُتصيِّدًا في المكتبات العامة والخاصة، فَسبْقُ قدمي إلى المكتبة أوَّلُ سبق، وتفْليةُ رفوفها لا تحدّها ساعات، وإنْ كان ما أشتريه محدودًا بحشو الجيب.

عبارةٌ لاحت لي في كتاب، أوّل عهدي بالطلب، فقرأْتُها، فكانتْ نهْجي، فيما أقرأ، ونهجي في اقتناء الكتاب الذي أقرأ.

قيل لأرسطو: كيف تحكم على إنسانٍ؟

أجاب: أسأله كم كتابًا يقرأ؟ وماذا يقرأ؟

وَمَنْ طَلَبَ العُلومَ بغير درسٍ ❖❖ سَيُدْرِكُها إذا شابَ الغُرابُ

ورُحْتُ أختارُ الكتاب وأقْتنيه، وأسترخصه، إذا احتوى ما غلا، وإنْ غلا، وما يُربّى ولا يُسلِّي، فالكتاب الذي لا يحوي أيَّ تعليم، أو أية فكرة جديرة بأن تقرأ مرتين، غيرُ جديرٍ بأن يُقرأ أبدًا، فالكتاب النَّيِّر لا غير، أنا أسيره، وهو أسيري، وهو مقياس

حكمي على مَنْ يقْتنيه، وعلى مَنْ ليس عنده، وإشفاقي على بيْتٍ بلا مكتبة، إشفاقي عليه بلا أركان، ولا أعمدة، وإنْ استوى على مرأى العينِ.

لا خيرَ في المْرءِ إذَا ما غَدَا ❖❖ لا طالبَ علمٍ ولا عَالمِا[1]

أجمل ما قيل عن القراءة:

- ابحث عن المعرفة، فالمعرفة لا تبحث عنك.
- بعض دُعاة الثقافة عندهم قناع يخفي الوجوه.
- إذا ظفرت بكتب، فاقرأ أيها هو شائق.
- إذا أردت أن تقْتني كتبًا، فاخْتر أيها يعلو أسلوبه.
- خير جليسٍ في الزمان كتاب.
- الكتاب الجيد خير صديق.
- لن تستطيع أن تفتح كتابًا دون أن تتعلم منه شيئًا.
- المؤلف يُشبه الكتاب.
- الكتاب إحياء للذكرى.
- فكر كثيرًا، واكتب كثيرًا، وتكلَّم قليلًا.
- الصور كتب مطروحة للتعلم.
- قلْ لي ماذا تقرأ سأقول لك مَنْ أنت.
- القراءة هي الضياء في عالم الظلام.
- مع القراءة يختفي الظلام، ويسطع النور مع القراءة.

(١) أروع ما قيل في الأدب الاجتماعي: ص ١٥٧-١٥٨.

- القراءة لا تُغرس بالمواعظ وبالكلام، بل بصناعة البيئة.
- من تفرَّد بالعلم لم توحشه خلوة، ومن تسلَّى بالكتب لم تُفتْه سلوة، ومن آنسه قراءة القرآن لم توحشه مفارقة الإخوان.
- القراءة تُطيل العمر.
- أنت لا تستطيعُ أن تفتح كتابًا من الكتب، دون أن تتعلم منه شيئًا.
- القراءة بلا تفكير، كالأكل بلا هضم.
- حب المطالعة هو استبدال ساعات السأم، بساعات من المتعة.
- لا تقرأ كما يفعل الأطفال بقصد التسلية، أو كما يفعل الطامحون بقصد الدرس، بل اقرأ لكي تحْيا.
- إنَّ القراءة تصنع الرجل الكامل.
- كلية المستقبل القريبة ستكون مكتبة.
- القراءة هي أن تذهب بعقلك، ومشاعرك خارج حدود الزمان والمكان.
- إنّ القراءة كانت، ولا تزال وسوف تبقى، سيدة مصادر المعرفة، ومبعث الإلهام، والرؤية الواضحة، والأسلوب الأمثل للتعلم.

(٣) من هنا وهناك

- لا تُعامل كلّ الكتب معاملةً واحدة، لكلِّ كتابُ ذوق خاص به، (هل جرَّبت ذلك؟!).
- بعض الكتب يحسن بنا قراءتها كلمةً كلمة، فإنّ «في كلِّ ذرة منها دُرَّة» كما قال السّبكيّ، وبعض الكتب يكفيك أن تمرّ عليها تصفحًا سريعًا.
- بعض الكتب إذا جلست بحضرتها كأنك جالس على وليمة دسمة، وبعضها كأن بين يديْك (شطيرة خفيفة)، فأعْطِ كل ذي قدرٍ قدْره!.
- بعض الكتب كالبحر، لا ينبغي أن يقتحمه إلا الماهر المجيد.
- لا يكن همك الأول (متى) أنتهي من الكتاب، بقدر ما يكون (كيف) أستفيد منه!.
- لا تُسْلِم نفسك للكتاب، اجعلْ الكتابَ يُسْلم فوائده لك.
- بعض الفوائد النادرة مثل (الغِيد الحسان) لا تجدها إلا مكنونة مُتوارية عن الأنظار، تقبع في زاوية من زوايا الكتاب!.
- مَن عرف شرف ما يَطْلُب، هان عليه ما يَبْذلُ!.
- مَن وُلد في بَيتٍ مُلِئ بالكتب مثل من وُلد وفي فمه ملعقة من ذهب.
- لا يشعر بطعم اقتناء الكتب، وتكوين المكتبة إلا مّنْ جمعها من عرقه وقوت عياله!!.
- فرق كبير بين مَنْ يبحث عن فائدة أو معلومةٍ ما في وسط كتبه، لذة ما بعدها لذة، وبين مَنْ يستخرجها بلمْسة زرّ في (المكتبة الشاملة)!، ولا يشعر بهذه المتعة إلا محبو وعشاق الكتب.

- مَنْ يقرأ بقلب يتأكد من صدق هذه المقولة: «الكتب ليستْ أكوام من الورق الميت، إنها عقول تعيش على الأرفف».
- عِشْق القراءة والكتاب، لا يساويه أي عشق، وعشق الورق والأحبار، واسألوا «المكتبة الشاملة» صاحبة الـ ١٠ آلاف كتاب لا أفتحها إلا نادرًا جدًا.
- أحيانًا أحلم بالكتب، وكم دخلتُ مكتبات وتمنيتُ أن أبيت فيها إلى الصباح!.
- يعيبوني على كثرة إنفاقي على الكتب، ويعتبروننى .... .
- عليك باقتناء عيون الكتب وأمهاتها[1] وأصولها وأجودها، وترتيبها وضبطها، ومطالعتها، ومُلازمة البحث فيها وترك ما سوى ذلك إلا لبحثٍ أو نحوه؛ لتسلم من عناء الشتات، وانشغال البال، والحيرة في الأخذ والاختيار.

(١) وسوف يرد ذكرها في الصفحات التالية.

(٤) مكتبتك الخاصة

هل يستطيع طالب علمٍ أن يعيش بلا مكتبة؟

بالطبع لا، لأن المكتبة هي الروح، بل هي قلب وعقل طالب العلم، وهي حديقة المثقف، وبوَّابته إلى عالم العقول والأفكار، والكوَّة التي ينفذُ منها النور إلى حياته، والمنصَّة التي ينظر منها إلى التاريخ، والنافذة التي يشاهد أحوال العلم والعلماء من خلالها، فمن خلالها يستطيع أن يشعر ببرد موسكو، ومن خلالها يستطيع أن يشمّ رياحين وبساتين أمستردام، ومن خلالها يغوصُ في أعماق التاريخ، ومن خلالها يشمُّ عبق التاريخ، ورائحة الماضي.

والمكتبة يحتاجُ جَمعها إلى وقت طويل، ومالٍ كثيرٍ، ومكانٍ كبيرٍ، ويكون فيها ما يحتاجه من كتب مختلفة للقراءة والاطلاع.

ويجب أن تكون مكتبة طالب العلم مُتنوعة، مُتكاملة الجوانب بأنواع الكتب في مختلف التخصصات في مختلف العصور، ويجبُ ألا تقتصر مكتبة طالب العلم على الكتب الشرعية فقط، فهذا خطأٌ كبير، ولكنه يحتاجُ إلى تفسير للقرآن، فإذا قرأ حديثًا ووجد كلمة لا يعرف معناها، فحينها سوف يعرف قيمة القواميس اللغوية وقيمة كتب مفردات غريب الحديث وكتب غريب القرآن وهكذا ... .

فيجب على طالب العلم أن تكون مكتبته متكاملة وشاملة في موضوعات الكتب كما وضحنا سابقًا؛ لتغطي الفروع المختلفة من (التفسير – الحديث – الفقه – العقيدة – مصطلح الحديث – الرجال والتراجم – النحو والصرف – اللغة والشعر – الدعوة

والتربية – المرأة والأسرة – واقع المسلمين – التيارات المعاصرة – القضايا الفكرية المختلفة – كتب الثقافة العامة – الكتب المترجمة بعناية).

وأن يحرص على اقتناء أُمَّهات الكتب، والكتب الأساسية في كل فن [١]، وعيون المعارف، وأفضل المصنفات وينشغل بها، ويكثر من النظر فيها.

ترتيب المكتبة:

وطالب العلم يحتاج في البداية إلى ترتيب مكتبته حسب الموضوعات، أو الحروف، أو حسب الفنون، أو عمل فهرسة لها، وتصنيف الكتب ووضعها في أرفف وتقسيمات معيَّنة، وهذا يحافظ على ترتيبها، ليس عليه أن يُرتب في البداية ثم يهملها بعد ذلك، بل يحافظ على هذا الترتيب، هذه العملية في البداية تأخذ وقتًا كبيرًا، ولكنها بعد ذلك تُوفِّر عليه أوقاتًا تضيع عادةً في البحث عن كتاب ضائع وَسْط أكوام الكتب المُلقاة بعض فوق بعض، أو موضوعة ومرصوصة دون نظام.

(١) وكثيرًا ما يسألني طلبة العلم عن أسماء الكتب الضرورية أو الهامة في الفنون المختلفة والتي تُمثِّل أساس أي مكتبة، فلن أعيدَ الكلام عن أسماء هذه الكتب، فلقد ذكرها كثيرٌ من مشايخنا الأفاضل في مؤلفاتهم ومنهم:
١ – الشيخ / ياسر برهامي في كتابه «مِنَّة الرحمن» .
٢ – الشيخ/ محمد حسين يعقوب في كتابه «منطلقات طالب العلم».
٣ – الشيخ/ أبو ذر القلموني في كتابه «ففروا إلى الله».
٤ – الشيخ/ مصطفى دياب في كتابه «أوقف الشمس».
فارجع إلى هذه الكتب – غير مأمور.

(٥) نـجائب الكتب والمؤلفين والمحققين

المسلمون - والحمد لله - مجمعون على أن أفضل كتاب هو كتاب الله تعالى «القرآن الكريم».

ولكن هناك بعض المؤلفين (نوابغ التأليف)، قد ألفوا كتبًا من حصَّلها فقد حصَّل لباب العلوم، وصفوة المفاهيم، وخلاصة عقول أذكياء العالم، وفحول أهل العلم.

ولا شك أن التعرف على هذه النجائب توفر على طالب العلم أوقاتًا ثمينة، وأعمارًا مديدة، ربما قضاها في القراءة لمصنفات لم تبلغْ مُدّ بعضها ولا نصيفه ومنهم:

١- كُتب «شيخ الإسلام» ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

٢- كُتب تلميذه «ابن قيم الجوزية» رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

٣- كُتب الحافظ «ابن قدامة» رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وأجلّ كتبه «المغني».

٤- كُتب الحافظ «ابن عبد البر» رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وأجلّ كتبه «التمهيد».

٥- كُتب الحافظ «الذهبي» رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وأجلّ كتبه «سير أعلام النبلاء».

٦- كُتب «الإمام النووي» رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

٧- كُتب الحافظ «ابن كثير» رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

٨- كُتب الحافظ «ابن رجب» رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

٩- كتب الحافظ «ابن حجر العسقلاني» رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

١٠- كُتب «الإمام الشوْكاني» رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

١١- كُتب الإمام «محمد عبد الوهاب» رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

١٢- كُتب «الإمام الصّنعاني» رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وكتابه النافع «سُبل السلام».

١٣- العلامة «صديق حسن خان القنوجي» رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

١٤- العلامة «محمد أمين الشنقيطي» رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ولاسيما كتابه «أضواء البيان»[1].

---

(١) حلية طالب العلم: ص ١٧٣.

■ **وأقول ـ متطفلًا على موائد العلماء ـ وأنصح أيضًا بـ:**

كُتب «الإمام الشافعيّ» - وجميع كتب السُّنة (التسعة) [(١)]، وتفسير الإمام «الطبري»، و «الخطابيّ»، و «الخطيب البغدادي»، و «البيهقي»، و «ابن حزم»، و«القاضي عياض»، و «القرطبي»، و «ابن دقيق العيـد»، و «الشاطبيّ»، و «العراقيّ»، و «السخاوي»، و «السيوطيّ»، و «عبد الرءوف المُناوي»، و «عبدالرحمن السعدي»، و «محمد ناصر الدين الألباني»، و «بكر عبد الله أبو زيد»، و «محمد بن صالح العثيمين»، و «المعلمي»، و «ابن الجوزي» رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى رحمة واسعة.

■ **أمَّا بالنسبة لكتب الأدب فينصح بالتالي كتبهم**[(٢)]:

١- كُتب مصطفى صادق الرافعي، وكُتب أبي الأشبال أحمد محمد شاكر.

٢- كُتب أبي فِهْر محمود محمد شاكر.

٣- كُتب د. محمد محمد حسين وخصوصًا «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر»، فهو كتاب قيم في بابه.

٤- كُتب المنفلوطي، والعقاد، وابن المقفع، وابن قُتيبة، وابن عبد ربه الأندلسي.

٥- وأيضًا كُتب الجاحظ، و أبي حيان التوحيدي، مع الحذر من مذهبهما.

٦- دواوين الشعر لفحول الشعراء مثل (المتنبي - البحتري - أبو تمام - شوقي - حافظ).

فهذه إطلالة سريعة على أهم وأفضل الكتب والكُتاب، فليس المقامُ مقام تفصيل وحصر.

---

(١) يجب أن تكون الكتب مُحقّقة ومخرّجة خصوصًا وأن بعض المحققين قد يفيدونك بفوائد وفرائد ودُررًا، يصعب عليك الوقوف عليها بنفسك، أو قلّ أن تجدها في كتاب غيره.

(٢) كتب الأدب التراثية بها الغث والسمين، فكن على حذرٍ منها.

■ **أما بالنسبة للمحققين فهناك محققون أعلام، امتازوا واشتهروا بالدقة والتجويد في أعمالهم، وتمام صنعتهم، فإذا وجدتَ أسماءهم على كتاب فخُذْه وأنت مطمئن غالبًا وعض عليه بالنواجذ ومنهم:**

١- أحمد محمد شاكر.
٢- محمود محمد شاكر.
٣- محمد حامد الفقي.
٤- محمد أبو الفضل إبراهيم.
٥- على محمد البجاوي.
٦- أحمد الزين.
٧- حمدي عبد المجيد السلفي.
٨- د. عبد الوهاب عزَّام.
٩- الأستاذ/ محمد رشيد رضا (صاحب المنار).
١٠- محمد محي الدين عبد الحميد.
١١- عبد السلام هارون، والذي حقَّق معظم كتب «الجاحظ» وكأنه اُختصَّ بها، وبذل فيها جهدًا عظيمًا، أبان عن غموضها.
١٢- السيد أحمد صقر.
١٣- عبد الرحمن بن يحيى المعلمي.
١٤- إحسان عباس.
١٥- محمود محمد الطنَّاحي.
١٦- شعيب الأرناؤوط وأخوه عبد القادر.
١٧- د. رمضان عبد التواب.
١٨- محمد ناصر الدين الألباني.
١٩- بكر أبو زيد.
٢٠- حبيب الرحمن الأعظمي.
٢١- محمد عوَّامة.
٢٢- عبد الفتاح أبو غدة.
٢٣- بشار عواد.
٢٤- د. شوقي ضيف.
٢٥- د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ).
٢٦- محمد الدالي.
٢٧- عبد الفتاح الحلو.
٢٨- حسين محمد نصار.
٢٩- د. أكرم ضياء العمري.
٣٠- مصطفى السقا.

(٦) في مُصنَّفات زكّاها الأئمة

قال الذهبيُ في «سير أعلام النبلاء»:

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام - وكان أحد المجتهدين -: «ما رأيتُ في كتب الإسلام في العلم مثل (**المحلى**) لابن حَزْم، وكتاب (**المُغني**) «للشيخ مُوفَّق الدِّين ابن قدامة».

قال الذهبيُّ: صدق الشيخ عزّ الدين.

وثالثهما: (**السُّنن الكبير**) للبيْهقي.

ورابعًا: (**التمهيد**) لابن عبد البر.

فمن حصَّل هذه الدواوين، وكان من أذكياء المُفْتِين، وأدمن المُطالعة فيها، فهو العالم حقًّا.

قال الشيخ/ أبو إسحاق الحويني:

وخامسها: (**الأوْسط**) لابن المنذر فإنه سماء.

وسادسها: كتاب (**المجموع**) للنووي، فإنه من أفضل الكتب التي تُعين على فهم الفقه وإيضاح مسائله.

فعلى طالب العلم أن يُدمن الاطلاع على هذه الكتب، مع الحذر من شذوذ بعض آراء (ابن حزم)؛ فلا ينبغي الاطلاع على كتابه (المحلَّى)، قبل العلم والبصيرة بأقوال العلماء ومواطن إجماعهم واتفاقهم[1].

(١) وَمَضات على طريق العلم: د. هشام عبد الجواد الزهيري، ص ١٩.

(٧) أجلُّ العلوم والكتب

أجلُّ العلوم ما قرَّبك من خالقك، ومَنَ أعانك على الوصول إلى رضاه، وهذه هي علوم الكتاب والسُّنة.

يقول الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فالذي يتعيَّن على المسلم الاعتناءُ به والاهتمامُ: أن يبحثَ عمَّا جاء الله وعن الرسول ﷺ ثم يجتهد في فهم ذلك، والوقوف على معانيه، ثم يشتغل بالتصديق بذلك إن كان من الأمور العلمية.

وإنْ كان من الأمور العَملية، بذل وُسْعَه في الاجتهاد في فِعْل ما يستطيعه من الأوامر، واجْتناب ما يُنهى عنه، وتكون همته مصروفة بالكُلِّية إلى ذلك، لا إلى غيره.

وهكذا كان حالُ أصحاب النبيِّ ﷺ والتابعين لهم بإحسانٍ في طلب العلم النافع من الكتاب والسُّنة»[١].

ويقول الحافظ ابن حجر[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، **في بيان المراد من العلم المطلوب التزود منه:**

«هو الذي يفيدُ معرفة ما يجب على المكلَّف مَن أمر عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه».

(١) جامع العلوم والحكم (٢٤٤-٢٤٥).
(٢) فتح الباري (١/ ١٧١).

(٨) القراءة طريق التقدم، وسرّ النهوض

القراءة المستنيرة متعة للعقل، وسعادة للقلب، وغذاء للروح، وإرْواء للظمأ، ونور للبصيرة، ونعمة كبرى للإنسان تجعله يَحْيا في حبور دائم، وسعادة غامرة، فيطيبُ نفْسًا، ويَقرّ عيْنًا، ويسعد قلبًا، ويصل بعلمه وفكره إلى أفاقٍ لا يتطاولُ إليها ترف الأموال والغِنى، ولا شموخ الجاه، ولا قوة المُلك، ولا عزّ السلطان.

والذي يرضى لنفسه الحياة بعيدًا عن العلم والمعرفة، والفكر والثقافة، والقراءة المستمرة، والبحث المتواصل، إنما هو ميت الأحياء، لا يَسْتحقُ العيش في دنيا الفكر والعلم، ولا يستحق إلا العزاء والرثاء، وليعشْ يتخبَّطُ في ظلام الجهل الحالك، أعمى البصيرة، أصمّ الرّشد، قلقًا مستوحشًا، مكتئبًا حزينًا، واجمًا مهمومًا، مؤرق الليل، مُعذب النهار، لا يشعر بمتعة، ولا يحسُّ بجمالٍ.

ولكم جنى الجهل على أناسٍ كانوا ينعمون في ظلال النعيم، فاستحالتْ حياتهم إلى جحيم مُسْتعر، وشقاء مستمر، وبلاء مُستطير، وشرّ كبير، وأصبحوا لا قيمة لهم في الحياة، ولا وزن لهم ولا مقدار!.

فإذا أردنا التقدم فما علينا سوى العلم، العلم الذي هو طريقه ولبّه الكتاب، ولأن مَنْ صاحب الصفحة (الكتاب) حاز الشرف، وما نظر رجلٌ في كتاب إلا خرج بفائدة كما أعلنها ابن الجوْزي قبل ذلك.

والقراءة وحدها هي طريق النهوض والتقدم.

وكانت اليابان واحدة ممن أدركوا هذا السرّ النفيس، بعد كبْوتها الفادحة، واتخذت من القراءة طريقها لبناء مستقبلها العظيم، وذلك بعد الضربة الموجعة التي تلقيتها من «الولايات المتحدة الأمريكية» في الحرب العالمية الثانية أغسطس ١٩٤٥م.

لقد صمَّم اليابانيون أن يكونوا شيئًا، وأن يصنعوا معجزة بعدما انهارتْ بلادهم ودُمِّرتْ.

وحينها أدركوا أنَّ القراءة، والقراءة وحدها، وصُحبة الكتب سندهم وسبيلهم في قيامهم ونهوضهم بسرعة من مستنقع الهزيمة.

يقول «د. حياة الله عتيد» بعد زيارته لليابان:

«ترى اليابانيين في الأماكن العامة في الباصات والقطارات، تجد الجميع في صُحبة الكتب يقرءون، حتى أن أحدهم يقرأ وهو واقف سواء كانت صحيفة أو تاب أو جهاز حديث، وهذه الظاهرة منتشرة بشكل غير طبيعي، فـ ٩٩٪ يقرءون ولا يضيِّعون أوقاتهم، ولا تجد منهم مَنْ يجلسُ عبثًا، لقد رأيتُ في المترو نساءً يحملْن أطفالهن، الطفل يرضع، وأمه تقرأ ..!.

وهذا هو السرّ في تقدم اليابانيين، فهو مولعون بالقراءة على اختلاف مراحلهم ومشاربهم، وتنوعهم الوظيفي، عاشقون للكتاب حتى مع المُلهيات الحديثة المنتشرة حولهم في كل مكان، كالإنترنت وأجهزة الجوال، والألعاب الإلكترونية، ومع ذلك لا يسْتغنون عن الكتاب، وتنتشر المكتبات في كل مكان، وهي كثيرة ومتعددة، الكل يقرأ في محطات المترو والقطار وفي الشوارع والأسواق، حتى سائق الأجرة يشعل النور ويقرأ وهو ينتظر الزبائن، والباعة في المحلات لا يفوِّتون فرصة القراءة حينما يخلو المحل من الزبائن!!».

واهتموا بالطفل حتى يتربى على حب القراءة والكتاب منذ نعومة أظفاره، حيث يقومون بترجمة ٢٠٠ كتاب من الكتب الجيدة في أدب الطفل للغة اليابانية كل عام.

اليابان من خلال القراءة أبهرتْ العالم، وكان سلاحها الكتاب الذي أعانهم على قهر اليأس والهزيمة!.

فمتى يأتي الوقت لكي نخطو مثل خُطى اليابان؟ فمن المعروف بأن النهضة اليابانية قد بدأت مع النهضة المصرية، ولكن البون شاسع وكبير بين مصر واليابان الآن، وإنْ شئت قل الفرق شاسع بين السماء والأرض!.

وهل لنا أن نقْتفي آثارهم، ونتسلَّح بالكتاب ونتداوى بالقراءة؟!.

لقد أحْرزْنا في الماضي قصَب السَّبْق في مضمار الكتاب والقراءة، وأنت – عزيزي القارئ – أدركت ذلك بعينيك وعقلك.

فحبّ السلف للقراءة والكتاب أشبه بالخيال، فمنهم من أوْصى بأن تُدفن كتبه معه، والآخر باع داره، والثالث أنفق كل ميراثه، والرابع باع ملابسه، أي أن القراءة ليست بغريبة علينا وقد مرَّ أكثر من ذلك منذ قليل.

نحنُ لا نريدُ أن نبكي على اللبن المسكوب، ولا نريدُ أن نعيش على ظلال وإرث الماضي، ولا نريدُ أن نكثر الالتفات إليه، على أننا إذا تلفَّتنا إلى الماضي فلا نلتفتُ إليه لنرجع القهقري ونمشي إلى الوراء، بل لنسْتمد منه القوة على السير سعيًا إلى الأمام؛ لنربط بين الماضي المجيد والمستقبل المشرق، لنصل بأمتنا إلى طريق النهوض والتقدم.

إننا نعلم أن الاستغراق في الماضي وحده نوم أو جمود، والاستغراق في المستقبل وحده هَوسٌ وجنون، والاستغراق في الحاضر وحده عَجْزٌ وقعود، نحن نريدُ أن نستمد من الماضي وسير العلماء دافعًا وحافزًا، ومن المستقبل مُوجِّهًا ومُرْشدًا، ونحن نعلم أن ماضي الأمة العريق وقوتها وحبها، وتقديرها للعلم والعلماء وبناء المكتبات واعتزازها بقيمة الكتاب في حياة الأمم لا يعود بالأحاديث والخُطب، وأن الجائع لا يُشبعه تذكر موائد الماضي واستعراض ألوانها، وأنّ الذّلة لا تُدَفع عن الذليل بنظم قصائد وأغاني الفخر بعزة أجداده وأسلافه.

نحنُ لا نريد أن نعيش على حُطام الماضي ونترك الحاضر، ولكن نريد أن نعود إلى حب الكتاب وتقدير القراءة لما لها أهمية في حياة الشعوب ومصائرها[١].

وكما قلنا - قبل ذلك - نريدُ فكرة تبني القراءة كمشروع حضاري، تلتزم به شعوبنا، لتعدل عن تخلِّفها وتراجعها عن ركب الأمم المتحضرة.

لقد سُئل «**فولتير**»: عمن سيقود الجنس البشري؟

فأجاب: الذين يعرفون كيف يقرءون !!.

ويقول «**أرنولد توينبي**»: إن ارتفاع نسبة قراء الكلمة المطبوعة هو الأساس الحضاري لتصنيف البلدان في العالم إلى دول مُتخلفة أو نامية أو مُتقدمة !.

وهنا لابد من وقفة مع أنفسنا لنتأمل فيها قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾، لنرى الإشارة الواضحة لمعالم النهوض، والسر الجليّ لكل مَنْ أراد طريق النهوض والتقدم.

ونحن - في الماضي - انطلقنا من كلمة «اقرأ» فكانتْ لنا الغلبة والقوة، وقوّضنا عرش الظالمين، استطعنا القضاء على أكبر قوتين في ذلك الوقت وهما الروم والفرس، وتمَّ ذلك في مدة قصيرة، ونلنْا من كرم الله وسعة الدنيا والمُلك العريض.

أمَّا في العصر الحديث، لا يتمتع بخيرات العالم ولا ينال الكرامة والزعامة فيه إلا الشعوب القارئة، والأمم المتطلِّعة للأمام.

وأتمنى أن يكون هذا الكتاب هاديًا وحاديًا إلى حب القراءة والاطلاع فهما مقياس تقدم الدول، فلن تقوم أي نهضة إلا عن طريق العلم والكتاب والثقافة.

---

(١) فصول في الدعوة والإصلاح: ص ١٤.

وقد يتبادر لبعض العصريين المتأخرين أصحاب الهمم الميْتة والدعوى العريضة في أيامنا هذه!، أنَّ ما يُذكر في كتب المتقدمين وتراجمهم من كثرة التأليف، وكثرة ما كتبوه من الكتب، وشدة محبتهم للكتاب، لا يخلو من مبالغة وتضخيم وخيال.

وهذا القولُ إنما يصدرُ من أولئك العصريين بدافع مقايستهم حال المتقدمين بحال اليوم، وأنهم اليوم لَّما كانوا يعجزون عن تأليف أو قراءة أو مطالعة بتلك الكثرة، أو كتابة تلك الكتب، فالمتقدمون يعجزون عنها، فيوهِّنون الأخبار المحكية فيها، ويُصغِّرون من ضخامتها وكِبَرها، وهذا قياسٌ خاطئ لا يشهد له بالصحة شيء[1].

وفي الختام، أقدم تحية إجلال وتعظيم لكل علماء الأمة الذين أفنوْا زهرة حياتهم في خدمة الدين، وكانوا بحق منارات هدى، وأقول لهم:

مثالُك في عيْني وذكرُك في فمي ومَثْواك في قلبي فأيْنَ تَغِيبُ؟

وجزاكم الله كل خير على إعزازكم لقيمة العلم والقراءة والكتاب، فأنتم مازلتم في القلب والعين.

ومن عجب أنِّي أحنُّ إليهمُ ❖❖ وأسْألُ عنهم مَنْ لَقيتُ وهم مَعي

وتْطلُبُهم عيني وَهُمْ في سَوادِها ❖❖ ويَطْلبُهُم قلْبي وهمْ بَيْن أضلُعِي!!

---

(١) قيمة الزمن عند العلماء: ص ٨٥.

■ إحصائية حول ما الذي سيحصل إذا قرأت «ساعة واحدة» فقط يوميًا في تخصُّص ما؟

بعد أسبوع ← ستُنهي كتابًا واحدًا.

بعد سنة ← ستُنهي قراءة ٥٠ كتابًا.

بعد ٣ سنوات ← ستكون خبيرًا في هذا التخصص.

بعد ٥ سنوات ← ستكون مَرْجعًا محليًّا فيه.

بعد ٧ سنوات ← ستكون مرْجعًا عالميًا فيه.

بعد ١٠ سنوات ← ستكون قد أنهيت قراءة ٥٠٠ كتاب.

وأتمنى أن تكونوا قد استمتعتم واستفدتم من هذه السياحة الفكرية في عالم الكتب والقراءة، واكتفي بما أوضحت من حب أمة الإسلام، وتقديرها للكتاب والقراءة، وأرجو ألا أكون قد أطلتُ فأمْلَلْتُ، وفيما تقدَّم كفاية لمن كان له قلب، وألقى السمع وهو شهيد.

اطلب العِلمَ ولا تكسَلْ فما ❖ ❖ أبعدَ الخيرَ على أهلِ الكَسَلْ!

واحتفلْ للفقهِ في الدِّين ولا ❖ ❖ تشتغلْ عنهُ بمالٍ وحَوَلْ

واهجرِ النَّومَ وحصِّلهُ فمنْ ❖ ❖ يعرفِ المطلوبَ يحقرْ ما بَذَلْ

لا تقلْ قد ذهبتْ أربابُهُ ❖ ❖ كلُّ من سارَ على الدَّربِ وصلْ

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وكتبه/ الفقير إلى عفو ربّه

عبد الوهاب زيدان أبو شهبة

غفر الله له ولوالديه

قصيدة

«اقـــــرأ»

اقْرأْ فـأُمَّتنـــا ترقِّـــعُ ثَـوْبَهـــا

بالوهم تخفـضُ رأسهـــا ليهـــــودِ !

اقـرأْ فأُمتنـا تعيـشُ على الرُّبـــا

تنسـى عِقـــابَ الخـالــقِ المعْبـــــودِ !

اقـرأْ لينْجلـي الظـلامُ عن الرُّبـى

وليسْـمع الغـَافِي زَوَاجـــر «هُـــودِ» !

اقـرأْ لينْجلـي القتــامُ عن الـذي

أمْســى أسيـــر تخـــاذُل وصـــدودِ !

اقـرأْ ليرْجـع مَنْ بني الإسـلام مَـنْ

أصْغـــى مَسـامِعُـهُ إلـى التلْمُـــودِ !

اقـرأْ لعـلَّ الله يُـوقِـظُ غـافـــلاً

مـــن قوْمنـــا ويليـنُ قلـب عَنيـــد !

اقـرأْ ليسكـتْ مطـربٌ مُـترنِّـــحٌ

قتـل الحيـاءَ علـى رنيـن العُـــودِ !

ذبحـوا مشـاعرنـا بكل قصيـــدةٍ

مَسْـكـوبـةٍ بخيـــالِ كـــلّ بليـــد !

إبليسُ باركهم وسار أمامهم

مُتباهياً بلوائه المعقود !

اقرأ ليهدأ قلْبُ كلّ مُروِّعٍ

من قومنا و فؤاد كلّ شريد !

اقرأ ليسْمعْ كُلُّ مَنْ في سَمْعه

وَقرٌ من الأقْصى إلى مَدْريد !

اقرأ لتفهمْ أمتي معنى الهُدَى

مَعْنى بلوغِ مقامها المحمود !

اقرأ ليخرجْ جِيلُنا الحرُّ الذي

يَبْني جوانب صَرْحنا المهْدُود !

د. عبد الرحمن العشماوي

الفهارس

١- فهرس المصادر والمراجع.

٢- فهرس الموضوعات والفوائد.

١- فهرس المصادر والمراجع

(١) الكتب:

- أ -

١. الآداب الشرعية، محمد بن مُفلح المقدسي، تحقيق عبد الله عبد السميع، مكتبة غرناطة.

٢. أدب الدنيا والدين، للماورديِّ، مكتبة جنة الأفكار.

٣. الأذكياء، لابن الجوزي، دار ابن الجوزي بالقاهرة.

٤. اضْحك، مجدي صابر، بيروت، دار ومكتبة الهلال.

٥. أقلام كتبتْ عن الصداقة والكتاب، حسين عبد الساتر الدَّعيبي - بيروت.

٦. أمالي القالي، لأبي علي إسماعيل القاسم القالي، تحقيق وتصوير دار الكتب المصرية.

٧. الأُنس، سمير شيْخاني، بيروت، مؤسسة عز الدين.

٨. الإضاءة في أهمية الكتاب والقراءة، خالد بن عبد العزيز، دار العاصمة.

٩. أروع ما قيل في الأدب الاجتماعي، إميل ناصيف، دار الجيل، بيروت.

١٠. اقرأ رسالة الوحي الأولى، حاتم سلامة، ليليت للنشر والتوزيع.

١١. أنا، للعقاد، دار ابن الجوزي بالقاهرة.

١٢. أسواق الذهب، لأمير الشعراء أحمد شوقي، علَّق عليه وائل حافظ خلف، الدار العالمية للنشر بالإسكندرية.

١٣. إطلالة على التراث الأدبي، د. عماد حسن مرزوق، مكتبة بستان المعرفة.

١٤. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، مكتبة ابن تيمية.

١٥. البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، سلسلة الذخائر.

١٦. البخلاء، للجاحظ، دار ابن الجوزي بالقاهرة.

١٧. البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق عماد زكي البارودي، دار التوفيقية للتراث.

١٨. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية.

١٩. ترطيب الأفواه بذكر من يُظلُّهم الله، د. سيد حسين العفَّاني، دار العفَّاني.

٢٠. تعطير الأنفاس من حديث الإخلاص، د. سيد حسين العفَّاني، دار العفَّاني.

٢١. التبصرة، لابن الجوزي، دار الحديث.

٢٢. تذكرة السامع والمتكلم بآداب العالم والمتعلم، للإمام بدر الدين بن جماعة، تحقيق: سيد رزق شاهين، الدار العالمية للنشر والتجليد بالقاهرة.

٢٣. ترتيب المدارك، للقاضي عياض، بيروت، دار مكتبة الحياة.

٢٤. الترغيب والترهيب، للمنذري، تخريج: أحمد شعبان أحمد، مكتبة الصفا.

٢٥. تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ط. مكتبة الصفا.

٢٦. التتار بين الانتشار والانكسار، د. علي محمد الصلابي، دار ابن الجوزي.

٢٧. تربية الأجيال من الحكم والأشعار والأمثال، د. أحمد سيد آل برجل، دار الفضيلة.

- جـ -

٢٨. جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، دار ابن الجوزي بالقاهرة.

٢٩. جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق ناصر النجار، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

٣٠. الجامع الصغير من حديث البشير والنذير، للسيوطي، مع فيض القدير للمُناوي، تحقيق: محمد نصر أبو جبل، مكتبة مصر.

٣١. الجليس الصالح الكافي، والأنيس الناصح الشافي لأبي الفرج المعافى النهرواني، ط. م فياض.

٣٢. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) لابن قيم الجوزية، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث.

٣٣. جمهرة بحوث ومقالات الشيخ العلامة/ أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، دار المودة بالرياض، ودار القرطبي بالقليوبية.

- حـ -

٣٤. الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، لأبي هلال العسكري، تحقيق: أبي عبيد محمد صالح إبراهيم، دار الفاروق.

٣٥. الحث على حفظ العلم، وذكر كبار الحفاظ، لابن الجوزي، دار الكتب العلمية.

٣٦. حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد، دار ابن الجوزي، القاهرة.

٣٧. حياة الرافعي، لمحمد سعيد العريان، ط. دار التقوى.

٣٨. الحيوان، للجاحظ، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية.

- خ -

٣٩. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي، دار الكتاب الإسلامي.

- د -

٤٠. الدّرر الكامنة، لابن حجر، دار أم القرى بالقاهرة.

٤١. ديوان الإمام الشافعي، ضبط وتنسيق: د. أحمد هادي باحارثة، دار الصحوة.

٤٢. ديوان «حافظ إبراهيم»، تحقيق: أحمد أمين، مكتبة جزيرة الورد.

٤٣. ديوان «المتنبي»، تقديم: د. إسماعيل العقباوي، ط. دار الحرم للتراث.

٤٤. ديوان «أحمد الزين» (ت: ١٩٤٧م) مطبعة لجنة التأليف والنشر - مصر.

٤٥. ديوان «أبو هلال العسكري»، للعسكري، بيروت، دار الأضواء.

٤٦. الدعوة مهارات وفنون، شحاتة صقر، دار الخلفاء الراشدين.

- ذ -

٤٧. الذكريات، لعلي طنطاوي، دار المنارة بجدة.

٤٨. الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٤٩. الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق، لأبي الحسن سلام بن عبد الله الإشبيلي، تحقيق: د. الشحات الطحان، مكتبة فياض.

- ر -

٥٠. رسائل الجاحظ، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي.

٥١. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة.

٥٢. روْضة المحبين، لابن القيم، دار ابن الجوزي بالقاهرة.

٥٣. روْضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان البُستي، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، دار الباز، مكة المكرمة.

٥٤. روائع القصص، المُسمى مُلتقط الحكايات، لابن الجوزي، دار الفضيلة.

- ز -

٥٥. الزهد، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: حامد أحمد الطاهر البسيوني، دار الحديث.

٥٦. الزهد الكبير، للبيهقي، تحقيق: د. هشام عبد الجواد الزهيري، الدار العالمية للنشر - الإسكندرية

٥٧. زَهْر الآداب، وثمر الألباب، لأبي إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني، تحقيق: علي محمد البجاوي، مصورة عن دار إحياء الكتب العربية.

- س -

٥٨. سُنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع، دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٥٩. سير أعلام النبلاء، للذهبي، دار ابن الجوزي بالقاهرة.

٦٠. سُنن الصالحين، وسُنن العابدين، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، تحقيق: عادل شوشة، مكتبة فياض.

- ش -

٦١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٢. الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، المكتبة التوفيقية.

٦٣. شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية.

٦٤. شرح حلية طالب العلم، شرح الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي بالقاهرة.

٦٥. الشوقيات، لأمير الشعراء أحمد شوقي، مكتبة جزيرة الورد.

- ص -

٦٦. صحيح البخاري بشرح فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية.

٦٧. الصِّلة، لابن بشكوال، دار الخانجي.

٦٨. صفة الصفوة، لابن الجوْزي، تحقيق: عادل شوشة، مكتبة فياض.

٦٩. صيد الخاطر، لابن الجوْزي، تحقيق: عبد الله عبد السميع، مكتبة فياض.

٧٠. صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، عبد الفتاح أبو غدة، ط. دار السلام.

- ض -

٧١. الضوء اللامع، للسخاوي، مكتبة القدسي.

- ط -

٧٢. طرائف ومسامرات، د. محمد رجب البيومي، ط. دار القلم، دمشق.

٧٣. طرائف الأدباء، جميل جبر، بيروت.

- ظ -

٧٤. ظرفاء ولكن حكماء، محمد كمال عبد الصمد، الدار المصرية اللبنانية.

- ع -

٧٥. العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: إبراهيم محمد صقر، مكتبة مصر.

٧٦. العلماء العزاب، لعبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية.

٧٧. عود على بدء (شعر)، محمود عماد.

٧٨. عين الأدب والسياسة، علي بن عبد الرحمن بن هذيل، بيروت، دار الكتب العلمية.

٧٩. على ساحل ابن تيمية، د. عائض القرني، مكتبة العُبيكان.

٨٠. علوّ الهمة، د. محمد إسماعيل المقدم، دار الخلفاء الراشدين.

٨١. عُشاق الكتب، عبد الرحمن يوسف الفرحان، دار البشائر الإسلامية.

٨٢. العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، حياته ومنهجه ومؤلفاته، وثناء العلماء عليه، أبو الحسن محمد بن حسن الشيخ، ط. الناشر الدولي.

٨٣. عيون الأخبار، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية.

- غ -

٨٤. الغُرر على الطُّرر، محمد خير رمضان يوسف، دار البشائر الإسلامية.

- ف -

٨٥. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية.

٨٦. الفهرست، لابن النديم، تحقيق: محمد أحمد أحمد، المكتبة التوفيقية.

٨٧. فوائد وفرائد، د. أحمد فريد، دار الخلفاء الراشدين.

٨٨. فيض القدير بشرح الجامع الصحيح، للمناوي، تحقيق: محمد نصر أبو جبل، مكتبة مصر بالفجالة.

- ق -

٨٩. قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، د. راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ، للنشر والتوزيع والترجمة.

٩٠. قبْض الريح، لإبراهيم عبد القادر المازني، مكتبة مصر.

٩١. قيمة الزمن عند العلماء، عبد الفتاح أبو غدة، ط. دار السلام.

٩٢. القراءة طريقك إلى الثقافة، محمد السعيد، دار ألفا.

٩٣. القراءة منهج حياة، د. راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة.

٩٤. قراءة القراءة، فهد الحمود، م. العُبيكان.

- ك -

٩٥. الكشاف، للزمشخري، تحقيق وشرح: يوسف الحمادي، ط. مكتبة مصر.

٩٦. الكتاب في الحضارة الإسلامية، عبد الله الحبشي.

٩٧. الكشكول، لبهاء الدين العاملي، ضبطه: محمد عبد الكريم، دار الكتب العلمية.

٩٨. كلمة وكليمة، لأمير الأدباء مصطفى صادق الرافعي، تحقيق: وائل حافظ خلف، ط. الدار العالمية للنشر بالاسكندرية.

٩٩. كيف تقرأ كتابًا؟، ش/ محمد صالح المنجد، مكتبة العُبيكان ومجموعة زاد.

١٠٠. كيف أقرأ؟، د. طارق سويدان، وفيصل عمر، شركة الإبداع الفكري للنشر والتوزيع.

- ل -

١٠١. لُباب الآداب، لأسامة بن مُنقذ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة السُّنة.

١٠٢. لؤلؤ الأصداف بترتيب المنتقى على الأطراف، الشيخ/ أبو إسحاق الحويني، ط. دار التقوى.

١٠٣. لا تحزن، د. عائض القرني، مكتبة العُبيكان.

- م -

١٠٤. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، دار الكتب العلمية.

١٠٥. مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، مؤسسة زاد.

١٠٦. المزهر في علوم اللغة، للسيوطي، تحقيق: الشربيني شريدة، دار الحديث.

١٠٧. المشوق إلى القراءة وطلب العلم، د. علي بن محمد العُمران، المكتبة العصرية بالقاهرة.

١٠٨. المحاسن والأضداد، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي.

١٠٩. المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمد البيهقي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ببيروت.

١١٠. محمود أبو الوفا ديوان شعره، الهيئة المصرية للكتاب.

١١١. مجموعة رسائل الرافعي، مكتبة فياض.

١١٢. مقدمة ابن خلدون، دار الفجر للتراث.

١١٣. من روائع وصايا الآباء للأبناء، بقلم/ وائل حافظ خلف، دار الكتب العلمية.

١١٤. من روائع حضارتنا، د. مصطفى السباعي، دار ابن الجوزي بالقاهرة.

١١٥. موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن، مؤسسة اقرأ.

١١٦. الموسوعة الثقافية الظريفة، عبد الوهاب زيدان أبو شهبة، الدار العالمية للنشر والتوزيع بالاسكندرية.

١١٧. الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق: محمد فريد، المكتبة التوفيقية.

- ن -

١١٨. نفح الطيب، للمقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

١١٩. نيْل الأوطار، للشوكاني، تحقيق وتخريج: محمود الجميل، دار الإمام مالك بالجزائر.

- و -

١٢٠. وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر.

١٢١. الولع بالكتب، والهوس بالقراءة، وليد طه عاشور، دار الفضيلة.
١٢٢. الوصايا والأمثال في ضوء القرآن، حديوي حلاوة، مكتبة مدبولي الصغير.
١٢٣. ومضات على طريق العلم، د. هشام الزهيري، ط. دار الخلفاء الراشدين.
١٢٤. وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة مصر.

٢ـ الصحف والمجلات

١. مجلة الأزهر، عدد شعبان، إبريل ٢٠١٨م.
٢. مجلة الفردوس.
٣. صحيفة المدينة (بالسعودية).
٤. صحيفة الشرق الأوسط.

٣ـ القنوات الفضائية

«موضوعات عن القراءة والكتاب وعن عشاق الكتب وغيرها»

١. قناة «الرسالة» .
٢. قناة «روسيا اليوم».
٣. قناة «بداية».
٤. قناة «المجد العلمية»، برنامج «في مكتبة عالم».
٥. قناة «الندى» ، برنامج «أصداف اللؤلؤ».
٦. قناة «العربية».
٧. قناة «الرأي».

٢ـ فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع **الصفحة**

مقدمة فضيلة الشيخ سيد بن حسين العفاني ٥

المقدمة ٧

بعض المؤلفات في فضل العلم وشرفه (ش)[١] ١٠

١ـ نحن والقراءة ١٣

٢ـ الواقع المرير ٢٧

حركة دور النشر ٢٧

القراءة العامة ٢٨

الترجمة ٢٩

٣ـ نعتهم للكتاب ٣٣

- **أحمد بن إسماعيل (المعروف بنطّاحة)** ٣٣

وقد أهدى أحد الكتاب إلى صديقٍ له ٣٣

- **الفضل بن سهل** ٣٣

- **عبد الله بن المعتز** ٣٤

- **وقال شاعر العربية (أبو الطيب المتنبي)** ٣٤

- **المعافي بن زكريا** ٣٤

- **المأمون** ٣٤

- **أبو الحسن علي بن هارون النديم** ٣٥

- **أبو هلال العسكري** ٣٥

- **الجاحظ** ٣٦

(١) هذا الرمز يعني أن الفائدة مكانها في الحاشية.

الموضوع	الصفحة
وصف الكتاب	٣٦
الكتاب وعاء الفكر	٣٧
الكتاب متعدد الصفات	٣٧
فضل الكتاب	٣٨
الكتاب خيرُ جليسٍ	٣٨
الكتاب خير مُعلِّمٍ	٣٨
الكتاب قد يفضل صاحبه	٣٩
تعريفه للعشق	٤٠
عشق الجاحظ للكتب	٤٠
أنتم جهال لا تعرفون النفيس من الخسيس!	٤٠
- **ابن المقفع**	٤١
- **عجاج نويهض**	٤١
- **الأمير عبد الله المأمون**	٤١
- **الرشيد والمأمون**	٤١
- **عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في المقبرة أو مع الكتاب**	٤١
- **أبو الفضل العجلي**	٤٢
- **ابن الطقطقي**	٤٢
- **ابن حمدون**	٤٢
وصف الكتب لأحد الأدباء	٤٢
عند الوداع	٤٣

الموضوع	الصفحة
أقوال أخرى عن الكتاب	٤٣
مُصاحبة الكتب والشوق إليها	٤٣
المصريون القدماء والكتب	٤٣
- **ابن طباطبا العلوي**	٤٤
- **مأمون بن مأمون خوارزم شاه**	٤٤
- **عالم العربية الأديب الأصمعيّ**	٤٤
- **أبو محمد عبد الحميد بن عبد الرحيم التوزي**	٤٤
عوْدة إلى أمير البيان الجاحظ	٤٥
الكتابُ يَبْقى على الأيام والدَّهر	٤٥
- **أبو هَفّان**	٤٥
وأنشد غيره	٤٦
وقال آخر	٤٦
وآخر	٤٧
الكتب معاقل العقلاء	٤٧
د/ حيدر مصطفى البشعان والكتاب	٤٨
- **أمير الشعراء «أحمد شوقي»**	٤٨
- بعض هفوات وأخطاء شوقي في قصيدته (ش)	٤٨
- **ميخائيل نعيمة**	٤٩
- **حامد الهوَّال**	٤٩
- **سلمى صائغ**	٤٩
- **الأديب السعودي محمد بن سعد بن حسين**	٥٠

الموضوع	الصفحة
- أ. بارتوليني	٥٠
- فيكتور هوجو	٥٠
- جليردي بكسر يكور	٥٠
- هنري دافيد ثورو	٥٠
- توماس كارلايل	٥٠
- اللورد باكون	٥٠
- سلمى الحفار الكزبري	٥٠
- أوليفر غولد سميث	٥١
- إدوارد بولوير ليتون	٥١
- حمد بن عبد الله القاضي	٥١
كلام في فضائل الكتب	٥٢
خَيْرُ الكُنوز كتابٌ نفيس	٥٢
- الشعبيّ يصفُ الكتاب لعبد الملك بن مروان	٥٢
- د. أحمد سيد آل برجل وحبه للكتاب، ويقول وما العمر فائدة بلا قراءة	٥٣
٤ـ شدة محبتهم للكتب، وعشقهم وشغفهم للقراءة والاطلاع	٥٥
أـ نماذج مضيئة من الماضي الأزهر	٥٥
عشق الجاحظ للكتاب سرّ وفاته	٥٥
الإنفاق على الكتب	٥٥
محمد بن الحسن الشيباني الكوفي البغدادي	٥٦
الإمام أبو عُبيد القاسم بن سلّام الهروي البغدادي	٥٦
الحافظ الحصيري جعفر بن أحمد النيسابوري	٥٧

الموضوع	الصفحة
يحيى بنُ معين	٥٧
الفتح بن خاقان	٥٧
حرص الجاحظ والفتح بن خاقان وإسماعيل القاضي على العلم	٥٧
المهلّب يوصي أبناءه	٥٨
الحسن اللؤلؤي	٥٨
ابن الجهْم والكتاب	٥٩
سعادة ابن الجهْم بكبر حجم الكتاب	٥٩
العُتْبيّ	٥٩
إسحاق بن سليمان هيْبته وعظمته كتبه وليس منصبه	٦٠
العلامة ثعلب النحوي لا يفارق الكتاب، والكتاب سبب وفاته	٦٠
ابن خيّاط النحوي يدرس في جميع أوقاته	٦١
في وسطه خيطٌ حتى لا يسقط	٦١
يقرأ حتى في الحمَّام	٦١
نعم الجليسُ كتابُ	٦١
الذل في مخالطة الناس وترك الكتاب	٦٢
أبو الفضل بن العميد وشدة محبته وحفظه للكتب	٦٢
أبو الهلال العسكري	٦٢
عبد الله بن المبارك يجلس مع الرسول ﷺ، والصحابة والتابعين بسبب الكتاب	٦٢
نعيم بن حمّاد يجلس مع النبي ﷺ وأصحابه بسبب كتبه	٦٣
يوصي بكتبه من بعده لصديقه في مصر خوفًا عليها	٦٣
سليم الرازيّ	٦٣

الموضوع	الصفحة
أبو محمد بن إسماعيل البخاري ودواء للحفظ	٦٤
ابن الأعرابيّ يرفضُ لقاءَ الخليفة ليبقى مع كتبه	٦٤
بين عشرين ألفًا من الصحابة والتابعين	٦٥
ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتى في نُزهته معه كتاب	٦٥
أبو حاتم السجستاني وتبحره في الكتب	٦٥
الواقدي وكثرة كتبه	٦٥
ابن حاجب النُعمان وخزانة كتبه	٦٦
سفيان الثوري وكثرة كتبه	٦٦
محمد بن العباس بن الفرات	٦٦
الطبيب العلامة موفق الدين المطري طبيب صلاح الدين الأيوبيّ	٦٦
موسى بن يحيى	٦٧
تعليق على الذين يقومون بجمع الكتب، ولا يفهمون ما فيها، وكلام الجاحظ عنهم (ش)	٦٧
إبراهيم بن إسحاق الحربي	٦٨
الإمام أحمد بن حنبل [ت : ٢٤١ هـ] والقراءة	٦٨
العلَّامة علي بن أحمد الآمدي [ت : ٧١٠ هـ]	٦٨
العلامة خلف بن يوسف البلنسي يبيع حوائج بيته من أجل كتاب	٦٨
صاحب الكتاب أفضل وأعقل من الجليس الفارغ اليد	٦٨
مُتنزهات القلوب	٦٩
العلَّامة «السيوطي» الملقب بـ«ابن الكتب» [ت: ٩١١ هـ]	٧٠
ضعف بصره من كثرة المطالعة	٧٠

الموضوع الصفحة

الخطيب البغدادي ٧١
أوصى بأن يُدفن كتاب سيبويه معه ٧١
أجمل هدية كتاب ٧١
أثر الهدية على النفوس (ش) ٧١
ألف دينار من الذهب ثـمن نسخة كتاب!! ٧٢
ابن دقيق العيد يستدين محبةً في الكتب ٧٢
ابن الخشّاب [ت: ٥٦٧ هـ] وولعه بالكتب إلى حد الشره ٧٢
عاشق الكتب ابن الجوزي [ت: ٥٩٧ هـ]، يقرأ عشرين ألف مجلد، ومازال في الطلب ٧٣
كثرة مؤلفات ابن الجوزي (ش) ٧٣
ويخبر عن حاله ويقول ٧٣
ولو قلتُ ٧٤
ابن تيمية «الجدّ»، يقرأ حتى في الحمَّام ٧٤
وَلَعُ شيخ الإسلام ابن تيمية [ت: ٧٢٨ هـ] بالمطالعة وشغفه بالكتب والعلم ٧٥
قراءة الشيخ حتى وهو مريض ٧٧
كثرة الأبحاث والمؤلفات التي أُلفت عن ابن تيمية (ش) ٧٧
الإمام العلامة ابن قيم الجوْزية [ت: ٧٥١ هـ] يقرأ حتى في مرضه ٧٧
أحد البلغاء ٧٨
مهبوذ ٧٨
لذتي مع كتبي ٧٨

الموضوع	الصفحة
ابن الأثير صاحب «جامع الأصول»، و «النهاية في غريب الحديث» يترك المناصب الجليلة ليتفرغ للقراءة وللكتاب	٧٨
أهمية العزلة وفوائدها (ش)	٧٩
وصية سليمان بن طرخان التيمي «ابنه المعتمر» بالكتب	٨٠
الإمام الحافظ «ابن حجر العسقلاني» رَحِمَهُ ٱللَّهُ	٨٠
الكتاب أفضل من الصديق	٨٠
وأحدهم يتحسر ويتأسف على كتب العلم	٨٠
الخليفة المأمون وحبه للقراءة	٨١
مكتبة الموفق بن المطران الدمشقي [ت: ٥٨٧ هـ]	٨١
مكتبة جمال الدين القفْطي [ت: ٦٤٦ هـ]	٨١
حث الرسول ﷺ على الزواج (ش)	٨١
عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش البغدادي [ت: ٦٧٦هـ] ، يتحسر على كتبه ويجعلها بمنزلة الولد منه	٨٢
ما حدث لمكتبة بغداد العامرة على أيدي التتار (ش)	٨٢
الإمام أبو العلاء الهَمَذاني [ت: ٥٦٩هـ] مع الكتب حتى في الجنة	٨٣
أبو علي الفالي يتألم ويتحسر على بيع كتبه!	٨٣
نزهة النفوس كتاب	٨٤
شغفهم بجمع الكتب	٨٤
لطيفة: حول جمع الكتب دون فهم (ش)	٨٤
الإمام «ابن عقيل» وهمته العالية، وهو في الثمانين من عمره	٨٥
الفيروز آبادي والقراءة	٨٥

الموضوع الصفحة

الإمام الطبراني ٨٥
أبو هلال العسكري والكتاب ٨٦
نديمُك كتاب ٨٦
الكتابُ مُتعدِّد المواهب ٨٦
كتابه بستانه وسميره ونديمه ٨٧
صُحبة الكتب ٨٧
كتب «ابن عباد» تفوق كُتب دور الكتب الأوربية مجتمعة ٨٩
الحريري يُوصي ابنه بالعلم وبمطالعة الكتب ٨٩
«القاضي الجُرْجاني» يشيد بموقع الكتاب من نفسه ٨٩
الإمام اللغويّ الفقيه الأديب (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء الرازيّ)
يشتكي من متاعب الحياة، وكتبه أنيس نفسه وروحه ٩٠
الكتاب والعلم أنيسُه ٩٠
ب ـ نماذج مضيئة من العصر الحديث ٩١
الشيخ المحدث/ محمد بدر الدين الحسني [ت: ١٣٥٤ هـ] ٩٢
شاعر النيل حافظ إبراهيم [ت: ١٩٣٢م] ٩٢
كلمة حول كتاب الأغاني، والرأي فيه (ش) ٩٢
أمير الشعراء أحمد شوقي [ت: ١٩٣٢م] ٩٣
أمير الأدباء أبو السامي مصطفى صادق الرافعي [ت: ١٩٣٧م] ٩٤
الأديب إبراهيم عبد القادر المازني [ت: ١٩٤٩م] ٩٥
جاء ليسرقني فأهديتهُ كتابًا ! ٩٥
المازني في يوم زفافه بالمكتبة! ٩٦

الموضوع	الصفحة

د. زكي مبارك [ت: ١٩٥٢م]..... ٩٦
حب وولع د. أحمد أمين للكتب ٩٦
تنافس حميد على اقتناء الكتب ٩٧
العلَّامة أبو الأشبال «أحمد محمد شاكر» [ت: ١٩٥٨م] ٩٨
الأديب العصاميّ «عباس محمود العقاد» [ت: ١٩٦٤م]..... ٩٩
كثرة المؤلفات والأبحاث التي تحدثت عن العقاد (ش)..... ٩٩
الكتب التي أحبها العقاد..... ١٠٠
مكتبة بخمسين قرشًا..... ١٠٠
أسباب حب العقاد للقراءة..... ١٠٠
القراءة ليستْ من الكماليات، بل هي فريضة ١٠١
د.عبد الحليم منتصر [ت: ١٩٩٢م]..... ١٠١
العلَّامة أبو فِهْر «محمود محمد شاكر» [ت: ١٩٩٧ م] ١٠٢
أديب الفقهاء وفقيه الأدباء الشيخ/ علي طنطاوي [ت: ١٩٩٩م]..... ١٠٢
ناصر السُّنة العلَّامة المحدث/ محمد ناصر الدين الألبانيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ [ت: ١٩٩٩م]... ١٠٣
العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ [ت: ٢٠٠٨م] ١٠٦
د. مصطفي محمود والقراءة ١٠٦
أنيس منصور والكتاب ١٠٦
الشيخ / سَلْمان بن فهد العودة حَفِظَهُ ٱللَّهُ ١٠٧
د. عائض القرني صاحب كتاب «لا تحزن» ١٠٧
العلَّامة المحدِّث/ أبو إسحاق الحويني حَفِظَهُ ٱللَّهُ ١٠٩
العالم الرَّباني د. سيد حسين العفّاني حَفِظَهُ ٱللَّهُ ١١١

الموضوع الصفحة
يقول عنه د/ أحمد فريد ١١٢
الشيخ/ سيد العفاني يتمنى من الله أن يقرأ في القبر بعد وفاته! ١١٢
الشيخ/ سيد العفاني يبيع أرضه وميراثه من أجل تكوين مكتبته! ١١٣
محمود قاسم صاحب الـ ١٥٠ كتابًا وموسوعة ١١٣
الشيخ / أحمد الحجار يبيع ثيابه من أجل كتاب! ١١٤
مكتبة الشيخ / عبد الله البَطاطي بجدة بالسعودية، وعشقه للكتب ١١٥
٥ـ تفضيلهم للكتب على النساء، وعلى الزوجة..... ١١٧
هذه الكتب أشدُّ عليَّ من ثلاث ضرائر ! ١١٧
شغلته الكتب عن النظر إلى جاريته ! ١١٧
سيبويه بين عشق الجارية وحبه للكتاب ! ١١٨
العلامة الزهري وزوجته ! ١١٨
يترك الزواج حُبًّا للكتب ! ١١٩
رأيهم في الزواج ١١٩
ما تزوَّج، ولم ينشغل إلا بالعبادة والمطالعة ١١٩
انتقمتْ من الكتب بعد وفاته ! ١١٩
تزوَّج بامرأة بسبب الكتب التي عندها ! ١٢٠
لا زوجة بعد الآن ! ١٢٠
الشافعيّ والجارية وحبّه للعلم ١٢٠
هيوم ١٢١
الكتب أحبُّ إليّ من الآنسة ١٢١
زوجته تلومه على كثرة إنفاقه على الكتب ١٢٢

الموضوع الصفحة

تُشعل النار في كتاب زوجها بسبب الغيرة ! ١٢٢
الزمشخري يبكي على المتزوج ١٢٣
يرفض الزواج من امرأة غنية بسبب حبّه للعلم ! ١٢٣
يُنفق كل أمواله على العلم وشراء الكتب النفيسة ! ١٢٣
الغيرة من الكتب ١٢٣
العلاَّمة القرآني (محمد الأمين الشنقيطي) رَحِمَهُ ٱللَّهُ يترك الزواح من امرأة غنية لطلب العلم ١٢٤
العلامة (عبد الله باعلوي) ينهمك في المطالعة ليلة عرسه، ولا يتلفتُ إلى عروسه !! ١٢٤
شدة انهماك ابن رجب بالعلم، وعدم التفاته لمفاتن زوجته ! ١٢٥
٦ـ تكرارهم قراءة الكتاب الواحد مرات عديدة ١٢٧
الإمام النووي يُطالع «الوسيط» أربع مئة مرة ١٢٧
عباس بن الوليد الفارسي يدرس كتابًا ألف مرة ١٢٨
أبو بكر الأبْهري [ت: ٣٧٥ هـ] المالكي يقرأ الموطأ خمسًا وأربعين مرة ١٢٨
الإمام أبو بكر بن عطية يقرأ «البخاري» سبع مائة مرة ١٢٨
ابن التبَّان يدرس «المدَّونة» ألف مرة ١٢٨
إسماعيل بن محمد الفراء الحرانيّ يقرأ «المقنع» مائة مرة ١٢٨
سليمان بن إبراهيم بن عمر نفيس يقرأ «البخاري» مائة وخمسين مرة ١٢٩
أبو بكر بن محمد بن عبد الله القاهري الحنفي يقرأ «البخاري» أكثر من مائة مرة ١٢٩
ابن الأثير يُطالع كتابًا خمسمائة مرة لمدة تزيد عن عشر سنوات ١٢٩

الموضوع الصفحة

الحافظ البرهان الحلبي يقرأ «البخاري» أكثر من ستين مـرة، و «مسلمًا» نحـو العشرين ١٢٩
الحافظ بن الشِّحْنَة الحجّار يُحدِّث بالصحيح أكثر من ستين مرة ١٣٠
الفيروز آبادي يقرأ «صحيح البخاري» أكثر من خمسين مرة ١٣٠
يقرأ «الرسالة» للشافعي خمسين سنة ١٣٠
يقرأ «معجم الأدباء» ثماني مرات ١٣٠
يقرأ «التوضيح» سبعين مرة، و «شرح ابن المصنف» أكثر من ثلاثين مرة ١٣٠
يقرأ «البخاري» و «الكشَّاف» مرات عديدة ١٣٠
يُطالع «المُغني» ثلاثا وعشرين مرة ١٣١
يقرأ «البخاري» نحْوًا من مائتين وثمانين مرة ١٣١
الفارابي يقرأ كتاب «النَّفْس» لأرسْطاطاليس (أرسطو) مائة مرة ١٣١
يقرأ «المهذَّب» أكثر من أربعين مرة ١٣١
كان يُعيدُ كُلَّ قياس ألف مرة ١٣٢
الزريراني [ت: ٧٢٩هـ] يُطالع «المُغْني» ثلاثًا وعشرين مرة ١٣٢
الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقرأ كتاب «الأعلام» للزركلي خمس مرات ١٣٢
وعالم آخر يقرأه أكثر من مائة مرة ١٣٢
ومنهم من شغف بمطالعة بعض الكتب حفْظًا وإقراءً حتى عُرف بها وأصبحتْ لقبًا عليه ١٣٣
٧ـ شدة توقيرهم وتبْجيلهم للكتب ١٣٥
آداب التعامل مع الكتب ١٣٦

الموضوع **الصفحة**

يقول العلَّامة (بدر الدين محمد بن جماعة) في الآداب مع الكتب، التي هي آلــة العلم ١٣٦
ويقول «ابن جماعة» عن طالب العلم الذي يقوم بجمع الكتب وتكديسها دون فائدة ١٣٨
ويقول «ابن جماعة» عن آداب الاستعارة ١٣٩
وللمحافظة على الكتاب ينبغي تلافي الأوضاع الخاطئة التي تُعرِّضه للتلف أو التمزق، ومنها..... ١٣٩
ومن احترام الكتاب وتعظيمه: شدة الاعتناء بحُسن اختياره ١٤١
ومن العلماء الذين اشتهروا بصيانة وحفظ كتبهم ١٤٢
عبد الكريم زاده الحنفي..... ١٤٢
الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ..... ١٤٢
الإمام أبو محمد عبد الرحيم بن محمد بن الزجاج..... ١٤٢
الإمام برهان الدين الزّرنوجي ١٤٢
عبد الله بن عبد العزيز البكري ١٤٣
وأنشد عبد الله بن عمر بن أحمد الوحيديّ ١٤٣
بعض الحكماء..... ١٤٣
بعض الحكماء..... ١٤٣
حكمة عربية..... ١٤٣
لطيفة: ومن طرائف ما يُروى في المحافظة على الكتب وأوراق العلم (ش) ١٤٣

الموضوع الصفحة

٨ـ شَتات متفرقات (ضمائم في شئون القراءة والكتاب) ١٤٥
(١) علمتني الكتب ١٤٥
(٢) فضل القراءة والمطالعة ١٤٧
(٣) من هنا وهناك ١٥٠
(٤) مكتبتك الخاصة ١٥٢
أسماء الكتب التي تُمثِّل أساس أيّ مكتبة (ش) ١٥٣
(٥) نجائب الكتب والمؤلفين والمحققين ١٥٤
أشهر كتب أهل العلم ١٥٤
أشهر كتب أهل الأدب ١٥٥
أشهر المحققين الذين امتازوا واشتهروا بالدقة والتجويد في أعمالهم ١٥٦
(٦) في مُصنَّفات زكّاها الأئمة ١٥٧
(٧) أجلُّ العلوم والكتب ١٥٨
(٨) القراءة طريق التقدم، وسرّ النهوض ١٥٩
إحصائية حول ما الذي سيحصل لو قرأت ساعة واحدة فقط يوميًا
في تخصص ما؟ (ش) ١٦٣
قصيدة «اقرأ» للشاعر الدكتور عبد الرحمن صالح العشماوي ١٦٥
الفهارس العامة ١٦٧
١- فهرس المصادر والمراجع ١٦٩
٢- فهرس الموضوعات والفوائد ١٨١

كتب للمؤلف

١- فَصْلُ الاختيار في أروع الأشعار.

٢- الرَّوائع من حِكَم وأقوال السَّلف الصَّالح.

٣- ١٦٥ معجزة من صحيح معجزات النبيِّ ﷺ ومعه شرح لكبار العلماء.

٤- ادْعُوني استجب لكم.

٥- رجالٌ ومواقف.

٦- ١٠٠ قصة وحكاية.

٧- ١٠٠ قصة من حياة الرسول ﷺ،[دروس ، عبر، فوائد].

٨- الموسوعة الثقافية الظريفة.

٩- ابتسامات في حياة النبيِّ ﷺ.

١٠- ابدأ من جديد.

١١- كلماتٌ على فراش الموت.

١٢- قصص وحكايات للبنين والبنات.

١٣- يوميات الطفل المسلم.

١٤- قصص الأنبياء.. فوائد وعبر وعظات.

١٥- قصص القرآن.

١٦- من وصايا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للكبار والصغار.

١٧- مع الحبيب المصطفى ﷺ.

١٨- موسوعة الآداب الإسلامية.